الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم التفسير وعلوم القرآن

العطف الرُّتبِيُّ في القرآن الكريم وأثره في المعنى عند المفسِّرين

دراسة تأصيليَّة تطبيقية

بحث أعد لنيل درجة الماجستير في اختصاص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة

بيان المهايني

إشراف الدكتور

علي أسعد

العام الدراسي ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى من طال انتظارهما ليريا ثمرةغرسٍ ما زال يستقي من معين عطائهما

والديَّ الفاضلين حفظهما الله تعالى ....

إلى من وقف معي مشجعاً ومساعداً في طريق العلم ودروب الحياة زوجي العزيز أكرمه الله ...

إلى كل من أعانني بعلمه وجهده وأهدى ليِنصحاً وعوناً إخواني الأعزاء زادهم الله تقدماً ونجاحاً ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وامتنان

إقراراً بالجميلواعترافاً بالفضل أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العطر إلى فضيلة الدكتور المشرف: علي أسعد حفظه الله تعالى الذي مهّد لي السبيل، وأحيا في نفسي الهمة والعزيمة لمواصلة السير في طريق العلم بصبره وجهده وتواضعه ، والله أرجو أن يزيدهعلماً ورفعة وفضلاً إنه سميع مجيب...

كما أتوجه بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور: عبد العزيز حاجي – الدكتور : أحمد قباوة

على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ففي توجيهاتهم إغناءٌ ونفعٌ ، فجزاهم اللهجميعاً خير الجزاء...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

-المقدمة-

الحمد لله القائل في كتابه :﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر ٣٢]

أحمدُه تعالى أبلغ حمدٍ وأزكاه ، وأشملَه وأنماه ، وصلى الله على من أوتي القرآن ومثله معه رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين :

أهمية البحث:

يقول Ψ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف٢]

فقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بأن أنزل إليها ذكراً بلسان عربي مبين فحفظ لها لغتها و قوّم لسانها ورفع لها شأنها ، أنزله لنقرأه تدبراً ، ونتأملَه تبصراً ، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه .

وفي وصفه يقول ابن عطية رحمه الله :"وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أُديرَ لسانُ العرب في أن يُوجِدَ أحسنَ منها لم يُوجِد "[١]

وظلَّ البحث في إعجاز القرآن شغل العلماء الشاغل فكثرت فيه المؤلّفات وعظمت الدراسات، وهذا البحث يتناول وجهاً من وجوه الإعجاز في لفظ من ألفاظ القرآن الكريم حاولت فيه أن أجمع بين الجانب النحويّ النظري والجانب التطبيقي ، و أهمية هذا البحث تأتي من ارتباطه بموضوع الإعجاز ، وتسليط الضوء عليه من خلال أسلوب العطف الرتبي .

سبب اختيار الموضوع:

ويعود سبب اختيار الموضوع إلى غموض أسلوب العطف الرتبي ودلالته عند جلِّ الدارسين مع وجود تطبيقاته في القرآن الكريم ، واشتهاره عند المفسرين ، وتعدد أثره في معاني

---

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٦١/١- لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري – عبد العال السيد إبراهيم ، الدوحة ، الطبعة الأولى١٤٠٣-١٨٩٣
ابن عطية :غالب بن عطية ،الإمام أبو محمد الغرناطي القاضي ، كانفقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير والأدب ،بصيراً بلسان العرب ، ولد سنة ٤٨٠هـ وتوفي سنة ٥٤١هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص(١٧٥) وما بعدها، أحمد بن محمدالأدنَروي ، تحقيق :سليمان بن صالح الخزي ،الناشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السابعة ،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آيات الكتاب العزيز فكان هذا دافعاً لي لبحث هذا الموضوع وتأصيله وبيان أثره في معاني آيات القرآن الكريم .

هذا بالإضافة إلى ما في هذا البحث من جمعٍ بين الجانب النحوي النظري والجانب التطبيقي، وما يكشف ذلك عن مكانة المفسرين العلمية وعنايتهم بكتاب الله تعالى .

مشكلة البحث :

وتكمن مشكلة البحث في ثلاث مسائل :

١-تعدد المصطلحات الدالّة على هذا الأسلوب واختلاف النحويين والمفسرين في مجال استعمالها كان مثار إشكال في تعيين هذا العطف عند المفسرين وحصر مواضع وروده في القرآن الكريم .

٢-اختلاف أسباب اللجوء إلى العطف الرتبي ووجوه تأويله أورث إشكالاً في تحديد موقف المفسر في الأخذ بهذا العطف أو ردّه .

٣- عدم وجود ضوابط وقواعد صريحة للقول بالعطف الرتبي واختلاف المفسرين في مواضعه ولّد إشكالاً في معرفة شروط العطف الرتبي ومدى اعتبارها عند المفسرين .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى :

١ـ التعرّف إلىمصطلح العطف الرتبي ودلالته لغوياً لمعرفة أهمية هذا النوع من العطف وتأثيره .

٢-معرفة مدى اهتمام النحويين بهذا النوع من العطف وتأكيد جهودهم وإبراز مذاهبهم.

٣- تحديد نشأة هذا المصطلح ومدى حضوره عند المفسرين .

٤ـ تأكيد إعجاز القرآن الكريم والتدليل على ذلك من خلال استقراء الآيات ودراسة دلالتها وإظهار ما يضفيه هذا النوع من العطف عليها .

٥ـ إيضاح الصلة الوثقى بين الإعراب والمعنى وضرورة البحث فيهما لتحديد معنى الآية .

٦ـ عرض نماذج تطبيقية لاختلاف المفسرين في كيفية تأويل العطف الرتبي ، وإبراز أثر ذلك الاختلاف بينهم في معنى الآية.

٧ـ إظهار مكانة المفسرين وسعة علمهم وعظم جهودهم ودقة فهمهم لكتاب الله عز وجل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدراسات السابقة:

أشار النحويون إلى أسلوب العطف الرتبي في كتبهم (كشرح الرضي على الكافية للاستراباذي ومغني اللبيب للابن هشام الأنصاري) وتكرر التنبيه على هذا الأسلوب في طيات كتب التفسير (كالكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان) وتناولت بعض الدراسات الأدوات النحوية بشكل إجمالي فجاء الكلام عن العطف الرتبي فيها عرضاً وذلك مثل (كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة وكتاب الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم . د. محمد علي سلطاني) ، وهذه الدراسات نحويةٌ اعتنت بالجانب النظري دون التركيز على الناحية التطبيقية في القرآن الكريم، وتتبع مذاهب المفسرين فيها، ولم أعثر على أي دراسة أفردت هذا النوع من العطف بالبحث بشكل مستقل سواءً كانت دراسة نحوية أو تطبيقية ، وهذا البحث يتميز عن غيره من ثلاثة وجوه :

١ـ أن هذه الدراسة تركزت في نوع واحد من العطف وتخصصت له .

٢ـ أن هذا البحث اعتنى بالناحية التطبيقية في القرآن الكريم .

٣- أن مجال هذا البحث هو كتب التفسير وما تضمنته من مذاهب المفسرين في هذا العطف واتجاهاتهم فيه .

طريقة البحث:

أما بالنسبة إلى طريقة البحث فتتلخص في النقاط الآتية :

١- ابتدأت البحث بفصلٍ تمهيديتأصيلاً لموضوع العطف الرتبي ، وتوضيحاً لاستعماله عند العرب ، ومدى اعتباره عند النحويين.

٢- رجعت إلى المصادر الأصلية في هذا البحث ، واعتنيت بتوثيق الأفكار فيه بطريقة منهجيةٍ علميةٍ بذكر المصدر مع الجزء والصفحة ،ثم المؤلف ومكان وتاريخ الطبع ، ونقلت أقوال المفسرين بشكل حرفي عند الحاجة حرصاً على فهم كلامهم على حسب مرادهمومميّزت ذلك بعلاماتٍ واضحة .

٣- حاولت دعم البحث بالأمثلة المناسبة، وحرصت قدر الإمكان على تنوعها وعدم تكرارها، ولا بد من الإشارة إلى أن ما يظهر من تكرر بعض الأمثلة إنما يرجع إلى قدر الحاجة ، وانضواء المثال تحت أفكارٍ متعددة مُستدلٍ بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- بالنسبة إلى الأحاديث الواردة في البحث ، عزوتها إلى من أخرجها من الأئمة ،واكتفيت بالوارد في الصحيحين بتخريجه منهما فقط ، مع ذكر الحكم على الحديث بحسب ما نص عليه علماء الحديث إن كان الحديث في غير الصحيحين .

٥- الأعلام التي ورد ذكرهم، استغنيت عن وصفهم بألقابهم العلمية بترجمة من ورد منهم عند أول مرةيُذكر فيها تجنباً للإطالة.

٦ صدّرت كلّ فصلٍ بتمهيدٍ يوضح فكرته ومضمونه، ثم ختمته بخلاصةٍ موجزةٍ عنه .

منهج البحث :

اعتمدتفي البحث المنهج الاستقرائي أولاً ، حيث تتبعت مواضع هذا العطف في القرآن الكريموعيّنت المُشكِل منها ، ثم اتبعت المنهج التحليلي في دراسة معاني هذه الآيات ودلالتها في أشهر كتب التفسير ، مع البحث في وجه الاستشهاد بها.

مصادر البحث :

رجعت أولاً إلى أمهات كتب النحو في موضوع العطف : كالتسهيل لابن مالك ، والجنى الداني للمرادي ومغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، وارتشاف الضرب لأبي حيان، وحاشية الصبان وغيرها .

بالإضافة إلى ما كتبه بعض النحويين في معاني القرآن كالفراء والأخفش ..

وبما أن مجال البحث هو كتب التفسير فأشبعت الموضوع بحثاً فيها ، ورجعت إلى كثير منها، مُحاوِلةً الخروج بقول واضح ،ونتيجةٍ فاصلة في وجه استعمال هذا العطف عند المفسرين .

ومن هذه الكتب :جامع البيان للطبري ،والتفسير الكبيرللرازي، والكشاف للزمخشري ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ، والبحر المحيط لأبي حيان، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، وحاشية الشهاب ، و روح المعاني للآلوسي.

ولا بد من التنبيه إلى ما وجدته من تميّز بعض هذه الكتب في عرض أسلوب العطف الرتبي ، وتتبع مواضعه وإبراز أثره ، فحرصت على كشف ذلك وتسليط الضوء على جهد المفسر ومكانته العلمية ؛من خلال تتبع تفسيره ونقل أقواله كما يظهر ذلك في الكشاف وروح المعاني والتحرير والتنوير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يعني ذلك التسليم بما جاء في تفسيرهم بشأن هذا الموضوع فإن ذلك يخضع للبحث والنقاش ، بل أردت أن حضور هذا الأسلوب في كتبهم أغنى الموضوع في كثيرٍ من الجوانب وفتح المجال واسعاً للتساؤل والبحث .

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمةٍوفصلٍتمهيديٍ وأربعةفصولٍ وخاتمة :

المقدمة :وفيها أهمية البحث وسبب اختياره والإشكالية فيه والدراسات السابقة مع المنهج المتبع فيه ومصادره ثم الخطة المعتمدة فيه .

<u>الفصل التمهيدي :العطف الرتبي عند اللغويين :</u> .

المبحث الأول :العطف وأنواعه :

المطلب الأول :تعريف العطف **:**وفيه معنى العطفلغة واصطلاحاً ثم بيان المقصود بالعطف الرتبي.

المطلب الثاني :دلالة حرفي العطف (الفاء-ثم)

المطلب الثالث :الترتيب ووقوعه في العطف الرتبي : شرحت فيه أنواع الترتيب وأهميتها عند النحويين.

المبحث الثاني : العطف الرتبي في كتب النحو :

تمهيد : تعريف الاصطلاحات النحوية وتطورها.

المطلب الأول :اصطلاحات النحويين في العطف الرتبي

المطلب الثاني :اتجاهات النحويين في العطف الرتبي :

- أولاً : اختلاف النحويين في تأويل العطف الرتبي : وفيه بيان لاتجاهات النحويين فيه، ومدى قبولهم له وأخذهم به مع البحث في مواضعه عندهم .
- ثانيًا : مفهوم العطف الرتبي عند الإستراباذي **:** عرضت جهود الإستراباذي في العطف الرتبي مع ما ذكره من أمثلة عليه ،لما وجدت عنده من تعمّق أكثر من غيره في هذا الأسلوب ، وتنبيهٍ على بعض المسائل المرتبطة به مما لم يفصل فيها النحويون.

<u>الفصل الأول : العطف الرتبي في كتب التفسير :</u>

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: اصطلاحات المفسرين في العطف الرتبي : وفيه مطلبان:

المطلب الأول : العطف الرتبي تطبيقاً .

المطلب الثاني : العطف الرتبي اصطلاحًا .

المبحث الثاني: أسباب تباين المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي :

المطلب الأول : أسباب عامة **:** ١- اضطراب المصطلحات

٢- اتجاه المفسر في تفسيره.

المطلب الثاني :أسباب خاصة **:**١- إزالة ما يظهر في الآية من إشكال .

٢- الاختلاف قي المعنى المقصود من الآية.

٣- الاختلاف في رجوع العطف.

٤-الإيجاز في اللفظ .

المبحث الثالث:مكانة العطف الرتبي ومكانه في كتب التفسير : وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : مدى حضور العطف الرتبي في كتب التفسير .

المطلب الثاني : مكان العطف الرتبي **:** وفيه مسألتان :
أولاً : الحروف المرتبطة بالعطف الرتبي عند المفسرين.
ثانياً : وقوع العطف الرتبي في الجمل عند المفسرين .

المطلب الثالث : العطف الرتبي بين النحويين والمفسرين .

<u>الفصل الثاني : تأويل العطف الرتبي :</u>

تمهيد : ارتباط العطف الرتبي بأسلوب الحقيقة والمجاز .

المبحث الأول :الحقيقة والمجاز في العطف :وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الحقيقة والمجاز وأنواعهما .

المطلب الثاني : دخول العطف الرتبي في المجاز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : مناهج المفسرين في تأويل العطف الرتبي:

المطلب الأول : تعريف التأويل .

المطلب الثاني :اختلاف المفسرين في المؤول في العطف الرتبي : وذلك في ثلاث صور :
الصورة الأولى : التأويل الواجب لما يظهر عند حمل معاني الألفاظ في الآية على ظاهرها.
الصورة الثانية : التأويل لإثراء المعنى.

الصورة الثالثة : الجمع بين المعنى الحقيقي للعطف والمعنى الرتبي المؤوَّل .

المبحث الثالث : المعنى الرتبي في العطف : في مطلبين :

المطلب الأول : أسباب التقديم والتأخير .

المطلب الثاني : رتبة المعطوف في العطف الرتبي**:** وذلك في وجهين :
الوجه الأول : أن يكون المعطوف أهم من المعطوف عليه وأرفع منزلة منه .

الوجه الثاني : استبعاد المعطوف بالنسبة للمعطوف عليه .

<u>الفصل الثالث :أثر العطف الرتبي في الإعجاز القرآني:</u>

المبحث الأول:مظاهر الإعجاز في الأسلوب القرآني وتجليها في العطف الرتبي : وفيه ثلاث ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : شمول أسلوب الخطاب القرآني.

المطلب الثاني: تداخل الموضوعات القرآنية .

المطلب الثالث :التكرارفي القرآن الكريم .

المبحث الثاني: الفوائد البلاغية لاستعمال الحرف (ثمّ) : وذلك في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : لفت الانتباه إلى أهمية الجملة المعطوفة .

المطلب الثاني : التصوير .

المطلب الثالث :إفادةمعنىً جديد .

المبحث الثالث :العطف الرتبي وتعدد المعاني :

تمهيد :الإعراب ومعاني النص القرآني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول : تعدد الدلالات في ألفاظ القرآن .

المطلب الثاني : تعدد المعنى باختلاف دلالة العطف .

المطلب الثالث : اعتماد العطف الرتبي سببًا في ترجيح المعنى .

المطلب الرابع: أثر العطف الرتبي في تعيين المقصد .

الفصل الرابع :أثر العطف الرتبي في موضوعات القرآن الكريم :

المبحث الأول : أثر العطف الرتبي قي القصة القرآنية :وذلك في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف عام بالقصة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: وقوع العطف الرتبي في القصة القرآنية ودلالته فيها : من خلال ثلاث فوائد:

أولاً : التنبيه على حدثٍ من أحداث القصة

ثانياً: بيان أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس سجلاً تاريخياً.

ثالثاً : الترقي في أخبار القصة .

المطلب الثالث : شبهة وردها **:** وذكرت ما يدور من شبهات حول ترتيب آيات القرآن الكريم، وما تضمنته بعض القصص فيه من تقديم وتأخير اضطربت له بعض العقول ، وعرضت أثر اختيار أسلوب العطف الرتبي في فهم ترتيب القصة وترابطها .

المبحث الثاني : أثر العطف الرتبي في تقرير مبادئ العقيدة:

تمهيد : حرص القرآن الكريم على تأصيل العقيدة في النفوس .

المطلب الأول : التنفير من الشرك .

المطلب الثاني : التأكيد على قدرة الله تعالى ووحدانيته .

المطلب الثالث : التذكير بيوم القيامة وأحواله .

المطلب الرابع : الاهتمام بالعمل الصالح وعدم الاتكال على الإيمان وحده .

المبحث الثالث: أثر العطف الرتبي في دلالات آيات الأحكام : ويضم مطلبين :

المطلب الأول : حمل العطف على المعنى الرتبي في آيات الأحكام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: أثر العطف الرتبي في استنباط الأحكام **:**وعرضت ثلاثة نماذج على ذلك:

١- حكم تبييت نية الصيام.

٢- حكم تأخير البيان عن وقت الإنزال .

٣- ضمان الغصب

<u>الخاتمة :</u> وفيها النتائج المستخلصة من البحث.

<u>الفهارس العامة</u> : وتضمنت فهرس الآيات والأحاديث والأشعار والمصطلحات والأعلام ، ثم مصادر البحث ، وأخيراً فهرس الموضوعات .

و الله الكريم أسأل التوفيق والإعانة ،وأن يتقبل مني هذا البحث، ويفتح لي به باباً لفهم كتابه، ويجعله دافعاً للتمسك بآدابه والخضوع لسلطانه ،و(مَنَاوْ فِيقِيلابَّاللهَّ عَلَتَيْوَكَّلْتُ إِلَيْهِأُنِيب) [هود ٨٨].

والحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل التمهيدي :العطف الرتبي عند اللغويين :

ربط الجمل في اللغةفنٌ بديعٌ يستند إلى قواعد وضوابط اعتنى العلماء بشرحها وفصّلوا في أحكامها، والعطف أسلوب بلاغي اعتمده العلماء وسيلة لربط الجمل ومعرفة دلالاتها ، وهذا الفصل تعريف بالعطف وحروفه للوصول للمقصود من العطف الرتبي :

المبحث الأول : العطف وأنواعه :

لابد قبل تعيين المراد من العطف الرتبي من إيضاح معنى العطف ودلالته لغة واصطلاحًا:

المطلب الأول :تعريف العطف :

العطف لغةً: عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفاً : مالَ ، ومنه الحديثُ : ((فوالله لكأنَّ عَطْفَتَهُ حِينَ سَمِعُوا قِيطَ فَرَسِ البَقَرِ على وَلَدِها))[1] وعَطَفَ عليه أَثْبَتَ فَوقَ كَتَعَطَّفَ ، والعَطْفُ بمعنى الشَّفَقَةِ مجازٌ والعَطْفُ بمعنى الانْثِناءِ تسمِيَةٌ للمَيْلِ والشَّفَقَةِ إِذا عُدِّيَ بـ(عَلى) وإِذا عُدِّيَ بـ(عَنْ) كانَ عَلَى الضِّدِّ وعَطَفَ الوِسادَةَ : ثَناها كعَطَّفَ فتَعَطَّفَ ، وعطف عليه :أي حمل، أو رجع عليه بما يكره ، أو له بما يريد .[2]

وأما العطف عند النحويين :فسّره ابن مالك:"هو المجعول تابعًا بأحد حروفه- أي حروف العطف الآتي ذكرها- "[3].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب: الجهاد والسير ،باب:غزوة حنين ، رقم(١٧٧٥) ص (٧٠٦) ، منشورات : محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤-٢٠٠٣، وأخرجه أحمد في مسنده ،مسند العباس بن عبد المطلب ،رقم (١٧٧٥) ،٢٩٦/٣، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أشرف على التحقيق :شعيب الأرناؤوط ،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس ١٦٥/٢٤و١٦٦، محمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ، دار الهداية .

[3] شرح التسهيل ٣٥٣/٣، ابن مالك ،جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ،تحقيق د:عبد الرحمن السيد – د:محمد بدوي المختون ،هجر للطباعة الطبعة الأولى،١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

ابن مالك :محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين ، أبو عبد الله الطائي الشافعي النحوي ، نزيل دمشق ،إمام النحاة ،ولد سنة ٦٠٠، وكان إماماً في القراءات وعللها ،وتوفي سنة ٦٧٢م . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،١١٩/١، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق د. علي محمد عمر ، النشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الكافية:" العطف : ربط لفظ بلفظ بأحد الحروف العشرة "[1]

والمراد بالتابع:"هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً ". وأنواعه : النعت والتوكيد والعطف والبدل .[2]

وهذا يختص بأحد نوعي العطف المذكورة عند النحويين وهو (عطف النسق) .

والنسق في اللغة : النَّسَقُ من كل شيء ما كان على طريقة نِظام واحد عامٌّ في الأشياء وقد نَسَقْتُه نَسْقاً وانْتَسَق هو وتَناسَق والاسم النَّسَقُ ،وقد انْتَسَقت هذه الأَشياء بعضُها إلى بعض أَي انْضَمَّتْ والنحويون يسمون حروف العطف حروف النَّسَق لأَن الشيء إذا عطفْت عليه شيئاً بعده جَرَى مجْرًى واحداً، ويقال تَناسَقَ بين الأَمرين: أي تابع بينهما والنَّسْق : التنظيم والنَّسَق ما جاء من الكلام على نِظام واحد والنَّسْق بالتسكين مصدر نَسَقْتُ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض.[3]

وعطف النسق : كما شرحه أبو حيان: "تابع بأحد الحروف ولا يحتاج إلى حد ، والنسق عبارة الكوفيين" [4]

وسمي هذا التابع عطفًا : لأن المتكلم رجع إلى كلامه الأول فأوضحه بالعطف ،أو لأنه أشرك الثاني مع الأول في الحكم .[5]

وللعطف عند النحويين نوع آخر هو : **عطف بيان** ويُعرَّف "بأنه التابع المشبه للصفة في توضيح متبوعه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة "[1]

---

[1] الكافية في النحو ،٢/ ٣٦٣، ابن الحاجب ، ،شرح رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي-دار الكتب العلمية، بيروت .

[2] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،١٧٧/٢، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، المكتبة العصرية ،صيدا –بيروت ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م .

[3] لسان العرب، مادة(نسق)،١٢٧/١٤ ، ابن منظور الإفريقي ، دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م القاموس المحيط ، مادة (نسق)،ص(١١٩٤)، الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ،١٤١٣-١٩٩٣م .

[4] ارتشاف الضرب من لسان العرب ١٩٧٥/٤، لأبي حيان الأندلسي ،تحقيق: د. رجب عثمان محمد – مراجعة: د.رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .

أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي المولد ، المصري الديار ،شيخ النحاة ،ولد سنة ٦٥٤ هـ ،صنّف الكثير من المصنفات منها:البحر المحيط في التفسير ،شرح التسهيل ،توفي في صفر سنة ٧٤٥هـ بالقاهرة ،ودفن بمقابر الصوفية .طبقات المفسرين ص(٢٧٨)وما بعدها.

[5] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ٣١٠/٣ من كلام المحقق الشيخ البقاعي ، ابن هشام الأنصاري ، راجعه الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، بيروت ،١٤٢٠-٢٠٠٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العطف الرتبي :

أعرض أولاً ما جاء في معنى (رتبي):

فذكر ابن منظور[٢] أن :

(رتب) "رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رُتُوباً إِذا رَتَّبَ : ثبت فلم يتحرّك ، يقال رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْبِ أَي ثَبَتَ صَبَ انْتِصابَه ورَتَّبَه ترتِيباً فَتَرَتَّبَ ....

-وأضاف: الرَّتَبَةُ : الواحدة من رَتَبِ الدَّرَجِ والرُّتْبةُ المَرْتَبةُ المَنْزِلةُ عند المُلوكِ ونحوها وفي الحديث : ((مَن مات على رَتَبةٍ من هذه المَراتِبِ بُعِثَ عليها)) المَرْتَبةُ المَنْزِلةُ الرَّفِيعةُ أَراد بها الغَزْوَ والحجَّ ونحوهما من العبادات الشاقة ، وهي مَفْعلة من رَتَبَ إِذا تَصَبَ قائماً والمَراتِبُ جَمْعُها . قال الأَصمعي[٤] : والمَرْتبةُ المَرْقَبةُ ؛ وهي عَلَى الجَبَل ، وقال الخليل:[٥] المَراتِبُ في الجَبل والصَّحارِي هي الأَعْلامُ التي رَتَّبَ فيها العُيُونُ والرُّقَباءُ والرَّتَبُ الصُّخُورُ المُتقارِبةُ وبعضُها أَرفعُ من بعض ، واحدتها رَتَبةٌ ، وحكيت عن يعقوب بضم الراءِ وفتح التاء " [٦]

والرُّتبي :بضم الراء وسكون التاء نسبة إلى رتبة .[٧]

---

[١] أوضح المسالك ٣١٠/١ .

[٢] ابن منظور :محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ،ولد سنة ٦٣٠هـ ، كان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ و الكتابة ، مات في شعبان سنة ٧١١ هـ . بغية الوعاة ٢٣٥/١

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ، مسند فضالة بن عبيد،رقم (٢٤٤٤٣)، ٩٣١/٧، وإسناده صحيح كما ذكر شعيب الأرناؤوط في تحقيقه المسند ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب قسم الفيء ، رقم (٢٦٩٤)، ١٧١/٢، وذكره الذهبي في التلخيص وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه . المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ، وتتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ، لأبي عبد الرحمن فضل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين ، الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٤] الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب ،البصري اللغوي ،ولد سنة بضع وعشرين ومائة ،وتوفي سنة ٢١٥هـ ،ويقال عاش ثمانياً وثمانين سنة . سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٨ ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ،تحقيق :مجد الدين أبي سعيد عمر العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

[٥] الخليل بن أحمد الفراهيدي : أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب ، توفي سنة ١٦٠ وقيل ١٧٠ وله ٧٤عاماً . معجم الأدباء ٣٠٠/٣،

[٦] لسان العرب ، مادة(رتب) ، ١٢٩/٥.

[٧] النسب :هو إلحاق ياء مشددة آخر الاسم وكسر ما قبلها توضيحًا للمنسوب أو تخصيصًا له ،وذلك كقولهم دمشقي نسبة إلى الموطن ، ونحوي نسبة إلى العلم المعروف به ،ومطبعي نسبة إلى صناعته ،وللنسب قواعد مفصلة حسب نوع الاسم المنسوب إليه تراجع في مصادرها ،أما عند النسبة إلى رتب :فإن كلمة (رتب)جمع ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما المقصود بالعطف الرتبي :

فقد اختلفت اصطلاحات النحويين وعباراتهم في الدلالة على هذا العطف؛ ولذلك لابد لتعيين المراد منه من الرجوع إلى استعمالاته اللغوية، والبحث في أصوله، مع تتبع مواضع ذكره.

فاعتمد النحويون للدلالة عليه لفظ (ترتيب الأخبار أو الترتيب الإخباري)[1]

وعُرِّف الترتيب الإخباري بأنَّه:

" الذي يقصد به مجرد الإخبار وسرد المعطوفات بغير ملاحظة ترتيب كلامي سابق، ولا ترتيب زمني حقيقي، وإنما يقصد به -بشرط وجود قرينة- ذكر المعلومات واحدة بعد واحدة "[2]

وفصّل ابن عاشور في هذا المفهوم في عددٍ من المواضع وقال في معنى (الترتيب الرتبي):"هو التدرج في الأخبار إلى خبر أهم لأن مضمون الجملة المعطوفة أوقع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها ".[3]

ومن خلال هذين التعريفين نلاحظ ما يلي :

١- بالنسبة للحروف المرتبطة بهذا النوع من العطف لم ينص عليها كلا التعريفين السابقين ، وإنما اكتفيا بالإشارة إلى ترتيب المعطوفات في الجملة ،ولاحظنا في الفصل السابق أن اختصاص حرفي (الفاء-ثمّ)في إفادة الترتيب جعل مدار هذا البحث عليهما [4].

وينسب إلى الكلمة الدالة على جماعة على لفظها إن أشبهت الواحد بكونها اسم جمع كقومي ورهطي ،أو اسم جنس كشجري ،أو جمع تكسير لا واحد له ،أو اسمًا جاريًا مجرى العلم كأنصاري ،أما في غير ذلك فيرد إلى المفرد ثم ينسب إليه فتقول في النسبة إلى فرائض :فرضي ،وقبائل :قبلي ،وكذلك رتب : رتبي بعد رده إلى المفرد وحذف تاء التأنيث منه . راجع أوضح المسالك ٣٢٨/٤ -٣٤٠ .

[1] سيأتي التفصيل في مصطلحات هذا العطف في المبحث الثاني ص(٢٩).

[2] النحو الوافي النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ٥٧٣/٣ ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة .

[3] التحرير والتنوير ٥/ ٢٣٤، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ،مؤسسة التاريخ بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠ه -٢٠٠٠م . محمد الطاهر بن عاشور: ولد بتونس ١٢٩٩هـ ، رئيس المفتين المالكيين وشيخ جامع الزيتونة بتونس، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، له مصنفات منها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)و(موجز البلاغة)، توفي ١٣٩٣هـ . الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ٦ / ١٧٤ ، خير الدين الزركلي ، دار العلو للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

[4] انظر ص (٢٠) من هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- لم يخصص التعريف الأول العطف الرتبي في عطف الجمل ، بينما قصره ابن عاشور على الجمل .

٣- لا يُلتفت في هذا النوع من العطف للترتيب الزمني الحقيقي كما يظهر من التعريفين السابقين، إلا أن تعريف ابن عاشور ركّز على مكانة الجملة المعطوفة، بينما أغفل التعريف الأول الغرض المعتمَد في ترتيب المعطوفات .[١]

وبناءً على ذلك **فالعطف الرتبي :هو استعمال حرفي (الفاء-ثمّ) في غير ما وُضعا له أصلاً بغرض التنبيه على ما جاء بعد حرف العطف .**

وتقييد العطف الرتبي بحرفي (الفاء-ثمّ) إخراجٌ لباقي حروف العطف من هذا النوع من العطف، والمقصود بقولي: (غير ما وضعا له أصلاً): أي غير الدلالة الأصلية للحرف (ثمّ) من الترتيب الزمني الحقيقي مع التراخي، والترتيب بلا تراخي مع (الفاء).

(بغرض التنبيه على ما جاء ..) : وهذا قيد يفيد إخراج ما كان استعمال العطف فيه بدون ملاحظة رتبة المعطوف ، كعطف المفصل على المجمل لأن اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى حالَ دون تَميّز المعطوف.

ومن عطف المفصل على المجمل قال تعالى﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[البقرة٣٦](فأخرجهما) معطوف على (فأزلهما)فيه معنى الشرح والتفصيل .[٢]

وقولي (ما جاء بعد العطف):يشمل المعطوف مفرداً كان أم جملة ، على خلاف بين العلماء في ذلك .

---

[١] يمكن أن يرجع اختلاف التعريفين إلى الاختلاف في تطبيقات العطف الرتبي وسيتضح ذلك في طيات هذا البحث.

[٢] شرح التسهيل ٣٥٣/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني :دلالة حرفي العطف (الفاء- ثم) :

تتوسط حروف العطف بين التابع ومتبوعه ، ويختلف الغرض من العطف باختلاف معاني هذه الحروف ومقصودها ، وقد حظيت حروف العطف باهتمام بالغ عند النحويين ، فكثر البحث فيها و التفصيل في أهميتها، ويرتبط العطف الرتبي بما يفيد معنى الترتيب من حروف العطف وهما حرفا (الفاء-ثم)، وفيما يلي عرض لمعنى هذين الحرفين ودلالتهما:

ب - **الفاء** : تفيد الاشتراك في الحكم ،والترتيب بلا مهلة .وإلى هذا ذهب الجمهور[١]. وذهب الجرمي [٢] إلى أنها تفيد الترتيب إلا في الأماكن والأمطار، فتقول: عفا مكان كذا فمكان كذا ، ونزل المطر في مكان كذا فمكان كذا . مع أن وقوع ذلك في وقت واحد[٣] ، ومنه قول الشاعر:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحوملِ [٤]

فالمقصود وقوع الفعل بتلك المواضع، وترتيب اللفظ واحداً بعد آخر بالفاء كان ترتيباً لفظياً .[٥]

---

[١] الجنى الداني في حروف المعاني ص(٦٢) ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق :د.فخر الدين قباوة –أ. محمد نديم فاضل ، المكتبة العربية ، حلب ، الطبعة الأولى ،١٣٩٣-١٩٧٣م.

[٢] صالح بن إسحاق الجرمي ،من قبائل اليمن ، كان عالماً بالعربية ،فقيهاً ورعاً ، وهو بصري قد م بغداد ،وأخذ العربية عن الأخفش وغيره ،له كتاب العروض وكتاب الأبنية ،توفي سنة ٢٢٥ . معجم الأدباء ٣/ ٤١٨ ، المسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ -١٩٩١م

[٣] شرح جمل الزجاجي الشرح الكبير ، ٢٣١/١ ،ابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق:د- صاحب أبو الجناح، عالم الكتب،بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١٩-١٩٩٩-ارتشاف الضرب ١٩٨٥/٤.

[٤] سقط اللوى منقطع الرمل حيث يلتوي ويرق ، بين أهل الدخول فأهل الحومل ، والبيت للشاعر امرئ القيس ، من البحر الطويل ، ديوان امرئ القيس ، ص (٨) ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دارالمعارف ، مصر ، وانظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص (١٩) لأبي بكر محمد الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف، مصر ، الطبعة الثانية .

[٥] الجنى الداني ص (٦٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزعم الفراء [1] إلى أن ما بعد الفاء قد يكون سابقًا إذا كان في الكلام ما يدل عليه ، أو إذا كان وقوع الفعلين في وقت واحد ،وهذا كقوله تعالى ﴿ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾[الأعراف٤]

" يقال: إنما أتاها البأس من قَبْل الإهلاك، فكيف تقدم الهلاك؟ قلت: لأن الهلاك والبأس يقعان معاً ؛ كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله: إنما وقعا معاً، فاستجيز ذلك. وإن شئت كان المعنى: وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء البأس قبل الإهلاك، فأضمرت كان "[2]

أحكامها :

١- تقع الفاء لمجرد الترتيب في عطف الجمل أوالصفات دون إفادة التشريك ، كقوله تعالى ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[الذاريات٢٦-٢٧] جيء بالفاء (فراغ- فقربه) لترتيب الفعل في الآية دون إرادة التشريك ، وقال تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[الواقعة : ٥١ - ٥٤]. العطف في (آكلون – مالئون – شاربون) لمجرد ترتيب الصفات.[3]

٢-وقد تحتمل الفاء معنى السببية إذا عطفت جملة أو صفة ، قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة٣٧] (فتاب عليه) :جملة معطوفة بالفاء على (فتلقى) تفيد معنى السببية .

---

[1] يحيى بن زياد أبو زكريا المعروف بالفراء ،كان أعلم الكوفيين بالنحو ،فقيهاً عالماً بالخلاف وبأيام العرب ،متكلماً ، من كتبه معاني القرآن ،كتاب اللغات ،توفي سنة ٢٠٧ هـ ،وقد بلغ ٦٣عاماً . معجم الأدباء ٦١٩/٥وما بعدها .

[2] معاني القرآن ٣٧١/١ ، يحيى بن زياد الفراء ،عالم الكتب ،بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٣-١٩٨٣ ، وقد ذكر المفسرون عدة أوجه في الآية : كأن يكون المقصود من (إهلاك الله إياها) خذلانه لها عن طاعته، ويكون(مجيء بأس الله) جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم .جامع البيان في تأويل آي القرآن١١٨/٥ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر، بيروت ،١٤٠٨-١٩٨٨م – ويمكن تأويل الآية : وكم من قرية أهلكنا بعضها فجاءها بأسنا وهو الاستئصال فأهلكنا الجميع. وقيل: المعنى وكم من قرية أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان١٥٣/٩ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق :د.عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦.

[3] شرح التسهيل ٣٥٣/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأيضًا قوله تعالى:﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ [الواقعة٥٣-٥٤] فمالئون :صفة معطوفة على (لآكلون) فيها معنى السببية .

أما عند عطف المفرد غير صفة فلا تدل على السببية نحو : قام زيد فعمرو.[١]

وذكر الزمخشري في حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات ثلاثة أحكام :

إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود. كقول الشاعر :

يلآهف زَيَّابة،للحارثِ ال ...صّابح، فالغانم،فالآيبِ [٢]

كأنه قال: الذي صبح، فغنم، فآب.

وإما على ترتبها في التفاوت، من بعض الوجوه. كقولك: خذ الأكمل فالأفضل.

وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك. كقولك: رحم الله المحلقين فالمقصرين.[٣]

٣-يجوز عند احتمال السببية وقوع مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج٦٣] (فتصبح): جملة معطوفة على (أنزل) فيها معنى السببية فدلت الفاء على وقوع مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه .[٤]

٤- يجوز في عطف الفاء عطف مفصل على مجمل إن اشتركا في المعنى ،قال تعالى﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾[البقرة٣٦](فأخرجهما) معطوف على (فأزلهما)فيه معنى الشرح والتفصيل .[٥]

---

[١] ارتشاف الضرب ١٩٨٥/٤-الجنى الداني ص(٦٤و٦٥)

[٢] هذا البيت للحارث بن همام ،وهو يتحسر لما رأى من فلاحه في الغزو، وسلامته في مآبه، ويقول : يا حسرة أمي من أجل هذا الرجل فيما ارتفع له من المراد في الغزو، وجمع له من السلامة والوفر. والصابح أي المصبح ، والمقصود الحارث المصبح عندنا والغانم منا ،وقد يكون الصابح : الآتيصباحاً . شرح ديوان الحماسة ١٤٧/١ ، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ،نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ -١٩٩١ م .

[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣٤/٤. محمود بن عمر الزمخشري ،ضبطه مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. الزمخشري : محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي،متكلمٌ مفسرٌ ، الملقب بجار الله لأنه جاور مكةزماناً ،ولد في سنة ٤٦٧هـ بزمخشر ،وقدم بغداد وبرع في الأدب والنحو واللغة ،وتوفي سنة ٥٣٨هـ . طبقات المفسرين ص(١٧٢).

[٤] شرح التسهيل ٣٥٢/٣- هذا ما ذهب إليه ابن مالك وخالفه أبو حيان فجعل العطف في الآية على محذوف مقدر أي (أنزل من الماء ماء فأنبتنا به ،فطال النبت ،فتصبح الأرض مخضرة) ارتشاف الضرب ١٩٨٦/٤

[٥] شرح التسهيل ٣٥٣/٣- ارتشاف الضرب ١٩٨٦/٤-الجنى الداني ص(٦٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- تنفرد الفاء عند العطف بها بجواز الاكتفاء بضمير واحد فيما تضمن جملتين من صلة أو صفة [١]

مثاله :اللذان يقومان فيغضب زيد أخواك. [٢]

عطفت على الصلة (يقومان)مالا يصلح كونه صلة (يغضب) لخلوه من العائد .

٦- يمكن أن تقع الفاء موقع (ثم) :كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾[المؤمنون١٢-١٤] فالفاء في(فخلقنا – فكسونا) واقعة موقع (ثم) لما فيها من المهلة ولذلك جاءت (ثم)بدلها في الحج ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ذكر الأفراء في حام ، .

ج-**ثُمَّ) :**حرف عطف يُشركُ في الحكم، ويفيد الترتيب والمهلة ،وهذا مذهب الجمهور وملَاوهَمَ خلافَ ذلكتأوّلُوه ،وزعم الكوفيون أنها تقع زائدة [٣] ، كقوله تعالى﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا] [التوبة١١٨]

(ثم) زائدة ، وليست عاطفة والتقدير:وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه تاب عليهم [٤].

ونقل أبو حيان والسيوطي [٥] عن الفرّاء :أن (ثم) بمنزلة الواو لا ترتب [٦] .

---

[١] شرح التسهيل ٣٥٤/٣- ارتشاف الضرب ١٩٨٦/٤

[٢] أوضح المسالك ٣٢٥/٣

[٣] ارتشاف الضرب ١٩٨٨/٤و١٩٨٩ .

[٢] -مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص(١٢٦)، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق: د- مازن المبارك – محمد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ،دار الفكر ،الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨ م

[٥]السيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ، ولد سنة ٨٤٩هـ ،ختم القرآن دون ثماني سنين ، أتقنعلوماً كثيرة ، وله الكثير من المؤلفات ، توفي سنة ٩١١هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص(٣٦٦).

[٦] ارتشاف الضرب ١٩٨٨/٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢٣٦/٥ ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق د- عبد العال سالم مكرم ،دار البحوث العلمية ، الكويت ،١٣٩٩ه-١٩٧٩م . وهذا النقل عن الفراء محلُّ اعتراض ، وسيأتي رأي الفراء لاحقًا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى:﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[الزمر٦]

وقال أيضًا :﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ [السجدة٧-٩].

وقال تعالى:﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾[الأنعام١٥٤].

فقد انتفى في هذه الآيات الترتيب عند استعمال (ثم) فلم يعد الترتيب أحد معانيها .

وإلى هذا ذهب الأخفش فقد جعلها بمعنى الواو ، واحتج بقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾[الأعراف١١][1]

والصحيح عن الفرّاء القول بالترتيب ، فقد قال في معنى قوله تعالى:﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الزمر٦] :

"يقول القائل: كيف قال:﴿خَلَقَكُمْ﴾ لبني آدم. ثم قال:﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ والزوج مخلوق قبل الولد؟ ففي ذلك وجهان من العربيّة:أحدهما: أن العرب إذا أخبرت عن رجل بفعلين ردّوا الآخر بـ﴿ثُمَّ﴾ إذا كان هو الآخر في المعنى. وربما جعلوا ﴿ثُمَّ﴾ فيما معناه التقديم يجعلون (ثم) من خبر المتكلّم. من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعتَ في يومِك هذا، ثمّ ما صنعت أمسِ أعجبُ . فهذا سَبَق من **خبر المتكلّم**. وتقول: قد أعطيتكَ اليوم شيئاً، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر، فهذا من ذلك .

والوجه الآخر: أن تجعل خلْقه الزوج مردوداً على ﴿واحدة﴾ كأنه قال: خلقكم من نفس واحدة، ثمّ جعل منها زوجها. ففي ﴿واحدةٍ﴾ معنى خلْق واحدة."[2]

وجميع الأدلة السابقة تحتمل التأويل ، فأما ما جاء في سورة الزمر:﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[الزمر٦]، فالعطف على مقدر : أي من نفس واحدة أنشأها ثم جعل منها زوجها [3].

---

١ معاني القرآن ٣٢١/١ ، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ،تحقيق:هدى محمود فراعة ،مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١١-١٩٩٠ . سعيد بن مسعدة ،أبو الحسن ،المعروف بالأخفش ،من أئمة النحاة البصريين ،أخذ عن سيبويه، له كتاب الأوسط في النحو ، معاني القرآن ، توفي سنة ٢١٥هـ . معجم الأدباء ٣٨٢/٣ .

٢-معاني القرآن للفراء ٤١٥/٢.

[3] مغني اللبيب ص(١٢٦) والآية تحتمل تأويلات أخرى لا مجال لعرضها ومناقشتها هنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما قوله تعالى :(الَّذِيأَحْسَنَ كُلَّشَيْءٍخَلَقَهُوَبَدَأَخَلْقَالْإِنْسَانِمِنطِينٍ ثُمَّجَعَلَنَسْلَهُمِنسُلَالَةٍمِنْمَاءٍمَهِينٍ ثُمَّسَوَّاهُوَنَفَخَفِيهِمِنْرُوحِهِ][السجدة٧-٩]

فالعطف في جملة (سواه) على الجملة الأولى (وبدأ خلق الإنسان من طين) لا الثانية [١].

و قول الشاعر :

إنَّ مَنسَادَثُمَّ سادَ أبوهُ ثُمَّ قدسادَ قبلَ ذلكجَدُّهُ [٢]

فيحتمل أن تكون سيادة الجد قبل الوالد ،والوالد قبل الولد ، فلا يعلم المتكلم بذلك، فيخبر على نحو ما علم لا على الأصل .

ويمكن أن تكون سيادة الوالدين بسيادة الولد ، والجد بسيادة الوالد .[٣]

وهذا القول محل اعتراض : إذ المعروف أن العرب تفتخر بآبائها لا العكس .

ويحتمل هذا الشاهد أن تكون(ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم ،كقولك :بلغني ما صنعت اليوم ،ثم ما صنعت أمس أعجب . [٤] وهو توجيهالفرّاء السابق.

وفي هذا دلالة على أن (ثمّ) قدتُستعمل لترتيب اللفظ ، وذلك مثل قولك : قد أعطيتك ألفًا ثم أعطيتك قبل ذلكمالاً . [٥]

وقد تأتي (ثم) حرف ابتداء ، كقولك: هذا زيد قد خرج، ثم إنك تجلس ! .

---

[١] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[٢]هذا البيت من البحر الخفيف ، لأبي نواس الحسن بن هانئ . من قصيدةٍمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر ،وهذا البيت من شعر مولد لا يوثق به وديوان شعره مختلف لاختلاف جامعيه ،ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل ست وثلاثين ومائة. ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٣٤٧/١، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، النشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الأولى ،١٤٠١-١٩٨١م، وقد روي هذا البيت : قل لمن ساد ثم ساد أبوه قبله ثم قبل ذلك جده ديوان أبي نواس ،ص(٢٠٥) ، شرحه :د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨- ١٩٩٨، وقد أوردت هذا البيت لاعتماده عند النحويين واستشهادهم به فقط

[٣] رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ص(٢٥٠) ، أحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق :د . أحمد محمد الخراط ، دار القلم ،دمشق ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٥-١٩٨٥م..

[٤] الجنى الداني (٤٢٦)

[٥] شرح التسهيل ،٣٥١/٣ - ارتشاف الضرب ١٩٨٩/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الله عز وجل فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ][المؤمنون ١٤] ، ثم قال بعد ذلك: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ] [المؤمنون ١٥- ١٦] .[١]

أحكامها :

١-ترد (ثم) في عطف المقدم بالزمان اكتفاءً بترتيب اللفظ ، وذلك مثل قولك : قد أعطيتك ألفًا ثم أعطيتك قبل ذلك مالاً ، فقد جاءت (ثم) عطفًا على خبر المخبر [٢]

٢-قد تقع (ثم) موقع الفاء فلا تدل على المهلة ،كما تقع (الفاء)موقع (ثم) .

ومنه قول الشاعر:

كهزِّ الرُّديني، تحت العجاج جرى في الأنابيب، ثم اضطرب [٣]

ثم اضطرب أي: فاضطرب .[٤]

وبهذا نرى أن العطف الرتبي يندرج في عطف النسق الذي تكون أداة العطف فيه معنية بالترتيب مع العطف .وأما المقصود من الترتيب فهذا ما سيكون في المطلب التالي.

---

[١] هذا مذهب المالقي . رصف المباني ص(٢٥١)- ولم يؤيد جمهور النحاة جواز مجيء(ثم) حرف ابتداء ، بل نص المرادي على امتناع ذلك ، فقال : (ولا يصح كونها حرف ابتداء. وإنما هي حرف عطف، تعطف جملة على جملة، كما تعطف مفرداً على مفرد .) الجنى الداني (٤٢٦). وفي تأويل الجمهور العطف بـ (ثم) بكونه من قبيل الترتيب الإخباري لا الزمني استغناء عن جعل (ثم) حرف ابتداءٍ وخروجٌ عما يرد من إشكالات في بعض استعمالات هذا الحرف . وسيتضح ذلك بالأمثلة الواردة في طيات هذا البحث .

[٢] شرح التسهيل ٣٥١/٣- ارتشاف الضرب ١٩٨٩/٤

[٣] هذا البيت من البحر المتقارب ، للشاعرأبو داود الإيادي ، ورُوي : كهز الرديني بين الأكف ... ، الرديني : الرمح ، والمقصود تشبيه حركة الفرس باهتزاز الرمح ، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ،٥٨/١ ، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري ،دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٤م.

[٤] شرح التسهيل٣/ ٣٥٥- ارتشاف الضرب ١٩٨٨/٤ وجه الاستشهاد : وقوع (ثم)موقع (الفاء) التي يعطف بها مفصل على مجمل ، فالهز مجمل والاضطراب تفصيل . شرح التسهيل ٣٥٥/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : الترتيب وعلاقته بالعطف الرتبي :

الترتيب أمر نسبي يختلف بحسب ما يضاف إليه وحسب مقصود المتكلم . ويقصد به في دلالة (الفاء – ثم) :" أن يقدم في ذكر المتعاطفين أولهماتعلقاً بالحدث"[1]

أنواع الترتيب : يمكن تصنيف الترتيب المستعمل في حرفي (الفاء-ثمّ) في نوعين.[2]

أولاً : الترتيب الحقيقي:

وهو الأصل ، ويعني تطابق حصول الحدث مع صياغة الخبر ، بحيث يتوافق ترتيب الأقوال مع ترتيب الأفعال ، ويكون المتأخرمعطوفاً على المتقدم ، فالملاحظ في هذا الترتيب الوجود الزماني الحقيقي . ومثاله : جاء زيد ثم عمرو .

ثمُّ َ : حرف عطف يفيد الترتيب الحقيقي .

وهذا الترتيب الزمني الحقيقي يرجع إلى الدلالة الأصلية لحرفي (الفاء-ثمّ)، والمعنى الحقيقي المعتبر فيهما ، ولا يدخل هذا النوع من الترتيب في تركيب العطف الرتبي وإنما هو الأصل في دلالة هذين الحرفين . ويتفرع هذا الترتيب إلى قسمين :

الأول :التعقيب: وهو أن يكون المعطوف عليهلاحقاً للمعطوفمتصلاً به بلا مهلة وإنما هو على التعاقب ، ويستعمل فيه حرف العطف (الفاء) الدال على الترتيب بلا مهلة [3] .

وهذا الترتيب المفهوم من (الفاء) يكون في كل شيء بحسبه .

يقال : تزوج فلان فولد له .

---

[1] معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ، ص(٩٢) ،د. محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة ،دار الفرقان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.

[2] وضعت هذا التصنيف حسب ما يتناسب مع البحث ومضمونه و لم ينص النحويين عليه ،وإنما هذا ما فهمته من عباراتهم عند تفصيلهم في حرفي (الفاء-ثم) ،وقد اختلف الباحثون في أنواع الترتيب وتصنيفها ،ولهم فيها آراء مختلفة . راجع الجنى الداني ص(٦٢) ، مغني اللبيب ص(١٦٨) - معجم المصطلحات النحوية والصرفية ص(٩٢)- الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم ص (٦٦) ،د.محمد علي سلطاني ، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى ،١٤٢٠-٢٠٠٠.

[3] هذا مذهب الجمهور ، وسبق التفصيل في معنى (الفاء) في المطلب السابق ص(٦) ، فلا حاجة للإعادة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فولد:الفاء حرف عطف يفيد الترتيب بلا مهلة إذ لم يكن بينه وبين المعطوف عليه إلا مدة الحمل[1]

قال تعالى ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾[الأعلى ٤- ٥]

(فجعله):جملة معطوفة على جملة (أخرج) بحرف العطف (الفاء) وتفيد الترتيب بلا مهلة .

الثاني : التراخي :ويقصد به " انقضاء مدة زمنية طويلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه ووقوعه على المعطوف "[2]

وهذا النوع من العطف يستعمل له حرف العطف (ثم) الدال على الترتيب مع التراخي[3].

قال تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[محمد ٣٤]

ثم يغلبون : ثم حرف عطف يفيد التراخي الحقيقي المنفصل ، أي بعد إنفاقهم الأموال وخسارتهم لها ، تكون تلك الأموال حسرة عليهم ؛ لأنهم لم يحصلوا من إنفاقهم على طائل .[4]

ثانيًا : الترتيب المجازي :

وهو ما جاء المعطوف والمعطوف عليه فيه دون اعتبار للمتقدم والمتأخرحدوثًا ، أو التراخي والمهلة بينهما ، مع استعمال حرفي العطف (الفاء-ثمّ)، فلاستعمال حرفي الترتيب وصف بالترتيب ، ولما تخلف الترتيب الزماني الحقيقي اعتبر من

---

[1] شرح التسهيل ٣٥١/٣- ارتشاف الضرب ١٩٨٥/٤-الجنى الداني ص(٦٢)وما بعدها - مغني اللبيب ص (١٦٨)

[2] النحو الوافي ٥٧٦/٣ .

٣ شرح التسهيل ٣٥١/٣- ارتشاف الضرب ١٩٨٨/٤

[4] التحرير والتنوير، ٩ /٩٣ ، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ،مؤسسة التاريخ بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠ه -٢٠٠٠م، أجاز ابن عاشور جعل (ثم) للتراخي الرتبي ولا مانع من الجمع بينهما عنده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبيل المجاز وليس الحقيقة [1]، وقد يكون فيه ترتيبٌ ولكن باعتبار آخر غير زمن الوقوع . ويقسم إلى :

١- الترتيب الذكري :

قال الإمام زكريا الأنصاري :" الترتيب الذكري :أن يكون ما بعد الفاء مرتبًا في الذكر دون المعنى على ما قبلها " [2]

وجاء في كتاب (النحو الوافي): " أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما في كلام سابق، وترتيبهما فيه، لا بحسب زمان وقوع المعنى على أحدهما، كأن يقال لمؤرخ: حدثنا عن بعض الأنبياء؛ كآدم، ومحمد وعيسى، ونوح، وموسى -عليهم السَّلام- فيقول: اكتفى اليوم بالحديث عن محمد، فعيسى. فوقوع عيسى بعد الفاء لم يقصد به هنا الترتيب الزمني التاريخي؛ لأن زمن عيسى أسبق في التاريخ الحقيقي من زمن محمد، وإنما قصد مراعاة الترتيب الذكْري -أي: اللفظيّ- الذي ورد أولاً في كلام السائل، وتضمن ذكر محمد قبل عيسى" [3]

ويمكن أن يكون الترتيب المستفاد من حرفي (الفاء- ثم) من هذا النوع من الترتيب، وذلك عند ورود هذين الحرفين في الجمل مع تخلف الترتيب الحقيقي فيهما ، فجعل هذا من باب الترتيب الذكري.

ومن هذا قوله تعالى:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[الزمر٦] ثم : حرف عطف أفاد الترتيب الذكري لا الحقيقي لتخلفه في الآية ، فلم يراعَ الترتيب الزمني فيها ، والترتيب المعتمد فيها هو (الترتيب في الذكر).

وكقول الشاعر :

---

[1] راجع شرح الرضي على الكافية ٣٦٧/٢-البحر المحيط في التفسير/ ٦٩٣، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي - طبعة بعناية الشيخ زهير جعيد دار الفكر،١٤١٢- ١٩٩٢،و سيأتي التفصيل في موضوع الحقيقة والمجاز في العطف الرتبي في الفصل الثاني ص(٩٢).

[2] غاية الوصول في شرح لب الأصول ص (٥٦) ، لأبي يحيى زكريا الأنصاري ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٠-١٩٤١م . زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي المصري ، عالم فاضل ، مفتي الشافعية ، توفي سنة ٩١٠ هـ . طبقات المفسرين الآدنروي ص (٣٦٣).

[3] النحو الوافي ٥٧٣/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده [1]

فالعطف في الجملة بالحرف (ثم) يفيد الترتيب الذكري .

وقد أدرج النحويون (عطف المفصل على المجمل) في هذا النوع من الترتيب: ويقع هذا النوع من العطف عند اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى ، وجيء بالثاني بغرض التفصيل والشرح بعد الإجمال ، دون اعتبار لزمن الحدوث أو تباعده ، واعتبر هذا العطف من قبيل المجاز وليس الحقيقة ؛ لأن الحدث واحد ووقع التعبير عنه بفعلين توسط بينهما حرف العطف ، ويستعمل فيه حرف العطف (الفاء)، كقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [الواقعة٣٥- ٣٦] فجعلناهن أبكاراً :تفصيل لقوله ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾من قبيل عطف مفصل على مجمل . [2]

٢- التراخي الرتبي : المقصود إرادة المهلة المجازية أو المعنوية بين المعطوف عليه والمعطوف ، فكأن بين المعطوف والمعطوف عليهبعدًا ليس في الوقوع فهو غير حقيقي وإنما هو معنوي قد يكون في الأهمية ، أو المكانة أو غيرها ، ولذلك فقد يختلف الترتيب فيه حسب مقصود المتكلم وتقديره .

ويُعبَّر عن هذا: (بالتراخي الرتبي ، أو التراخي في الرتبة ، أو الاستبعاد ، أو الترتيب الرتبي ، أو التقدم الرتبي). [3]

كقوله تعالى﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد ١١] ثم قال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[البلد١٧] ، فعلى الرغم من عظمة مرتبة الإطعام والإعتاق وعلو درجتها ، فإنها لا تساوي مرتبة الإيمان بالله عز وجل مهما بلغت ، فإن الإيمان بعيد المنزلة من فك الرقبة، والإطعام، بل لا نسبة بينه وبينهما ، وهذا التفاوت بين

---

[1] سبق تخريجه ص(١١).

[2] شرح التسهيل٣/ ٣٥٣- الجنى الداني ص(٤٢٦) .

[3] ولنحو من هذا ذهب ابن عصفور مستعملاً مصطلح (الترتيب الرتبي)، فقال معلقاً على البيت المتقدم : " حاصل جوابه أن السيادة لما سرت من الابن إلى الأب ، ومن الأب إلى الجد ... كانت سيادة الابن متقدمة رتبة، ..فـ (ثمّ) في البيت للترتيب الرتبي لا الخارجي" حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣/ ١٠٨٨، ومعه شرح الشواهد للعيني ، محمد بن علي الصبان ، دار الفكر ،بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩، - ١٩٩٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منزلة الإطعام والإعتاق وبين منزلة الإيمان دلّ عليه حرف العطف (ثمّ)، لمّا تخلف معه الترتيب الحقيقي حلّ محله التراخي الرتبي.[1]

وقوله تعالى: (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنورثم الذين كفروا بربهم يشركون] [الأنعام١] فإن خلق السماوات والأرض من أكبر الأدلة على وحدانية الله عز وجل وقدرته، والإشراك به مع ظهور قدرته وعظمتهأمرٌ مستبعدٌ وغيرُ مناسبٍ، وهذا المعنى: فرع التراخي ومجازه وهو ما أفاده العطف بـ(ثم).[2] ولا دلالة في الحرف (ثم) على اعتبار المهلة الزمنية بين المعطوف والمعطوف عليه أو وجوتراخٍ حقيقيٍ بينهما .

وأخيرًا فإن هذا النوع من الترتيب- المجازي - أسلوب بديع في الكلام ، لهأسرارٌ وفوائدُ سيأتي ذكرها ، ويرتبط العطف الرتبي بهذا النوع من الترتيب وعليه مدار البحث .

[1] شرح الرضي على الكافية ،٣٦٧/٢.

٣- المقصود أن معنى الاستبعاد في الحرف(ثمّ) بين المعطوف والمعطوف عليه استعمالٌ مجازيٌ لهذا الحرف يقابل معنى التراخي الحقيقي المعتبر فيه . شرح الرضي على الكافية ٣٦٧/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: العطف الرتبي في كتب النحو :

اختلف النحويون في اعتماد العطف الرتبي ، وتنوعت عباراتهم في الدلالة عليه والتعبير عنه ، وفيما يلي عرض لاصطلاحات النحويين فيه :

تمهيد: تعريف الاصطلاحات النحوية وتطورها:

المصطلح :" لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية "[١].

والمصطلح النحوي :"هو اتفاق بين النحاة على استعمال ألفاظ فنية معينة في التعبير عن الأفكار والمعاني النحوية " [٢] .

ولابد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشابهة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ، وبهذا يتبين أن المصطلحات لا توضعارتجالاً ، وإنما حاول النحاة أن يشتقوا اصطلاحاتهم مما تدل عليه لغويًا حتى استقامت قواعدهم وتأصلت علومهم [٣].

وكثيرًا ما تختلف الاصطلاحات النحوية الدالة على ظاهرة واحدة أومعنىً واحد، وهذا الاختلاف يرجع إلى المناهج العلمية التي يتبعها طوائف العلماء وجماعاتهم ومدارسهم ، هذا بالإضافة إلى أن الاصطلاحات تمثل مرحلة تطورية قد تكون غير ناضجة في مفهوم المصطلح فيختلط مفهوم المصطلح للفكرة النحوية مع حدودها أو تعريفها [٤] .

وبهذا فإن للمصطلحاتسلّماً ترتقي فيه حتى تصل الذروةدقةً وانضباطاً، وبقدر كمالها ونضوجها تكتسب المعارف المبنية عليهااستقراراًورسوخاً .

وفيما يلي عرض تاريخي لظهور مصطلح العطف الرتبي وأصوله :

---

[١] المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، ص(٦) ،الأمير مصطفى السهابي ، معهد الدراسات العربية العالية ،القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٣٨٤-١٩٦٥م.

[٢] المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص(٢٢-٢٤) ،عوض حمد القوزي،الناشر عمادة شؤون المكتبات ،جامعة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١- ١٩٨١م.

[٣] المصطلحات العلمية (٦)- المصطلح النحوي (٢٣-٢٤) .

[٤] المصطلح النحوي ص (٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول:اصطلاحات النحويين في العطف الرتبي :

أولاً :العطف الرتبيتطبيقاً :

لم تكن المصطلحات النحوية والإعرابية متداولة عند العرب قديمًا وإن وجدت تطبيقاتها ، إذ يكفي قولُ العربيحجةً اعتمادًا على سليقته العربية ، وسلامة لسانه، فكان ظهور المصطلحات وتعددهاتبعًا للحاجة إلى تأصيل العلوم وضبط القواعد بعد فشواللّحن وشيوع الخطأ ،واعتُمد في وضع القواعد النحوية الشواهد القرآنية والفصيح من كلام العربشعرًا كان أونثرًا ، وهكذا جاء التطبيق قبل التقعيد.

والعطف الرتبي بدأ بالتطبيق العمليأولاً، والأصل فيه ما وقع في التنزيل العزيز من آيات تدل عليه ، أو ماذُقل من شواهد ترتبط به . وقد ذكرت في المبحث السابق بعضًا من هذه الشواهد عليه ، ومنها :

قوله تعالى ﴿كَمْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[الأعراف٤]

وذكر الفراء أن ما بعد (الفاء) قد يكونسابقًا في الوجود إذا كان في الكلام ما يدل عليه أو إذا كان وقوع الفعلين في وقت واحد .[1]

ومنه قوله تعالى:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزمر٦]ثمّ : من خبر المتكلم، وهذا كقولك: (قدأعطيتكَ اليومشيئاً، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر)[2].

(ثم الذي أعطيتك أمس أكثر) : الفعل المذكور في هذه الجملة وقع قبل الفعل المذكور في الجملة قبلها مع استعمال الحرف (ثمّ) ، فالترتيب الزمنيمنتفٍ فيها ، والغرض من دخول (ثم) عطفخبرٍ على خبر، دون إرادة ترتيب الحدث .

ومنه قول الشاعر: إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده [3]

ثم : تحتمل ترتيب الأخبار على أحد وجوه التأويل [4].

---

[1] معاني القرآن للفراء ٣٧١/١

[2] معاني القرآن للفراء ٤١٥/٢

[3] سبق تخريجه ص (١١)

[4] الجنى الداني ص(٤٢٨)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما ذكر في هذا العطف قولهم:(بلغني ما صنعت اليومثُمَّ ما صنعت أمس أعجب) ثم : يجوز أن تكون لترتيب الأخبار ،لا لترتيب الحكم [1].

فهذه الأمثلةُظهِر أن استعمال (الفاء- ثم) مع تخلف الترتيب الحقيقي واعتماد الترتيب المجازي فيهماأسلوبٌ عربيٌ فصيحٌ له تطبيقاته وشواهده ، وعلى هذه الشواهد المنقولةأسَّس النحويون قواعدهم ، ووضعوا أصولهم ، إذ كانت حجتهم في ذلك الفصيح المنقول [2].

ثانياً : العطف الرتبياصطلاحًا :

تعددت الاصطلاحات الدالة على العطف الرتبي ، واختلفت درجة وضوحها ودلالتها على هذا الأسلوب ، والجامع بينها قصد التنبيه على تخلف المعنى الحقيقي في حرف العطف وإرادةمعنىً آخر محتمل اختلف النحويون في تقديره ، وفيما يلي عرض لألفاظ النحويين وعباراتهم في هذا العطف :

١-ترتيب الأخبار : الأخبار بفتح الهمزة جمع خبر ، أو الإخبار بكسر الهمزة باعتبارهمصدرًا، أو (ترتيب الخبر) بالإفراد ،[3] والتركيز في هذا المصطلح على الخبر لا على وقوع الحدث ، فهو من ترتيب الناقل أو القائل لا من ترتيب الفاعل والملاحظ في هذا المصطلح تركيب الجملة ، إذ إن وضع الجملة هو المعتمد في إطلاق المصطلح بحسب ترتيب ألفاظها .

ويدور هذا المصطلح على الترتيب ودلالته في الجملة ، إلا أن لفظ الترتيب ليس اشتقاقًا من معنى (الفاء –ثم) المفيد للترتيب ، لعدم اختصاص هذا المصطلح بأسلوب العطف ، بالإضافة إلى أن المصطلحات الأخرى المرادفة له كـ(خبر المتكلم)لا تشير إلى الترتيب أبداً .

---

[1] الجنى الداني ص(٤٢٨) .

[2] يوجد شواهد أخرى على هذا العطف من أشعار العرب سيأتي ذكرها في الفصل الأول عند ذكر العطف الرتبيتطبيقًا عند المفسرين، واكتفيت في هذا المبحث بالشواهد المنقولة عند النحويين والمعتمدة في هذا الأسلوب.

[3] المتداول عند العلماء (ترتيب الأخبار) أما (الإخبار) فنقله المرادي في الجنى الداني عن ابن عصفور عن الفراء ثم أبطله ابن عصفور ، وورد بلفظ (الترتيب الإخباري) كما سيأتي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و اكتسب هذا العطف حضوراً أكثر في كتب النحو بالنسبة إلى غيره من المصطلحات فاعتمده معظم النحويين كما سنرى ، ويعد **الفراء** هو أول من تنبه إلى هذا وأطلق على هذا الاستعمال **(خبر المتكلم)**وهو ينطبق على مصطلح(ترتيب الأخبار) في مضمونه ويشابهه صياغةً [1]، ثم تبعه **الزجاج** وأطلق عليه**(ترتيب الخبر)** بالإفراد ، فقال في قوله تعالى﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران٥٩] : **"**هو على ترتيب الخبر، أي أخبركم أولا بخلقه من تراب، ثم أخبركم بقوله كن ، وأما قوله(فلا اقتحم العقبة)[البلد١١] وبعده(ثم كان من الذين آمنوا)[البلد١٧] فهو مثل الأول في ترتيب الخبر **"** [2].

وعرض له **أبو البقاء العكبري** عند تفسير(ثم) في قوله تعالى﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد١٧] [3]

يقول العكبري :

"(ثمّ) كالفاء في التشريك والترتيب إلاّ أنّها تدلُّ على المُهلةِ إذ كانت أكثر حروفاً من الفاء وقد جاءت لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبر عنه كقوله تعالى : (فإلينا مرجعهم ثمّ اللهُ شهيدٌ على ما يفعلون][يونس ٤٦]**"**[4]

ثم أورده **المرادي** في (الجنى الداني) في معرض التفصيل في معنى (ثم)نقلاً عمن سبقه فقال: **"** قال بعضهم: قد ترد ثم لترتيب الذكر. وهو معنى قول غيره:

---

[1] نقلت عبارة الفراء المتضمنة لاستعمال لفظ (خبر المتكلم) في المطلب الثالث من المبحث الأول.

[2] إعراب القرآن ، ١٠٤/١، الزجاج ،تحقيق :إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦-١٩٨٦م . الزجاج : إبراهيم بن السري الزجاج أبو إسحاق النحوي ، كان من أهل العلم والأدب والدين وصنف في معاني القرآن ، مات سنة ٣١١هـ . معجم الأدباء ٨٢/١ .

[3] التبيان في إعراب القرآن ،١٢٨٩/٢ ، لأبي البقاء عبد الله العكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت –لبنان ، الطبعة الثانية ،١٤٠٧-١٩٨٧م .

العكبري : عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء العكبري الأصل ،البغدادي المولد، الفقيه الحنبلي ، النحوي الضرير ،كانت وفاته سنة ٦١٦هـ ببغداد ودفن بباب حرب . طبقات المفسرين ص (٢١٩).

[4] اللباب في علل البناء والإعراب ،٤٢٢/١ أبو البقاء العكبري ، تحقيق غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ،دار الفكر دمشق ،الطبعة الأولى ،١٤١٦- ١٩٩٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترتيب الإخبار، وقد حمل بعضهم قوله تعالى :(ثم جعل منها زوجها) [الزمر٦]على أن ثمّ، في الآية، لترتيب الإخبار"[١] .

وذكره **ابن هشام** في مغني اللبيب [٢].

وقد يعبر عن هذا المصطلح بـ (الترتيب الإخباري)[٣] بالإضافة إلى المصدر المنسوب بالياء (إخباري)بياناً لنوعه .

- العطف الرتبي وترتيب الأخبار :

ترتيب الأخبار مصطلح واسع لا يختص بأسلوب العطف بل يرتبط بترتيب الأحداث دون اعتماد على حروف العطف أو غيرها .

مثال : قوله تعالى﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم١١-١٤] فقد ذكر الله تعالى وصف زنيم بعد ذكر الصفات السابقة مع العلم بأن كونه زنيماً أسبق من كل ما ذكر من الصفات ، وهذا من باب ترتيب الأخبار .[٤]

وبهذا يمكن القول أن بين العطف الرتبي وترتيب الأخبار عموم وخصوص ، فكل موضع من مواضع العطف الرتبي يندرج في (ترتيب الأخبار) ولكن ليس كل موضع من (ترتيب الأخبار) يدخل في العطف الرتبي .

٢- الترتيب في الذكر :

ويقصد به الإشارة إلى أن تقديم الخبر في الجملة بما يفيد تفصيل اللاحق للسابق أو بحسب تدرج مراتبها[٥] ، ويعتمد هذا المصطلح على ملاحظة تركيب الجملة والإشارة إليه كما في المصطلح السابق ، والملاحظ أن هذا التعبير أقرب ما

---

[١] الجنى الداني ص (٤٢٩و٤٣٠).

المرادي : الحسن بن قاسم المرادي المصري المولد ، نحوي لغوي فقيه مالكي ، المعروف بابن أم قاسم له مصنفات : شرح التسهيل – شرح الألفية وغيرها ،كانتقياً صالحاً ، مات سنة ٧٤٩هـ . بغية الوعاة ٤٩٧/١.

[٢] مغني اللبيب ص(١٢٧) .

ابن هشام :عبد الله بن يوسف الأنصاري النحوي ، ولد سنة ٧٠٨هـ ، كان كثير المخالفة لأبي حيان ، له مؤلفات منها :(التوضيح على الألفية – شرح التسهيل) وغيرها ، توفي سنة ٧٦١هـ . بغية الوعاة ٦٤/٢ .

[٣] حاشية الصبان ١٠٨٧/٣.

[٤] التحرير والتنوير٧٠/٢٩.

[٥] هذا يرجع إلى استعمال النحويين لهذا المصطلح فالمرادي جعله لعطف المفصل على المجمل ، والاستراباذي جعله للتدرج في مراتب الأخبار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون إجمالاً للأسلوب المتبع في الجملة أكثر من عدٍّ مصطلحًا بالمعنى العام ، إذ ليس فيه أكثر من كشف عن طريقة صياغة الجملة.

ويرادف هذا التعبير مصطلح (الترتيب الذكري)[1]،إذ لا فرق في دلالة هذين المصطلحين إلا من جهة الصياغة أو النحت ، وقد يرجع سبب العدول عن مصطلح (الترتيب في الذكر) إلى مصطلح (الترتيب الذكري)مع الاتفاق في دلالتهما ، إلى أن(الترتيب الذكري) أقرب إلى الصياغة الاصطلاحية من المصطلح السابق[2] ، فإن استعمال (الترتيب في الذكر) كان من باب التعليل أو إيضاح بعض ما أشكل من الشواهد المنقولة في كتب النحو، ولم يقصد جعله حدًا أريد به التقعيد.

وظهر استعمال هذا المصطلح حوالي القرن السادس الهجري ، فقد استعمله **الاستراباذي**[3] عند التفصيل في معنى (الفاء - ثم) ومجال استعمالهما، فقال :

" وقد تجئ (ثم) لمجرد **الترتيب في الذكر**، والتدرج في درج الارتقاء وذكر ما هو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان، بل ربما يكون قبله "[4] .

وذكره **المرادي** في كتابه (الجنى الداني)فقال :

" وقال بعضهم: الترتيب بالفاء على ضربين: ترتيب في المعنى، و**ترتيب في الذكر**" ثم قال : "... وأما الترتيب في الذكر فنوعان: أحدهما عطف مفصل على مجمل، هو في المعنى، كقولك: توضأ، فغسل وجهه ويديه، ومسح برأسه، ورجليه. ومنه قوله تعالى :(ونادى نوح ربه فقال رب] الآية. والثاني عطفٌ لمجرد المشاركة في الحكم، بحيث يحسن الواو .. ".[5]

---

[1] حاشية الصبان ١٠٨٥/٣ .

[2] قصدت ب(الصياغة الاصطلاحية) طريقة سبك المصطلحات اليوم من الميل إلى الاختصار والدقة .

[3] الرضي الإمام صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، لقبه نجم الأئمة ، ، توفي سنة ٦٨٤ أو٦٨٦هـ ، ولم يقف السيوطي على اسمه . بغية الوعاة ٥٤٧/١ .

[4] شرح الرضي على الكافية ٣٦٧/٢وما بعدها . سأقتصر هنا على ذكر الاصطلاحات وسيأتي التفصيل في هذا الأسلوب عند الاستراباذي في المطلب الثاني من هذا المبحث .

[5] الجنى الداني ص(٦٣)وص(٤٢٩). الآية [هود ٤٥]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكنَّ **الصبّان** [1] نبّه على مسألة مهمة بالنسبة إلى استعمال هذا المصطلح لم يذكرها المرادي وغيره فقال : "ليس المراد من الترتيب الذكرى مجرد ترتيب الشيئين مثلاً في الذكر؛ لأن هذا القدر لازم للذكر مع إسقاط الفاء أيضًا، بل ترتيب مراتب المذكور في الذكر أي: بيان أن المذكور أولاً حقه أن يتقدم في الذكر لتقدم رتبته على رتبة المتأخر، ولعل معنى التعقيب حينئذٍ بيان أن رتبة المتأخر قريبة من رتبة المتقدم غير متراخية عنه كثيراً ". [2]

فهذا الترتيب – عند الصبّان- مقصود من المتكلم ، وما جاء في الجملة من تقديمٍ وتأخيرٍ إنما هو لغرض ما أراده المتكلم ، وهو **التنبيه على مكانة المقدّم في الجملة** .

العطف الرتبي والترتيب الذكري :

(الترتيب الذكري)مصطلح قصد به التنبيه على أن الترتيب في الجملة بما يفيد تفصيل اللاحق على السابق ، والحقيقة أن مصطلح (الترتيب الذكري) مصطلح واسع يمكن أن يشمل أي أسلوب يحتمل تقديماً وتأخيراً دون اختصاصه بحرفي العطف ، وهذا التوسع في استعماله أورث اختلافاً في مكانة المعطوف أو أهميته في الجملة ، في حين كان مصطلح العطف الرتبي محدد الاستعمال بشكلٍ أوضح ، وسبب التأخير للمعطوف يرجع إلى الترتيب في الجملة بحسب الأهمية والمرتبة عند المتكلم ، وعلى هذا فكل عطف رتبي هو ترتيب ذكري ،ولا عكس .

٣- التراخي الرتبي :

بالرغم من اعتماد أكثر النحويين مصطلح (ترتيب الأخبار) للدلالة على العطف الرتبي ، فقد ظهر مصطلح جديد للتعبير عن هذا النوع من العطف وهو (التراخي الرتبي).

---

[1] محمد بن علي الصبان أبو العرفان ، مصري ولد وتوفي بالقاهرة ، له (الكافية الشافية في علمي العروض والقافية) وغيرها ، مات سنة ١٢٠٦هـ ، وهو دون الثلاثين من عمره . الأعلام للزركلي ٢٩٧/٦ .

[2] حاشية الصبان ١٠٨٥/٣، هذا التوجيه انفرد به الصبان حسب اطلاعي ولم أطّلع على من وافقه في ذلك ،و للمفسرين توجيهٌ آخر بالنسبة للتقديم والتأخير في الجملة ،سيأتي التفصيل فيها في الفصل الثاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا المصطلح مشتق من دلالة حرف العطف (ثمّ) الدال على الترتيب بمهلة ، والمُعبَّر عنه بلفظ (التراخي) ، إلا أن هذا التراخي ليس على حقيقته من حيث الوجود الزمني، وإنما هو من قبيل المجاز ولهذا اصطلح عليه لفظ (الرتبة)ومع النسبة إليه أصبح المصطلح (التراخي الرتبي).

وبهذا يتبين أن هذا المصطلحوُضع للدلالةأصلاً على العطف الرتبي ، من خلال ملاحظة المعاني المختصة بهذا العطف ثم صياغة المصطلحبناءً عليها ، فهذا المصطلح يركز على الغرض المقصود بهذا العطف وهو التنبيه على أسباب التقديم والتأخير في الجملة وأهميته، بخلاف غيره من المصطلحات التي وقفت عند حدود اللفظ أو التعليل ، وهكذا اختص هذا المصطلح بأسلوب العطف بالحرف (ثم) دون غيره .

ولعل اتساع مجال استعمال مصطلح (ترتيب الأخبار) وعدم اختصاصه بالعطف كان هو سبب العدول عنه والبحث عن مصطلح جديد للتعبير عنه .

ولم يكتسب هذا المصطلححضوراً واسعًا في كتب النحو كـ (ترتيب الأخبار) إذ كان ذاك المصطلح أكثرشيوعًاوشهرةً بين النحويين باعتباره الأصل .

وظهر مصطلح (التراخي الرتبي) عند النحويين في نهاية الألف الأولى للهجرة ، فقد جاء في كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي في معرض البحث في دلالة (ثم) فقال: " والتراخي الرتبي ليس معنى (ثمّ) في اللغة وغيرها بل يطلق عليه (ثمّ)مجازاً ، وقد يجعل تغاير البحثين والكلامين بمنزلة التراخي في الزمان فيستعمل له (ثمّ) ، وهو أصل في الزمان فما أمكن لا يصرف عنه إلى غيره " [1].

وهذه كانت بداية ظهور هذا المصطلح عند النحويين ، وإن كان مفهومهحاضراً في أذهانهم ،ومستعملاً في شواهدهم .

المطلب الثاني : اتجاهات النحويين في العطف الرتبي :

[1] كتاب الكليات ص(٣٢٥) ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ،وضع فهارسه ،د. عدنان درويش- محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .
أبو البقاء الكفوي : أيوب بن موسى الحسيني ، ولي القضاء في (كفه)بتركيا ،وبالقدس وبغداد ، عاد إلى استانبول فتوفي فيها سنة ١٠٩٤م .الأعلام ٣٨/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتنى اللغويون عناية بالغة بجمع الشواهد اللغوية لتأسيس قواعدهم بناءً عليها ، وقد بذلوا قصارى جهودهم في تمحيصها والتفصيل فيها والبحث في مضمونها ، وكانت لهم وقفات مع العطف الرتبي من خلال عرض الشواهد الدالة عليه وتأويله :

أولاً : اختلاف النحويين في تأويل العطف الرتبي :

اعتمد النحويون في العطف الرتبي على الشواهد المنقولة ، واقتصر ذكر العطف الرتبي فيها على التأويل أو التعليل بمصطلحاتٍ مختلفة كما ذكرت سابقًا ، إذ إن تخلف الترتيب الزمني فيها كان محل نظر عندهم ، فوجهوا اهتمامهم للبحث فيه وتوجيهه .

وكان القول بالعطف الرتبي وسيلة لفهم الغرض من العطف في الجملة ، ونوع الترتيب المعتمد فيها وسبيلاً لإزالة ما يقع من تعارض في بعض مواضع هذا العطف.

وقد أكثر النحويون في معرض التفصيل في حروف العطف ودلالتها ، وبيان المقصود من الترتيب وأقسامه من إيراد الشواهد القرآنية في هذا الأسلوب ، وبينوا استعمالاته في كلام العرب وأساليبهم ، ولم يكن ثمة اتفاقٌ بينهم ، إنلكلٍ منهم وجهة في البحث فيها ،وطريقة في فهمها فتعددت الأقوال وكثرت الاختلافات وتباينت الآراء .

ففي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف١١] ذهب الأخفش إلى تأويل(ثمّ) أنها بمعنى الواو، أو تأويل (صورناكم): بقصد آدم وإن جاءت للجمع ، كما تقول للقوم (ضربناكم) وقد ضربت سيدهم [1] .

ومنه قوله تعالى:﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[الأعراف٤] فيحتمل وجهين : ١- أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا.

[1] معاني القرآن للأخفش ٣٢١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-أهلكناهاإهلاكًا من غير استئصال فجاءها بأسنا فهلكت هلاك استئصال.[١]

فالترتيب واقع إلا أن التعقيب المعتبر في(الفاء)تخلّف .

ومال بعضهم إلى نفي الترتيب عن (الفاء) وبهذا استغنى عن التأويل[٢] .

وفي هذه الأقوال توجيهٌ للشواهد بطرق متعددة دونغرض ٍ للعطف الرتبي أو حاجة لإثباته بترجيح تأويلٍ آخر معتمد بحسب اجتهاد الباحث، لكن دون تصريحٍ برفض هذا النوع من العطف، بينما ذهب بعض النحويين إلى التعليل به واعتماده لإزالة ما كان في هذه الشواهد من لبس أو غموض وقع عند العطف بـ (الفاء -ثمّ).

فنقل ابن هشامقولاً في آية الأعراف باحتمال جعلها من قبيل(الترتيب الذكري)[٣] .

والملاحظ عند النحويين :

١-أن النحويين قد وقفوا في هذا العطف عند حدود التعليل ، وهذا ما تدلّ عليه مصطلحاتهم المستعملة فيه (كترتيب الأخبار- الترتيب في الذكر) فلم يكن فيها أكثر من ملاحظة تركيب الجملة ووضع ألفاظها ، ثم إطلاق المسمى المناسب على هذا الأسلوب في التعبير .

٢- لم يفيضوا- أي النحويون- في أسباب العدول عن الترتيب الحقيقي إلى الترتيب الرتبي وحقيقته ، إذ كان اعتماد نوع جديد للترتيب المعتبر في حروف العطف كافيًا لفهم الكلام والحكم بفصاحتهاستنادًا إلى المسموع عن العرب .

٣- الشواهد المنقولة فيه أنها كانتمحدودةً تناقلتها كتب النحو بعينها دون البحث فيما وراءها تأويض ٍ بغيرها ، فكأنما أصبحترمزًا على هذا العطف يعتمد عليها الباحثون فيما بعد .

ويعد الفراء من أول من نبه على هذا العطف وأشار إليه في عددٍ من المواضع المختلفة من كتابه كما ذكرت ، فقال في قوله تعالىثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ][النساء١٥٣] :

---

[١] شرح جمل الزجاجي ٢٣٤/١

[٢] هذا ما نقله السيوطي عن الفراء وقد تقدم تحرير هذا القول ص (٦) ، راجع همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٢٣٢/٥

[٣] مغني اللبيب ص(١٦٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وقوله (ثم اتخذوا العِجل)ليس بمردود على قوله (فأخذتهم الصاعقة) ثم اتخذوا؛ هذا مردود على فعلهمالأوّل. وفيه وجه آخر: أن تجعل (ثم)خبراً مستأنفاً . وقد تستأنِف العرب بـ(ثمّ) والفعلُ الذى بعدها قد مضى قبل الفعلالأوّل؛ من ذلك أن تقول للرجل: قد أعطيتك ألفا ثم أعطيتك قبل ذلكمالاً؛ فتكون (ثمّ)عطفاً على خبر المخبر؛ كأنه قال: أخبرك أنى زرتك اليوم، ثمأخبِرك أني زرتك أمس".[1]

ثم تبع أغلب النحويين الفراء ونقلوا عنه كالزجاج وابن مالك وأبو حيان والمرادي معتمدين على ما ذكره من الشواهد وتأويلها .[2]

هذا منهج أغلب النحويين وإن كان منهم من تفنن في ذكر بعض الشواهد الجديدة وتحليلها ، فقد عرض الزجاجبعضًا من الشواهد المتميزة وأبرز وجوه تأويلها .

فقال : قوله تعالى :ثُمَّ لَنُسْأَلَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ][التكاثر ٨] فقد قيل هذا على الإخبار أيضاً، أي ثم أخبركم بالسؤال عن النعيم، لأن السؤال قبل رؤية الجحيم وقيل بل المعنى يقال لكم أين نعيمكم في النار وأين تمتعكم به؟

وقوله اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ][النمل ٢٨] أي فأخبرهم بالإلقاء، ثم أخبرهم بالتولي ، وقيل في قولهفَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ] فليس التولي الانصراف، وإنما معناه، تنح عنهم بعد إلقاء الكتاب إليهم بحيث يكونون عنك بمرأى ومسمع، فانظر ماذا يردون من جواب الكتاب [3].

وبهذا لم يكتف الزجاج بنقل الشواهد عن غيره من النحويين ، وإنما أبدع في عرض شواهد هذا العطف ووجوه دلالتها وتأويلها .

هذا فيما يتعلق بمذاهب النحويين في تأويل العطف الرتبي أما عند البحث في مواضع العطف الرتبي عندهم فالملاحظ بدايةً أنّ اتساع مصطلحات هذا النوع من العطف وعدم تحديد دلالتها بدقة أدرج فيها تطبيقات متعددة شملت **مواضع العطف**

---

[1] معاني القرآن للفراء ٣٧١/١وانظر ٤١٥/٢ أيضاً .

[2] إعراب القرآن للزجاج١٠١/١ وما بعدها - شرح التسهيل٣/ ٣٥٦ـــ ارتشاف الضرب ١٩٨٩/٤- الجنى الداني(٤٢٩).

[3] إعراب القرآن للزجاج ١٠٤/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بحرفي (الفاء-ثمّ) لتضمنهما معنى الترتيب، كما ذُكر في (ترتيب الأخبار أو الترتيب الذكري).

وأما اختصاص العطف الرتبي بعطف الجمل فهو بحسب ما ذكره الاستراباذي عند التفصيل في استعمال (الفاء) فقال :" وقد تفيد الفاء **العاطفة للجمل**: كون المذكور بعدها،كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر.." .[1]

وهذاالمصرّح به عنده يُلاحظ من استقراء الأمثلة المذكورة في العطف الرتبي عند النحويين في استعمال (ثمّ) ، كما في قوله تعالى:﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[الزمر٦] (ثم جعل منها ..) ثم : عطفت جملة على جملة ، وقوله تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران٥٩] (ثم قال له ..) ثم : عطفت جملة على جملة ، قوله تعالى:﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد١٧] (ثم كان من ...) عطف جملة على أخرى، أو قول الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

(ثم ساد) عطف جملة على جملة .

وذكر الصبان في الترتيب الذكري قوله تعالى :﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] [2]

(فقالوا أرنا الله جهرة) : جملة معطوفة على ما قبلها بالفاء .

وبهذا نستطيع القول :أن العطف الرتبي عند النحويين يشمل حرفي (الفاء –ثمّ) ، ويرتبط بعطف الجمل بحسب الأمثلة المذكورة في ذلك .

ثانيًا : مفهوم العطف الرتبي عند الاستراباذي :

وقف النحويون في العطف الرتبي عند حدود التأويل والتعليل في بعض مواضع هذا العطف وشواهده ،لكنّ الاستراباذي أولى هذا النوع من العطف عناية خاصة من الناحية الاصطلاحية والتطبيقية .

---

[1] شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٦٥

[2] حاشية الصبان ٣ /١٠٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذكر في هذا الأسلوب جملة من الاصطلاحات المتعددة مع عرض الشواهد عليها وإيضاحها وتطبيقها، فأشار إلى ما ذكره النحويون من (الترتيب في الذكر- عطف المفصل على المجمل).

وقال في معنى (الفاء):

"وقد تفيد الفاء العاطفة للجمل: كون المذكور بعدها،كلاماً مرتباً على ما قبلها في الذكر، لا أن مضمونها عقب مضمون ما قبلها في الزمان، كقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر ٧٢] "[1]

وزاد على ما ذكره النحويون بما تدل عليه (ثمّ) من الاستبعاد ، وفصّل في معنى (الترتيب في الذكر) فقال :

"وقد تجئ (ثم) لمجرد الترتيب في الذكر، **والتدرج في درج الارتقاء** وذكر ما هو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار التراخي والبعد بين تلك الدرج ولا أن الثاني بعد الأول في الزمان، بل ربما يكون قبله، كما في قوله:

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

فالمقصود ترتيب درجات معالي الممدوح، فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جده، لأن سيادة نفسه أخص ثمّ سيادة الأب ثمّ سيادة الجدّ ، وإن كانت سيادة الأب مقدمة في الزمان على سيادة نفسه، فـ (ثمّ) ههنا كالفاء في قوله تعالى فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر ٧٢]

فقد أكثر الاستراباذي من الشواهد المتنوعة ، وربط بين مفهوم (الترتيب في الذكر) ومعنى الاستبعاد في بعض المواضع فقال :

" وقد تكون ثم، والفاء، أيضا، لمجرد التدرج في الارتقاء، وإن لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[طه٨٢] أي بقي على ذلك الهدى من التوبة والأيمان والعمل الصالح، كما قيل في:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة٦] أي أبقنا عليه، فاستعمل (ثمّ)،نظراً إلى

[1] شرح الرضي على الكافية ٣٦٥/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمام البقاء،واستبعاداً لمرتبة البقاء عليها من مرتبة ابتدائها، لأن البقاء عليها أفضل، فيكون كما قلنا في قوله﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾[المؤمنون١٤]"[1].

وبناءً على هذا : فالاستراباذي لم يقصد بمصطلح (الترتيب في الذكر) الوقوف عند تركيب الجملة وصياغتها ، بل أراد التنبيه على أن الترتيب الموضوع في الجملة يتدرج بحسب الأهمية فيكون المعطوف أهم من المعطوف عليه وأرقى رتبة ،و قد أوضح ذلك من خلال ما جاء به من الأمثلة، وهذا هو المعنى الحقيقي (للعطف الرتبي) والمقصود بهذا الاصطلاح ، وهذا المذكور عند الاستراباذي يخالف ما قرره الصبان في الترتيب في الذكر بكون المذكور أولاً مقدّم رتبةً [2].

والاستراباذي وإن لم يصل إلى إطلاق هذا المصطلح فإنه أصاب في عرض مفهومه ومعناه عندما أشار إلى تفاوت مرتبة المعطوف عن مرتبة المعطوف عليه في قوله تعالى :﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه٨٢]

وهذا التفصيل عند الاستراباذي من كون المعطوف أعلى رتبة من المعطوف عليه لم يذكره النحويون في شأن (الترتيب في الذكر) ولهذا كان مصطلح (الترتيب في الذكر عند النحويين)قاصراً عن التنبيه عن أهمية هذا الأسلوب وغرضه ، بينما كان لمفهوم (العطف الرتبي) دلالة أعمق في المعنى والمضمون .

[1] شرح الرضي على الكافية ٣٦٨/٢

[2] حاشية الصبان ١٠٨٥/٣ ، نقلت عبارة الصبان الدالة على ذلك ص (٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة :

وأخيراً نرى أن عناية النحويين انصبت على موضوع (الترتيب) في الجملة ،وهذا ما يعكسه مصطلح (الترتيب في الذكر أو ترتيب الأخبار) المتداول بينهم ، والذي يستعمل في حرفي (الفاء- ثم) واعتناء النحويين بمسألة الترتيب فتح المجال واسعاً للتأويل والتعليل فتعددت مذاهبهم واختلفت أقوالهم دون تصريحٍ منهم برفض القول بالعطف الرتبي أو إنكاره ، أما بالنسبة إلى المعطوف فلم يكن له أي رتبة عند النحويين ، ولم يبحثوا في أسباب تأخره في الجملة أو مكانته فيها ، ويُعد الاستراباذي أول النحويين تنبيهاً إلى ما في هذا لأسلوب من دلالة أبعدومعنىً أبلغ من مجرد الترتيب الظاهري في الجملة ، و للصبان اجتهادخاصٌ فيه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : العطف الرتبي في كتب التفسير:

تمهيد :

تصدى العلماء لتفسير القرآن الكريم ومعرفة علومه واستنباط أحكامه ، وبذلوا أقصى جهد في ذلك، ودراسةُ التفسير تظهر عظم الجهود المبذولة من المفسرين في فهم كتاب الله تعالى وتفسيره .

ولم يكن المفسرون على مرتبة واحدة من الفهم والاستنباط بل كان لكل واحدمنهجٌ خاصٌ وأسلوبٌ معينٌ ، فقد تجدالمفسرَ يبدع في أحد جوانب التفسير ،ثم يغفل عن جانب آخر، و هذا يوجب على الباحث أن يبذل وسعه في البحث ليظهر له الراجح من المرجوح فيصل إلى مراد الله عز وجل بقدر طاقته.

والبحث في موضوع العطف الرتبي عند المفسرين يبرز اختلاف المفسرين في تقدير المعنى ، و بهذاتتجلّى أسباب الاختلاف وأثره في تفسير كتاب الله تعالى .

وهذا الفصل يركز على جهود المفسرين في العطف الرتبي من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: اصطلاحات المفسرين في العطف الرتبي.

المبحث الثاني: أسباب تباين المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي .

المبحث الثالث: اتجاهات المفسرين في العطف الرتبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : اصطلاحات المفسرين في العطف الرتبي :

ذكرت في الفصل السابق أن المصطلحات العلمية ترتقي حتى تصل الذروة دقةوانضباطاً ، وكما تعددت اصطلاحات النحويين في الدلالة على العطف الرتبي تعددت ألفاظ المفسرين وتباينت عباراتهم فيه ، فاتفقوا مع النحويين في استعمال بعض المصطلحات وتفننوا في إطلاقألفاظٍ جديدة ، وفيما يليعرضٌ اصطلاحي لمفهوم العطف الرتبي عند المفسرين :

المطلب الأول : تأصيل العطف الرتبي لغوياً عند المفسرين :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، وبلغ الذروةفصاحةً وبلاغةً ، فتعددت أساليب الخطاب فيه وتنوعت طرق بيانه فجيء بالألفاظ في مكانها وانتظمت التراكيب في مواضعها ، وترابطت الآيات مع بعضها ، ولم يخرج في ذلك كله عن معهود العرب من الخطاب ، وإنما جاء على أساليبهم وجرى على معهودهم في الفهم .

و لهذا لابد في فهم كتاب الله عز وجل وإدراك أسراره من التعرف على أساليب العرب وعادتهم في صياغةِ الكلاموتركيبِ الجملة واستعمال اللفظ من خلال الفصيح المنقول من كلامهم ، ثم اعتماد هذا وسيلة لفهم القرآن الكريم وإدراك معانيه.

وبهذا يكون تفسير القرآن الكريم وفق معهود العرب في تلقي الخطاب شرطاً لابد منه ولا يمكن تجاوزه عند المفسرين إذكثيراً ما يؤدي الجهل بأساليب العرب إلى الخطأ في فهم الآيات والخروج عن المراد بها .

ومما جاء في كتاب (الموافقات) :" فإن كان للعرب في لسانهمعُرفٌ مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة ، وإن لم يكنثَمَّعُرفٌ فلا يصح أن يجري في فهمها على مالا تعرفه ، وهذاجارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب "[1]

وقد راعى المفسرون ذلك في تفسيرهم لكتاب الله ،فكان إتقان اللغة العربيةشرطاً لابد منه للمتصدي لتفسير القرآن الكريم ، ثمكثيراً ما كانوا يحرصون على بيان

[1] الموافقات في أصول الشريعة ،٦٢/٢ ، لأبي إسحاق الشاطبي ، شرحه :عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعمالات العرب في دلالة الألفاظ وصياغة التراكيب قبل تقرير معنى الآية وتعيين المراد بها .

ومع تتبع مواضع العطف الرتبي في كتب التفسير نستطيع إدراك ذلك تمامًا ، فقد حرص المفسرون على إثبات هذا الأسلوب وبيان استعمالاته في كلام العرب فجاءوا بالفصيح من كلامهم وفصلوا في دلالته ، ثم فسروا الآية بناءً على ما فهموه من هذا الأسلوب .

فنقل الفراء والطبري والرازي وأبو السعود والآلوسي والشوكاني [٢] تمثيلاً على هذا الأسلوب قولهم : (بلغنى ما صنعت اليوم ،ثمّ ماصَنعت أمس أعجبُ)[٣]

فالجملة المعطوفة متقدمة عن الجملة المعطوف عليها حدوثاً ، مع دخول حرف الترتيب (ثم) .

وأورد الرازي وابن عطية والنيسابوري[٤] شاهدًا عليه قول الشاعر :

---

[٢] الطبري : محمد بن جرير أبو جعفر ، أحد الأئمة ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، كان حافظاً لكتاب الله ،بصيراً بالمعاني،فقيهاً في أحكام القرآن ،عالماً بالسنن ،أصله من طبرستان ،ولد سنة ٢٢٤هـ بآمل ،ومات سنة ٣١٠هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٤٨)وما بعدها .

-الرازي:محمد بن عمر الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري من ذرية أبي بكر الصديق ،الشافعي المفسر المتكلم ،ولد سنة ٥٤٤هـ له الكثير من المؤلفات منها: المحصول ، إعجاز القرآن ،توفي سنة ٦٠٦هـ بهراة. طبقات المفسرين الأدنروي ص(٢١٣و٢١٤).

- أبو السعود العمادي : وكان أبوه الشيخ محمد بن مصطفى العماد ، ولد في شهر صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة صنف إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم في التفسير ، وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . طبقات المفسرين -الأدنَروي ص (٣٩٨)

-الآلوسي محمد بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين ،مفسر محدث من أهل بغداد ، كان مجتهداً تقلّد الإفتاء ببلده ثمّ عُزل فانقطع للعلم ، توفي سنة ١٢٧٠ . الأعلام للزركلي ١٧٦/٧ .

-الشوكاني محمد بن علي فقيه مجتهد من اليمن ،ولد بهجر شوكان من بلاد خولان باليمن ،نشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ، ومات حاكماً لها ، كان يرى تحريم التقليد ،له (١١٤)مؤلفاً ، مات سنة ١٢٥٠ هـ. الأعلام ٦ / ٢٩٨ .

[٣] معاني القرآن للفراء ٤١٥/٢ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن / ١٩٤- التفسير الكبير ٤٢٤/٩ ، للإمام محمد الرازي ، طبعة إعداد مكتب دار إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م _ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢٠١/٣ ، لأبي السعود مجكد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤٠٩/٨ -لأبي الفضل محمود الآلوسي تحقيق السيد محمد السيد ،سيد إبراهيم عمران ،دار الحديث، القاهرة ،١٤٢٦-٢٠٠٥م – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، ٢٠٤/٢ ، محمد بن علي الشوكاني ، دارالكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٤١٩-١٩٩٨م.

[٤] -النيسابوري : حسن بن محمد الشهير بابن القمي النيسابوري ،عالمٌ فاضلٌ ، نظام الدين وكان يُعرف بنظام الأعرج ولم يعرف تاريخ وفاته .طبقات المفسرين الأدنروي ص(٤٢٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده[٥]

وذكر الزمخشري والبيضاوي [٦] شاهداً عليه قول الشاعر :

لا يكشف الغمّاء إلاّ ابن حُرّة يرى غمرات الموت ثم يزورها[٧]

ثم : للاستبعاد استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واطّلع على شِدّتها.[٨]

وساق ابن عاشور شاهداً عليه ، قول الشاعر :

جَذُوحٌ دُفاقٌ عَنْدَلٌ أُمُّقَرٍ غَت لَهَلَكَتِفَاها فِيهِعَالِيمُصَعَّدِ [٩]

(ثم) :تفيد العطف الرتبي ، فبعد أن ذكر جملة من صفات الناقة المميزة نبّه إلى وصفٍ أهم وهو طول قامتها [١٠].

وأخيرًا : فقد وردت تطبيقات هذا العطف في القرآن الكريم ، وتكرر استعماله ، وتزايدت شواهده، وهذا كله دفع المفسرين إلى البحث في هذا العطف وتتبع مواضعه واستعماله ، لإطلاق المصطلحات المناسبة المعبرة عنه ، ولإظهار أهميته وفوائده .

---

[٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٠٢/١٢- التفسير الكبير ١٧٠/١١ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٥٠٤/٦ ،نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، ضبطه : الشيخ زكريا عميرات ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦- ١٩٩٦م. وقد سبق تخريج هذا الشاهد ص(١٥) .

[٦] عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ، ولي القضاء بشيراز ، كانت وفاته في بلدة تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة. طبقات المفسرين ،الأدنروي ص(٢٥٤).

[٧] البيت من البحر الطويل ، الغماء والغم والغمة والغمم مرجع جميعها إلى التغطية . و المراد : لا يكشف الخصلة الشديدة إلا رجلٌ كريم يرى قحم الموت ثم يتوسطها ويصبر فيها ولا يعدل عنها ، والشاعر : جعفر بن علبة الحارثي . شرح ديوان الحماسة ٤٩/١ – والشاهد مذكور في الكشاف ٣/ ٥١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢٢٢-لأبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي - تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨

[٨] الكشاف ٥١٥/٣

[٩] هذا البيت من البحر الطويل للشاعر طرفة بن العبد ، جنوح : تجنح براكبيها في سيرها – دفاق : متدفقة في سيرها مسرعة ، عندل: ضخمة الرأس ، أفرغت :رُفعت ، معالى : مرتفع . جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ٤٢٩/١ ، محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق :د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

[١٠] التحرير والتنوير ٣٧٧/١ ، هذا الشاهد انفرد ابن عاشور بذكره عند عرض شواهد العطف الرتبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : العطف الرتبياصطلاحًا :

اختلفت ألفاظ المفسرين وعباراتهم في التعبير عن العطف الرتبي ،فتعددت المصطلحات الدالة عليه ، وفيما يلي بيان لمصطلحات المفسرين فيه :

١- ترتيب الأخبار (أو الإخبار) أو تأخير الخبر:[١]

يُعدّ مصطلح (ترتيب الأخبار)الأصل في موضوع العطف الرتبي ، فاعتمده عدد من المفسرين في بعض المواضع .

ويعد الزجاج أول من نبه على هذا المصطلح فأطلق عليه (ترتيب الخبر) بالإفراد بجعل الجمل المعطوفة بمثابةخبرٍ واحد، بينما يدل مصطلح (ترتيب الأخبار) بالجمع على أن كل جملة من الجمل المعطوفةخبرًا مستقلاً .

وذكره ابن عطية والقرطبي والنيسابوري و وابن جزي و أبو حيان والسمين الحلبي والثعالبي وابن عادل والشربيني [٢] وأبو السعود والآلوسي وابن عاشور [٣]

---

[١] بعض هذه الاصطلاحات قد سبق التفصيل في دلالتها فلا حاجة للإعادة ، إلا إذا وجدتاختلافًا في مدلول المصطلح بين المفسرين

[٢] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، توفي سنة ٦٣١هـ . . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٢٤٦) .

-ابن جزي : محمد بن أحمد الكلبي ، أبو القاسم ، فقيه من علماء الأصول واللغة، من كتبه : التسهيل لعلوم التنزيل – تقريب الوصول إلى علم الأصول ،ولد ٦٩٣هـ وتوفي ٧٤١هـ . الأعلام ٣٢٥/٥.

-السمين الحلبي :أحمد بن يوسف شهاب الدين نزيل القاهرة ، كان ماهرا في النحو لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه ، توفي سنة ٧٥٦ هـ . طبقات المفسرين – الأدنروي ص(٢٨٧) .

-الثعالبي :عبد الرحمن محمد الجزائري ، صنف التفسير المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، توفي في سنة ست وسبعين وثمانمائة . طبقات المفسرين الأدنروي ص(٣٤٢)

- ابن عادل عمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي الدمشقي ، صنّف اللباب في علم الكتاب ، توفي بعد ٨٨٠هـ طبقات المفسرين الأدنروي ص (٤١٨).

- الشربيني محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، فقيه شافعي مفسر ، من أهل القاهرة ، صنّف : السراج المنير ، مغني المحتاج وغيرها ،توفي ٩٧٧هـ . الأعلام ٦/٦ .

[٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٢٤/١ – الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/١ - غرائب القرآن ٦١٥/٦-٦١٥/٦-

تفسير ابن جزي ٢٠٠/١ ، أشرف عليه لجنة تحقيق التراث العربي في دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - البحر المحيط ٢٩١/٩ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢١٣/٦، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق :أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق - الجواهر الحسان في تفسير القرآن٢٤٩/٣، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الثعالبي، تحقيق :علي محمد معوض – عادل عبد الجواد وشارك في التحقيق : عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ ، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م – اللباب في علوم الكتاب ١٠ /٣٤٥، أبو حفص ابن عادل الدمشقي ، تحقيق : عادل عبد الموجود – علي محمد معوض، شارك فيه : محمد سعد رمضان حسن – محمد المتولي الدسوقي حرب ، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول النيسابوري في تفسير قوله تعالى:{خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}[الزمر ٦]: " ومعنى(ثم) ترتيب الأخبار لأن الأولى عادة مستمرة دون الثانية إذ لم يخلق أنثى غيرحوّاء من قصيري رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع".[١]

وذكر السمين الحلبي وابن عادل والآلوسي والسعدي[٢] لفظ (الترتيب الإخباري).[٣]

واستعمل البغوي والخازن لفظ (تأخير الخبر) كما ذكرا في تفسير قوله تعالى :{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ }[الأنعام١٥٤] :

"(ثمّ): لتأخير الخبر لا لتأخير النزول ".[٤]

وقد حاول ابن عطية التفنن في الاصطلاح فأضاف مصطلحاً مرادفاً لـ (ترتيب الأخبار) وهو (ترتيب القول) ، فقال في تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام١٥٤]

الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م - السراج المنير ٢/ ١٧١، الإمام الخطيب الشربيني، خرّج أحاديثه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م - إرشاد العقل السليم ١٣٧/٧–روح المعاني ٤٤٤/٨ -التحرير والتنوير ١١٢/٣

[١] غرائب القرآن ٦١٥/٦ القُصْرَى والقُصَيْرَى الضِّلَعُ التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن . لسان العرب ، مادة (قصر)، ١٨٨/١١.

[٢] عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،مفسر من علماء الحنابلة ،من أهل نجد،ولد ١٣٠٧هـ ، وتوفي ١٣٧٦هـ. الأعلام ٣٤٠/٣.

[٣] الدر المصون ٢٦١/٥- اللباب ٩/ ٢٨ – البحر المديد - روح المعاني ٤٠٩/٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٢٨٠) ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،قدّم له : الشيخ عبد الله بن عقيل – الشيخ محمد الصالح العثيمين ، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

[٤] معالم التنزيل ١٧٢/٢، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م . الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدين كان إماما في التفسير والحديث والفقه، شرح السنة والمصابيح والجمع بين الصحيحين ، توفي سنة ٥١٦هـ .طبقات المفسرين الأدنروي ص (١٥٩).
– لباب التأويل في معاني التنزيل ١٧٣/٢، علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ، ضبطه عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي أبو محمد الشيخ علاء الدين المعروف بالخازن ، توفي في حدود ٧٢٥هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٢٦٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"(ثم): في هذه الآية إنما مهلتها في ترتيب القول الذي أمر به محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ثم مما قضيناه أنا آتينا موسى الكتاب ويدعو إلى ذلك أن موسى عليه السلام متقدم بالزمان على محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوته ما حرم الله ". [1]

و يطابق هذا التعبير في مدلوله مصطلح (ترتيب الأخبار) فلا اختلاف بينهما .

٢-الترتيب في الذكر :

تكرر استعمال هذا المصطلح عند النحويين و بعض المفسرين ، فاعتمده أبو حيان و الآلوسي في بعض مواضع هذا العطف .[2]

يقول أبو حيان في معنى قوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾[الأنعام ٢]: " ﴿قَضَى﴾ إن كانت هنا بمعنى قدر وكتب ، كانت ﴿ثُمَّ﴾ هنا للترتيب في الذكر لا في الزمان لأن ذلك سابق على خلقنا " [3]

واستعمله الشنقيطي في بعض المواضع كقوله تعالى :﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة : ١٩٩] فقال في معنى (ثمّ) :

" وعليه فلفظة ثم للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملة، وترتيبها عليها في مطلق الذكر، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[البلد ١٣-١٧][4].

وذكره القاسمي في تفسير قوله تعالى:﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[الذاريات١- ٤] فقال :

---

[1] المحرر الوجيز ٤٠١/٥

[2]– البحر المحيط ٣٠١/٢– روح المعاني ١١٥/٧

[3] البحر المحيط٤٣١/٤

[4] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦٦/١و١٦٧ ومن المواضع التي ذُكر فيها (الترتيب الذكري) عنده [البلد١٧] ٢٣٢/٩ ، محمد الأمين الشنقيطي ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد ، .
الشنقيطي:محمد الأمين بن محمد المختار مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) حجّ واستقرّ في المدينة المنورة ثم الرياض ، ولد ١٣٢٥هـ وتوفي ١٣٩٣هـ. الأعلام ٤٥/٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فائدة الفاء إن قيل : إنها صفات للرياح ، فلبيان ترتيب الأمور في الوجود ؛ فإن الذاريات تنشئ السحاب ، فتقسم الأمطار على الأقطار . وإن قيل : إنها أمور أربعة، فالفاء للترتيب الذكريّ أو الرتبيّ "[1]

أما ابن عاشور فاستعمل مصطلح (الترتيب الذكري) وخصّه فيما عُرف عند النحويين بـ (عطف المفصل على المجمل) وهو غير العطف الرتبي عنده؛ لأن العطف الرتبي عنده هو عطف جملة على أخرى، فقال في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ)[البقرة ٥٤]

"والفاء في قوله : (فاقتلوا أنفسكم)ظاهرة في أن قتلهم أنفسهم بيان للتوبة المشروعة له فتكون الفاء للترتيب الذكري وهو عطف مفصل على مجمل كقوله تعالى : (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة][النساء ١٥٣] كما في «مغني اللبيب» وهو يقتضي أنها تفيد الترتيب لا التعقيب ."[2] .

العطف الرتبي والترتيب في الذكر :

الترتيب في الذكر : مصطلح واسع ، يطلق اعتمادًا على ملاحظة تركيب الجملة ويكون التقدم والتأخر حسب بداية الكلام ،دون اعتبار ترتيب الأحداث أو دخول حرف العطف ودلالته فيها، فيمكن أن يتداخل هذا المصطلح مع استعمالاتٍ مختلفة لا تدخل في العطف الرتبي ، كما في مصطلح ترتيب الأخبار ، أما العطف الرتبي فيختص بأسلوب العطف باعتبار استعمال بعض حروفه المفيدة للترتيب وموقع المعطوف في الجملة.

وفي مصطلحي – ترتيب الأخبار والترتيب الذكري – قد يختلف المفسرون في استعمالهما فقد يستعمل المفسر أحدهما ويريد مضمون العطف الرتبي -محل البحث - كما استعمل النيسابوري ترتيب الأخبار في آية الزمر، وقد يميّز المفسر بينهما

[1] محاسن التأويل ٥٥٢١/١٥،محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى،١٣٧٦هـ -١٩٥٧م.

القاسمي: جمال الدين ولد ١٢٨٣هـ وتوفي ١٣٣٢هـ بدمشق ، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس ، اتهم بتأسيس مذهب جديد في الدين فقبض عليه ثم أخلي سبيله فانقطع في منزله للبحث والتصنيف . الأعلام ١٣٥/٢.

[2] التحرير والتنوير ١٧/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين العطف الرتبي كما هو الحال عند القاسمي وابن عاشور في مصطلح الترتيب في الذكر.[1]

وهذا التداخل يفسر سبب استغناء بعض المفسرين عنه ثم البحث عن مصطلح مناسب غيره .

ومثاله :قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][البقرة٧٢-٧٣]

تذكر هذه الآيات قصةقتيلٍ كان من بني إسرائيل خفي قاتله ،فأمرهم تعالى بذبح بقرة قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ][البقرة ٦٧]

ثم أمرهم أن يضربوه ببعضها لإحياء القتيل ومعرفة القاتل .ولابد أن يكون وقوع القتلمتقدماً عن الأمر بذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها لمعرفة القاتل ،إلا أن الإخبار عن ذلك لم يكن حسب ترتيب الوقوع ، وهذا من باب الترتيب في الذكر.[2]

٣-التراخي في المرتبة أوالرتبة :

يمثل هذا المصطلح مرحلة مهمة في نشوء مصطلح (العطف الرتبي) وتجسيده عند المفسرين، إذ يمكن القول إن مصطلح (ترتيب الأخبار)وغيرهمستعارٌ عن بعض الأساليب اللغوية للدلالة على العطف الرتبي ، كما أن دلالته سطحية لا تفي بالمعنى المقصود من هذا الأسلوب.

أما مصطلح (التراخي في المرتبة) فهو يختص بأسلوب العطف لدلالة حرف العطف المعتمد في هذا الأسلوب على التراخي المعنوي ، وبهذا الاختصاص بالتراخي المعنوي افترق لفظ (ترتيب الأخبار) عن (العطف الرتبي) .

ويعود الفضل في تداول هذا المصطلح إلى الزمخشري في أثناء تفصيله في مضمون العطف الرتبي ودلالته ؛ مستعملاً عبارة (التراخي في المرتبة) التي كانت

---

[1] سبق نقل قول النيسابوري ص(٣٩)، وكذلك ابن عاشور والقاسمي ص (٤٠)

[2] التفسير الكبير ٥٥١/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيداً لظهور مصطلح (التراخي في الرتبة) كما ذكر في تفسير قوله تعالى :لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ][آل عمران ١١١]

" فإن قلت فما معنى التراخي في(ثمّ) ؟ قلت : التراخي في المرتبة ؛لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار "[١]

واستعمل الرازي والنسفي عبارة الزمخشري نفسها (التراخي في المرتبة) .[٢]

وبعد ذلك ظهر مصطلح (التراخي في الرتبة) الذي استعمله البيضاوي ، ثمّ تناقله المفسرون فيما بعد كالنيسابوري وأبي السعود والآلوسي وابن عاشور[٣]

ولا فرق حقيقة بين (الرتبة أو المرتبة) إذ جاء في لسان العرب :

الرُّتْبةُ المَرْتَبَةُ المَنْزِلةُ عندالمُلوكِ ونحوها "[٤]

فالاختلاف بين(الرتبة والمرتبة) من جهة النحت والصياغة لا في المعنى أو الدلالة.

وقد يكون الميل إلى الدقة والاختصار في المصطلحات قد فرض تعديل مصطلح (التراخي في الرتبة) فاستعمل بعض المفسرين منهم أبو السعود والآلوسي وابن عاشور مصطلح (التراخي الرتبي)[٥].

فقال ابن عاشور في دلالة (ثم) في قوله تعالى:أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ][العنكبوت ١٩]:

"وثُمَّ) للتراخي الرتبي لأن أمر إعادة الخلق أهم وأرفع رتبة من بدئه لأنه غير مشاهد ولأنهم ينكرونه ولا ينكرون بدء الخلق ".[٦]

٤-التفاوت في الرتبة:

---

[١] الكشاف ٤٠١/١

[٢] الكشاف ٤٠١/١ - التفسير الكبير ٣٢٨/٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٧٧/١، أبو البركات عبد الله النسفي، تحقيق : سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز
النسفي : عبد الله بن أحمد النسفي أبو البركات ،صنف المدارك في التفسير ، وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصول ،توفي٧١٠هـ في بلدة بغداد . طبقات المفسرين الأدنروي ص(٢٦٣)

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٣/٢ - إرشاد العقل السليم ١٥٠/٥ -روح المعاني ٤٤٤/٨-التحرير والتنوير ١٣٠/٧

[٤] لسان العرب ، مادة (رتب) ،١٢٩/٥.

[٥] إرشاد العقل السليم١٢٠/١ -روح المعاني ٤٢٢/١، (الرتبي) نسبة إلى رتبة

[٦] التحرير والتنوير ١٥١/٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستعمل هذا التعبير عند إرادة إظهار الخلاف الكبير بين المعاطيف بالحرف (ثمّ) ، إذ قد يكون بين المعطوف والمعطوف عليه تفاوت كبير في المضمون فيظهر كما لو أنّ بينهما انفصالاً أو انقطاعاً كما بين الإحسان والإساءة ، أو بين الإنعام والإعراض فيعبر عن هذا الفرق الشاسع بينهما بالتفاوت في الرتبة.

فالتعبيرعن التباين والاختلاف بين المعاطيف أوجب البحث في مصطلح جديد يكون أكثرانضباطاً ودقة فاستعمل البيضاوي والنيسابوري و أبو السعود والآلوسي مصطلح (التفاوت في الرتبة)[١] .

وفي مثل هذا الاستعمال ورد مصطلح (التباعد في الرتبة)ويدل على التباين بين المعطوف والمعطوف عليه بلفظ (التباعد) وهو يتوافق في المعنى والدلالة مع لفظ (التفاوت) [٢].

وقد يطلق عليه الشهاب الخفاجي [٣] و الآلوسي وابن عاشورأحياناً لفظ (التفاوت الرتبي)[٤] نسبة إلى رتبة .

يقول الشهاب موضحاً معنى (التفاوت الرتبي) عند توجيه (ثمّ) في قوله تعالى :(ثم آتينا موسى الكتاب] [الأنعام ١٥٤] :" فهي –أي (ثمّ) - لفصل الخطاب الثاني عن الأول ،وفصل الخطاب هو التفاوت الرتبي بعينه ، فمن قال: لا يبعد أن تكون (ثمّ) للإشارة إلى الانتقال من كلام إلى آخر، فتكون بمنزلة فصل الخطاب ، وكنا كثيراً نسمعه من أهل التدوين فوجدنا أصله هنا " [٥]

وكلام الشهاب يشير إلى أن التباعد بين المعطوف والمعطوف عليه في الرتبة بمنزلة فصل الخطاب ، والانتقال من كلام إلى آخر .

---

[١] أنوار التنزيل ١٨٩/٢- غرائب القرآن ٤٠٤/٥– إرشاد العقل السليم ٢٠١/٣– روح المعاني٢٦٠/١٥ .

[٢] جاء في لسان العرب :" تفاوت الشيآن :تباعد ما بينهما " فيكون التفاوت والتباعد مترادفان ، لسان العرب مادة (رتب) ، ٣٤٣/١٠.

[٣] الشهاب الخفاجي : أحمد بن محمد الخفاجي المصري المحقق شهاب الدين ، كان متقاعدا عن قضاء مصر وكانعالماً فاضلاً ، توفي سنة ألف وسبعين . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٤١٥)

[٤] حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٤ /١٣٩ ، دار صادر، بيروت - روح المعاني ٤٨٩/٢٢– التحرير والتنوير ٢١/١٨

[٥] حاشية الشهاب ١٣٩/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثاله :قوله تعالى :ثُ(خَّ لَقْنَا النُّطْ فَةَ لَقَةً فَخَ لَقْنَا الْ لَقَةَ مُضْ غَةً فَخَ لَقْنَا الْ مُضْ غَةَ عِظَ امًا فَكَسَ وْنَا الْ عِظَ امَ لَحْ مًا ثُمَّ أَنْ شَ أْنَاهُ خَ لْقًا آخَ رَ فَتَ بَ ارَكَ اللَّهُ أَحْ سَ نُ الْ خَ الِقِينَ] [المؤمنون ١٤]

يقول أبو السعود في معنى ثُ(مَّ أَنْ شَ أْنَاهُ خَ لْقًا آخَ رَ] : "(ثمّ) لكمال التفاوت بين الخلقين".[١]

فالتفاوت بين الخلقين راجع إلى كون الأول بدون حياة أما الخلق الآخر فهو بعد بث الروح فيه وبدء الحياة .

-العطف الرتبي والتفاوت الرتبي :

ويندرج مصطلح (التفاوت الرتبي) في مفهوم (العطف الرتبي) باعتبار استعمال حرف العطف (ثم) فيه ، ولكن يظل مجال استعماله منحصراً في التعبير عن الاختلاف والتفاوت بين المعطوف والمعطوف عليه .

٥-الاستبعاد :

البُعْدُ خلاف القُرْب بَعُد الرجل بالضم وبَعِد بالكسر بُعْداً وبَعَداً فهو بعيد" [٢]

اسْتَبْعَدَ الشيء : عدَّ بَعيداً [٣] .

والاستبعاد مصطلح أبدعه الزمخشري ثم تبعه في ذلك الرازي والبيضاوي وأبي السعود والآلوسي وغيرهم ، وأشار إليه الاستراباذي من النحويين في بعض مواضع العطف بالحرف (ثمّ) ، وأريد به التعبير عن عدم مناسبة مضمون الجملة المعطوفة لمضمون الجملة المعطوف عليها ، فجاء عن الاستراباذي في معنى (ثمّ): "وقد تجئ في الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبته له كما ذكرنا في قوله تعالى:ثُ(مَّ أَنْ شَ أْنَاهُ خَ لْقًا آخَ رَ][المؤمنون ١٤]"[٤]

ومنه قوله تعالى وَ(مَا لِأَ قِيهِ ضْ ِ جَ مِيعًا ثُمَّ نِجْ يه][المعارج ١٤]

---

[١] إرشاد العقل السليم ١٢٦/٦.

[٢] لسان العرب ، مادة (بعد) ، ٤٤٠/١ .

[٣] القاموس المحيط ، مادة(بعد) ، ص(٣٤٣) .

[٤] شرح الرضي على الكافية ٣٨٦/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ثمّ ينجيه) : لاستبعاد الإنجاء ، والمعنى يتمنى لو كان المذكورون كلهم تحت يديه وبذلهم فداء نفسه ، ثم ينجيه ذلك لكن هيهات ذلك .[1]

واستعمال هذا المصطلح عند بعض المفسرين كان محل اعتراض من أبي حيان فقال عند تفسير قوله تعالى :[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] [الأنعام ١]

" وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من أن (ثُمَّ) للتوبيخ ، والزمخشري من أن (ثُمَّ) للاستبعاد ليس بصحيح **لأن (ثُمَّ) لم توضع لذلك** ، وإنما التوبيخ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول (ثمّ) ولا أعلم أحداً من النحويين ذكر ذلك بل (ثُمَّ) هنا للمهلة في الزمان وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية ، أخبر تعالى بأن الحمد له ونبه على العلة المقتضية للحمد من جميع الناس وهي خلق السموات والأرض والظلمات والنور ثم أخبر أن الكافرين بربهم (يَعْدِلُونَ) فلا يحمدونه."[2]

ويُفهم من كلام أبي حيان أن المعنى المجازي المقرر عند المفسرين إنما هو مستفاد من سياق الكلام وليس من دلالة (ثمّ) الموضوعة للتراخي الزمني أصلاً .

إلا ّ أنّ من استعمل هذا المصطلح لم ينصّ على أنّ هذا الاستعمال هو من أصل الوضع للحرف (ثمّ) ، بل صرّح بعضهم بأنه من باب المجاز كما قال الاستراباذي بعد أن ذكر دلالة الحرف (ثمّ) على الاستبعاد :

" وكقوله تعالى :[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ][الأنعام ١] فالإشراك بخالق السموات والأرض مستبعد، غير مناسب **وهذا المعنى: فرع التراخي ومجازه** "[3]

وقال الآلوسي عند تفسير قوله تعالى :[ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ][المؤمنون١٤] بعد أن ذكر جواز جعل (ثمّ) للتراخي الرتبي :

---

[1] الكشاف ٦١٠/٤ – التفسير الكبير ١٠/ ٦٤٢ - أنوار التنزيل ٢٤٥/٥ – إرشاد العقل السليم ٩/ ٣١– روح المعاني ٨٩/٢٩.

[2] البحر المحيط ٤٣٠/٤ .

[3] شرح الرضي على الكافية ٣٨٦/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فالمعطوف بـ (ثمّ) مستبعد حصوله مما قبله**فجُعِل الإستبعاد عقلا أو رتبة بمنزلة التراخي والبعد الحسي"**[1]

ويتداخل مفهوم العطف الرتبي مع لفظ الاستبعاد المستعمل في معنى (ثمّ) ، كقوله تعالى أ:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) [آل عمران ٢٣].

(ثمّ يتولى): جملة معطوفة بالحرف (ثمّ) ،لاستبعاد توليهم عن تحكيم كتاب الله عزوجل مع علمهم بوجوب الرجوع إليه .[2]

ويوضح الآلوسي ذلك بقوله :"(ثم يتولى فريق منهم)عطف على (يُدعون) و **(ثمّ) للتراخى الرتبى وفيه استبعاد** توليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع إليه "[3]

بينما نجد أن الشيخ زادة [4] و ابن عاشور استبدل لفظ الاستبعاد المستعمل عند المفسرين بلفظ التراخي الرتبي كما في قوله تعالى :ثُ(ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ] [آل عمران ٢٣] (ثمّ) للتراخي الرتبي .[5]

وفي تفسير قوله تعالى:(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] [السجدة ٢١] يقول :

" وجيء في عطف جملة (أعرضَ) بحرف (ثم) لقصد الدلالة على **تراخي رتبة** الإعراض عن الآيات بعد التذكير بها **تراخي استبعاد** وتعجيب من حالهم" [6]

وبهذا يلتقي مصطلح الاستبعاد مع مضمون العطف الرتبي ، كما يمكن أن يتداخل هذا الاستعمال مع التراخي الرتبي باعتباره استعمالاً مجازياً للحرف (ثمّ) عند من

---

[1] روح المعاني ٢٩١/١٤. نلاحظ أن مصطلح (الاستبعاد) قد يتداخل أحياناً مع مصطلح (التفاوت الرتبي) باعتبار أنّ كلاً منهما يشير إلى أن بين المعطوف والمعطوف عليه فرقاً كبيراً في المضمون .

[2] الكشاف ٣٤٨/١–أنوار التنزيل ١٠/٢ – البحر المحيط ٨١/٣– إرشاد العقل السليم ٢٠/٢–روح المعاني ١٥٠/٣ .

[3] روح المعاني ١٥٠/٣ .

[4] شيخ زادة : محمد بن مصلح الدين القوجوي ،كان متواضعاً خاشعاً ،صنّف الحاشية على تفسير البيضاوي، توفي سنة ٩٥١هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٣٨٢).

[5] حاشية الشيخ زادة على تفسير لبيضاوي ٢/ ١٦ ، المطبعة العثمانية ، تركيا ،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م- التحرير والتنوير ٦٥/٣.

[6] التحرير والتنوير ١٦٥/٢١ ونص المفسرون على جعل (ثم) في هذه الآية للاستبعاد الكشاف٥١٥/٣ – أنوار التنزيل ٢٢٢/٤–البحر المحيط ٤٣٩/٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر هذا الاستعمال ، بالإضافة إلى ما فيه من التنبيه على رتبة المعطوف من خلال الإشارة إلى ما في لفظ الاستبعاد من دلالة أبعدومعنىً خفي كما ينبئ عنه ذلك اللفظ.

٦-الترتيب الرتبي :

هذا المصطلح ذكره الشهاب والآلوسي وابن عاشور في بعض مواضع العطف الرتبي، بغرض التنبيه على أن المعطوف أعظم من المعطوف عليه [١].

وهذا المصطلح مستنبط من دلالة هذين الحرفين في إفادة الترتيب ، إلا أن الترتيب المقصود به ليس في الوقوع وإنما هو في المرتبة بحسب ما أضيف إليه .

فجاء عن الآلوسي في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [المؤمنون ١٤].

"ويجوز أن تكون- أي (ثمّ) - **للترتيب الرتبي** فإن الخلق الثاني أعظم من الأول ورتبته أعلى "[٢]

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام ١٠٨] يقول ابن عاشور: "عقّب الكلام بـ (ثُمّ)المفيدة **التّرتيب الرتبي** في قوله : (ثمّ إلى ربّهم مرجعهم فينبّئهم بما كانوا يعملون]،لأنّ ما تضمّنته الجملة المعطوفة بثُمّ) أعظم ممّا تضمّنتهالمعطوفُ عليها،لأنّ الوعيدالّذي عُطفت جملته بـ (ثمّ) أشدّ وأنكىفإنّ عذاب الدّنيا زائل غير مؤبد ، والمعنى أعظم من ذلك أنّهم إلى الله مرجعهم فيحاسبهم "[٣] .

ومنه قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام٢٢-٢٣]

[١] حاشية الشهاب ٤/ ١٣٩- روح المعاني ١٤/ ٢٩١- التحرير والتنوير ٢٦٦/٦

[٢] روح المعاني ٢٩١/١٤ .

[٣] التحرير والتنوير ٢٦٦/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُظهر هذه الآية جهل المشركين، وتُقيم الحجة عليهم بدعوتهم لإحضار شركائهم الذين كانوا يزعمون، ولم يكن من المشركين بعد ذلك عذرٌ إلا إنكار إشراكهم بالله تعالى .

و(ثم)تفيد الترتيب الرتبي : وهو الانتقال من خبر إلى خبر أعظم منه ؛فلئن كان اتخاذ أنداد لله عزّ وجل أمراً في غاية الخطورة ، فإن مقابلة الجرم بالكذب والإنكار في ذلك الموقف بدل الندم والإقرار أعظم جرماً وأشد خطراً .[1]

و هكذا ظهر (الترتيب الرتبي)مصطلحاً جديداً للتعبير عن هذا الأسلوب ، وهو يندرج في مفهوم العطف الرتبي ، ويدخل فيه .

وأخيرًا :

يمكننا تصنيف اصطلاحات المفسرين في العطف الرتبي ضمن مرحلتين :

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة اعتمد المفسرون على مصطلحات مستعارة من بعض الأساليب اللغوية ، وحاولوا إدراج العطف الرتبي فيها ، لما قد وجدوا من تطابق بعض المعاني في هذا العطف مع هذه المصطلحات المستعارة ، وهذا كمصطلح (الترتيب في الذكر- أو ترتيب الأخبار- أو الترتيب الإخباري أو الترتيب الذكري) وللمفسرين اجتهاداتٌ مختلفة لاعتمادها في أسلوب العطف الرتبي .

وبهذا اتفق النحويون مع المفسرين في هذه المصطلحات .

المرحلة الثانية : وفيها بدأ العطف الرتبي بالظهور والوضوح وأصبح له مصطلحاته المستقلة التي تتناسب والمقصود منه ، فظهر أول مصطلح (التراخي في المرتبة) واستعمله الزمخشري والرازي والنسفي ثم البيضاوي والنيسابوري وأبو السعود وغيرهم ، ثم استقرّ التعبير عند أبي السعود والآلوسي وابن عاشور على (التراخي الرتبي) ، وظهر مصطلح (التفاوت في الرتبة –أو الرتبي-)تعبيرًا عن وجه من هذا العطف وهو إرادة إظهار الفرق بين المعاطيف وقد نبّه على هذا النيسابوري و أبو السعود والشهاب والآلوسي وابن عاشور ، وآخرها ما ظهر عند

[1] التحرير والتنوير ٥٣/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشهاب و الآلوسي و ابن عاشور من مصطلح (الترتيب الرتبي) تنبيهًا على أن الترتيب في الجملة ترتيب يترقى فيها من المهم إلى الأهم حسب اجتهادهم.

وأخيراً :فإن جميع الاصطلاحات ترجع إلى اجتهادات المفسرين ،وهي الأساس لبيان موقف المفسرين من العطف الرتبي ،واتجاهاتهم في تأويل الآية وتعيين المراد منها.

المبحث الثاني : أسباب تباين المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي :

اختلف المفسرون في التنبيه على العطف الرتبي بين مقلل ومتوسع ،وقد كان لهذا التباين أسباب متعددة ، أعرضها في مطلبين :

المطلب الأول :أسباب عامة :

١- توالد المصطلحات وتعدد دلالاتها:

ذكرت في الفصل السابق أن للاصطلاحات أثراً في استقرار العلوم والمعارف المبنية عليها، وينعكس الاضطراب فيها على ثبات العلوم ورسوخها ، وقد عرضت في مبحثٍ سابق التطور الاصطلاحي للعطف الرتبي ، ورأينا أنه لم يكن له مصطلح خاص يُعبَر عنه وإنما استعير للدلالة عليه بعض الاصطلاحات التي تنطبق في دلالتها على هذا الأسلوب.[١]

ولابد أن تعدد المصطلحات وكونها في مرحلة الولادة، وتطبيق بعضها دون ضبط دلالتها بالنص كان مثارًا للخلاف بين المفسرين ، وسببًا لتجنب استعمالها في بعض الأحيان .

ولا يعني هذا أن اضطراب المصطلحات حال دون بحث المفسرين في هذا الأسلوب، بل إن المفسرين أظهروا دلالة هذا الأسلوب وأثره وتفننوا في إيجاد تعبير خاص به ،لكنّ المقصود بهذا أن وجومصطلحٍ محدواضحٍ لهذا العطف يوسع دائرة الاهتمام به عند المفسرين ، ويزيد من تنبيههم عليه لإبراز دلالته وأثره .

وهذا ما كانفعلاً ، فمع تبلور مصطلح التراخي في الرتبة وتداوله عند المفسرين كثر التركيز على هذا الأسلوب وتكررت الإشارة إليه في كتب التفسير ، ونستطيع

[١] راجع ص(٤٧) وما بعدها في هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إدراك ذلك من خلال ملاحظة نسبة تكرر هذا العطف عند المفسرين ، فهذه النسبة عند أبي السعود ليست كما هي عليه عند الطبري، وكذلك يظهرالتفاوت واضحاً فيها بين الآلوسي وابن عطيةمثلاً .

كقوله تعالى :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] [النحل٥٣].

في هذه الآيات تقرير لوحدانية الله عز وجل وقدرته بتخصيصه بالعطاء والإنعام على الناس وملاحظتهم بالعناية والإجابة لهم ، وجيء بالحرف (ثم) الذي عطف الجملة المتضمنة لجوء الناس لكشف البلاء عنهم إلى الله تعالى على الجملة التي تضمنت إفراد الله عز وجل بالإنعام .

وهذا العطف عند ابن عاشور يفيد التراخي في الرتبة لا التراخي الحقيقي ، فإن الإخبار بموقف الناس حين نزول الكرب بهم ولجوئهم إلى الله تعالى أهم من الإخبار بحصول النعم كلها من الله تعالى إذ إن هذا مشاهد لهم ومعلوم عندهم .[1]

ثم أعيد حرف العطف (ثم) بعده في قوله تعالى :﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] [النحل ٥٤]

وقد عطف موقف الناس في إعراضهم وتوليهم بعد كشف الضر عنهم على موقفهم حين نزول البلاء من التضرع والخضوع لله تعالى .

وهذا العطف أيضًا لإفادة التراخي في الرتبة ، وهذا ما ذكره أبو السعود والآلوسي وابن عاشور.[2]

يقول أبو السعود :" وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادى زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الإشراك المدلول عليها بقوله سبحانه :(إذا فريق منكم بربهم يشركون]فإن ترتبها على ذلك في أبعد غاية من الضلال "[3].

---

[1] – التحرير والتنوير ١٤٢/١٣و١٤٣.

[2] إرشاد العقل السليم ١٢٠/٥–روح المعاني ٥٤٧/١٤– التحرير والتنوير ١٤٣/١٣

[3] إرشاد العقل السليم ١٢٠/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتراخي في الرتبة المذكور عند هؤلاء المفسرين لم يكن محل ملاحظة وعناية عند غيرهم ، فاكتفى الطبري وابن عطية والزمخشري والبيضاوي وأبو حيان ببيان معنى الآية دون الخوض في دلالة العطف أوذكرٍ لمفهوم التراخي الرتبي وأثره في المعنى.[١]

وكذلك في قوله تعالى :ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[الأنعام ٦٥].

ذكر أبو السعود والآلوسي وابن عاشور أن (ثمّ) في الآية تفيد التراخي الرتبي لا التراخي الزمني، والغرض منه تعظيم منزلة الحساب وتهويلها والتنبيه على شدتها.[٢]

ولم ينبه أغلب المفسرين كالرازي الزمخشري والبيضاوي وأبي حيان على هذا المعنى .[٣]

وفي هذه الأمثلة يظهر مدى توسع المفسرين المتأخرين في تنبيههم على العطف الرتبي وأثره في المعنى ، مما لم يوجد عند غيرهم من المتقدمين ، ويتزامن هذا التوسع في التطبيق مع العناية بمسألة المصطلحات في هذا الأسلوب ، فتبرز العناية بأثر هذا العطف مع تبلور هذا المصطلح وبدء التوسع في استعماله وتحديد مدلوله عند المفسرين، ومن هنا نستطيع القول بأن التطور التاريخي لمصطلح العطف الرتبي كان لهأثرًا في تفاوت المفسرين في تنبيههم على العطف الرتبي واهتمامهم به ومحاولتهم للفت الأنظار إليه .

٢-اتجاه المفسر في التفسير :

يعد إتقان علوم اللغةشرطاً لا بد منه للتصدي لتفسير كتاب الله تعالى .[٤]

لكن إتقان المفسر لهذه العلوم لا يوجب عليه التفصيل فيها في تفسيره ، بلإنّ هذا التفصيل يرجع إلى تقديره واجتهاده .

---

[١] جامع البيان ١٢١/٨ – المحرر الوجيز٤٤٣/٨ – الكشاف ٦١١/٢– أنوار التنزيل ٢٢٩/٣– البحر المحيط ٥٤٦/٦

[٢] إرشاد العقل السليم١٥٢/٩ – روح المعاني ٤٢٢/٣٠– التحرير والتنوير ٢٧٤/٣٠.

[٣] التفسير الكبير ١٤٧/١١ – الكشاف ٧٤٥/٤– أنوار التنزيل٣٠٨/٥ –البحر المحيط ٤٦٦/١٠

[٤] الإتقان في علوم القرآن (٧٧١)، جلال الدين السيوطي ، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، تحقيق أحاديثه:شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يميل المفسر للتفصيل في الأحكام الفقهية أو لبيان المسائل العقائدية أو لاستنباط السنن الكونية ولا يتعرض للمسائل اللغوية، ولا يعني هذا إغفالها أو تجاوزها بلإنّ السبب في ذلك يرجع إلى الطابع الشخصي للمفسر.

و يرتبط موضوع العطف الرتبي بالناحية اللغوية والبلاغية ، ولهذا نجد أنتبحّر المفسر في المسائل اللغوية وتوجهه إليها قد يكونسبباً لكثرة تنبيهه على مسألة العطف الرتبي في تفسيره وتتبع مواضعه والكشف عن استعمالاته وأثره ، بينما قد يكون التفات المفسر للنواحي الفقهية والعقائدية أو غيرهاسبباً لتجاوز هذا العطف وعدم الإشارة إليه، إذ إن اهتمام المفسر يتجه إلى غرض آخر من أغراض التفسير. ولايُعدّ اللون الشخصي للتفسير سببًامطرداً في التوسع في موضوع العطف الرتبي، وإنما هو سبب مؤثر عند بعض المفسرين ، ولهذا نجد أن من المفسرين المهتمين ببيان المسائل اللغوية لم يتعرض لهذا الأسلوب كالأخفشمثلاً ، بينما نجد أن من المفسرين المهتمين ببعض الأغراض التفسيرية غير اللغةتعرّض لهذا النوع من العطف وأشار إليه ، كالقرطبي في تفسيره ، فمع أن اهتمام القرطبي يتوجه إلى الأحكام الفقهية فقد نبّه إلى هذا الأسلوب في بعض المواضع.[1]

وبناءً على ذلك أقول :إنّ اتجاه المفسر في التفسير لايعدّسبباً مطرداً عند المفسرين ، بل هو من الأسباب المؤثرة في تباين مواقف المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي وتفاوتهم في تتبع مواضعه وكشف أسراره

المطلب الثاني: أسباب خاصة :

١-إزالة ما يظهر في الآيات من إشكال :

حرص المفسرون على تفسير القرآن الكريم وبيان معناه ، واعتمدوا في ذلك على علوم شتى تؤهلهم لفهم خطابه ، وتعينهم على تحديد المراد منه ،وكثيرًا ما كان يعترض المفسر أثناء تفسيره لكتاب الله عز وجل بعض المعاني المشكلة والمسائل الغامضة التي كانت محل خلاف بينهم ، ويعد هذا من أهم الأسباب في تنبيه المفسرين على العطف الرتبي ، ويظهر هذا في موضعين :

[1] الجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٩-وأيضاً ١٢٥/٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الأول : وقوع تعارض بين معاني الآيات :

من المعلوم أنه لا وجود للتعارض في كتاب الله عز وجل ، إذ إن احتمال وقوع التعارض بين آياته يستوجب الخلط والاضطراب فيه، بل في أحكام الدين عمومًا ، وهذا مما يتنزه عنه كتاب الله العزيز الحكيم ، يقول تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء٨٢] فإن أي تعارض قد يظهر في آيات الكتاب الحكيم هو تعارض ظاهري شكلي يزول بالتأمل ويختفي مع البحث .

وإزالة مثل هذا التعارض واجب على المفسر ، ويعتمد في ذلك على الترجيح أو التأويل أو النسخ أو غير ذلك .

ومثل هذا التعارض قد يقع في آية من آيات العطف عند تعارضها مع مدلول آية أخرى، مما يوجب على المفسر البحث والاجتهاد ،وقد ينتهي به اجتهاده إلى تأويل العطف للخروج مما عرض له من إشكال ، ويكون إدراج العطف في نوع العطف الرتبي خير سبيل لإنهاء الإشكال وإزالة التعارض .

كقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة٢٩]

هذه الآية سيقت في معرض الامتنان على الناس ،وإظهارًا لنعم الله تعالى عليهم وقدرته من خلال تذكيرهم بخلق الأرض وما فيها ، وخلق السماء وعظمتها ، وقد توسط حرف العطف (ثم) بين خلق الأرض والسماء ، ودلالة الحرف (ثم) الأصلية على الترتيب والمهلة تفيد تأخير خلق السماء عن خلق الأرض ، وقد تكرر هذا المعنى أيضًا في سورة فصلت فقال تعالى :﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ٩ - ١١]

ولكن هذا يتعارض مع ما جاء في سورة النازعات من قوله تعالى:﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا][النازعات ٢٧ - ٣١]

ففي هذه الآيات دلالة ظاهرة على أن خلق السماء متقدم على الأرض ، وهذا كله يوهم التعارض بين الآيات ،فاختلف المفسرون في تأويل هذا التعارض، فالجمهور أخذوا بما جاء في سورة البقرة وفصلت من تقديم خلق الأرض على خلق السماء، وقيل: إن الأرضخُلقت بعد السماء. [١]

ويمكن الجمع بين الآيات بالقول بخلق الأرضأولاً ثم خلقت السماء ثم دحيت الأرض.[٢]

وعلى جميع الأقوال لا بد من توجيه العطف في الآية ، فمن قال بتقدم خلق الأرض على السماء جعل العطف للتراخي الزماني لما بين خلق الأرض والسماء من أعمال من خلق الرواسي وتقدير الأقوات .[٣]

وأما من قال بخلق السماءأولاً حمل العطف في الآية على التراخي الرتبي ،إظهاراً للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض .[٤]

وقد ذكر الإمام الرازي هذه الأقوال وفصل في تفنيدها ومناقشتها ثم أتبعها بقوله:

" وثالثها –أي ثالث الأجوبة في هذه الآية- : وهو الجواب الصحيح أن قوله : (ثمّ) ليس للترتيب ههنا وإنما هو على جهة تعديد النعم ، مثاله قول الرجل لغيره : أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك ، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا ههنا والله أعلم"[٥].

وهكذا اختلف المفسرون في التنبيه على العطف الرتبي فيما يظهر من تعارض بين الآيات ، واختلفوا في اعتماده لإزالة مثل هذا التعارض .

---

[١] القول الثاني: تأخر خلق الأرض عن السماء منسوب إلى قتادة ، جامع البيان ١٩٤/١ – تفسير القرآن العظيم ١١٨/١ ، إسماعيل بن كثير ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ،١٤١٦هـ - ١٩٩٦.

[٢] البحر المحيط ٢١٩/١

[٣] البحر المحيط ٢١٩/١

[٤] الكشاف ١٢٣/١– أنوار التنزيل ٦٦/١– إرشاد العقل السليم ٧٨/١ -التحرير والتنوير ٣٧٧/١

[٥]- التفسير الكبير ٣٨١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضع الثاني :وقوع التعارض بين الدلالة الأصلية للعطف و ترتيب الخبر :

إن دخول حرف العطف المفيد للترتيب على الجملة يقتضي ترتيب الأحداث فيهاترتيباً زمنياً يطابق وقوعهاإلا ّ أنّ اختلال هذا الترتيب في بعض الجمل المعطوفة بحرفي (الفاء –ثمّ) أوجب البحث في المقصود من استعمال حرف يقتضي الترتيب بمهلة مع تخلف هذا المعنى فيه .

وهذا السبب دفع المفسرين للقول بالعطف الرتبي ،والبحث في المعاني التي يحملها هذا النوع من العطف ،إذ لا يمكن أن يستقيم ترتيب الجملة الموضوع مع إبقاء العطف على حاله واعتماد المعنى الأصلي له ،فلا بد من التجوز في المعنى المراد من العطف والبحث عنمعنىً جديدٍ يلائم ترتيب الخبر في الجملة .

والقرآن الكريم كتاب الله المعجز قد تعددت فيه الآيات التي اختلف فيها ترتيب اللفظ مع ترتيب الحدث، وما هذا إلاتأكيداً لعظمتهوإعلاءً لشأنه، فقد يكون هذا التأخير اعتناءً بشأن الخبرواهتماماً به .

وهذا ما قصده العلماء من التعبير بالعطف الرتبي ، فأرادوا به التفريق بين عطف جرىموافقاً للأصل وبين عطف خولف فيه الأصل .

وهكذا كان ترتيب الخبرسبباً لاختلاف المفسرين في تحديد نوعية العطف وبالتالي في بيان معنى الآيات والمراد منها .

مثال : كقوله تعالى :إ﴿نَّمَثَلَعِيسَىعِندَٱللَّهِكَمَثَلِءَادَمَخَلَقَهُۥمِنتُرَابٍثُمَّقَالَلَهُۥكُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران٦٠].

في هذه الآية يبطل اللهعزّ وجل مزاعم الذين اتخذوا عيسى بن مريمإلهاً من دونه، لما رأوه من عجب في خلقه من غير أب ،فذكّرهم اللهعزّ وجلبخلقٍ أعجب من خلقه، وهو خلق آدم عليه السلام ،فإن خلق عيسى كخلق آدم عليهما السلام، فهو بقدرة الله القوي القادر .

ومعنى قوله (كن)تعلّق قدرته تعالى بتكوينهبشراً حياً .

ولابد أنتعلّق قدرته تعالى بإيجاد آدم وعيسى عليهما السلام هو في علم الله الأزلي، ولا ريب أنه أسبق من وجودهما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الآية قدمت الخلق والإيجاد على القدرة والإرادة مع العطف بينهما بـ (ثمّ) المقتضية الترتيب مع التراخي ، ومعنى هذاأنّ العطف ليس على ظاهره من الترتيب والتراخي لاختلاله في الآية. وهذا من قبيل ترتيب الأخبار أريد به التنبه على أن المعطوف بـ (ثمّ) وهو تكوينه بأمر (كن) أرفع رتبة من خلقه من تراب لما يتضمن ذلك من التدليل على وحدانية اللهعزّ وجل وقدرته على ما يشاء ، فكان التأخير زيادة في التنبيه .

و(ثمّ) في الآية :لتراخي الخبر لا المخبَر ، أوللتراخي الرتبي بحسب تعبير بعض المفسرين.[٦]

وقال تعالى :[ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ][الأنعام ١٥٤]

هذه الآية وردت بعد عرض جملة من المحرمات التي أمر النبي عليه الصلاة والسلام بتبليغها لأمته بقوله تعالى :[قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] [الأنعام ١٥١]

والملاحظ أن الآية معطوفة بالحرف (ثم) الدال على الترتيب والمهلة مع أن إيتاء موسى عليه السلام الكتاب كان قبل إنزال القرآن الكريم وتحريم المحرمات فيه ، بل هو قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن دخول حرف الترتيب على الآية يتعارض مع مدلولها مما لابد فيه من البحث والاجتهاد .

وقد اختلف المفسرون في معنى (ثمّ):

فذهب جمهور المفسرين إلى أن (ثمّ) تفيدتأخير الخبر، وجيء بها لعطف خبرٍ على خبر .[٧]

---

[٦] أنوار التنزيل ٢٠/٢-البحرالمحيط١٨٦/٢-إرشاد العقل السليم٤٥/٢- التحرير٣ والتنوير/١٩٣

[٧]التفسير الكبير ١٨٦/٥– أنوار التنزيل ٢/ ١٨٩– الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٨٢/١، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق عدنان داوودي ، دار القلم ، دشق ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م - معالم التنزيل ٢/ ١٧٢- مدارك التنزيل وحقائق التنزيل ٣٤٣/٢ - لباب التأويل في معاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الإمام البيضاوي :

" (ثم آتينا موسى الكتاب) عطف على (وصاكم) وثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم بهقديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنّا :آتينا موسى الكتاب " [٨]

وذكر الطبري تأويلاً آخر بتقدير (قل يا محمد ρ) [٩]، نقله ابن كثير وعقّب عليه بقوله: " قلت: وفي هذا نظر، وثم ههنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب ههنا كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده " [١٠]

وقيل : (ثم) بمعنى (الواو) وهذا ما ذكره أبو حيان .[١١]

وبهذا تعددت أقوال المفسرين في توجيه العطف في الآية .

ومن ذلك قوله تعالى [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ۝ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ][غافر ٦٩ - ٧٣] في هذه الآيات عرضٌ لمصير المكذبين بآيات الله تعالى ، والعذاب المُعَدِّ لهم من وضع الأغلال في أعناقهم ،وسحبهم بالسلاسل لإحراقهم في النار ،والحرف (ثمّ) في قوله (ثم قيل لهم ...) : للتراخي الرتبي، لما في الدلالة الأصلية للحرف (ثم)من الترتيب الزمني ،وما جاء في الآيات من ترتيب أخبارها من تعارض ، لأن هذا القول يقال لهم قبل دخول النار ، بدليل ما وقع في آخر القول من قوله تعالى [ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ][غافر٧٦] ، ودخول أبواب جهنم قبل السحْب في حميم والسَّجْر في

التنزيل ٢/ ١٧٣ – تفسير القرآن العظيم ١٢٧/٣ - إرشاد العقل السليم ٢٠١/٣ _ روح المعاني ٢٠١/٨– التحرير والتنوير ١٣٠/٧

[١] أنوار التنزيل ١٨٩/٢

[٩] جامع البيان المجلد ٥جزء٨٩/٨

[١٠]تفسير القرآن العظيم ١٥٣/٣ - ابن كثير :إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي فقيه شافعي محدّث ،ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي في دمشق ٧٧٤هـ . طبقات المفسرين - الأدنروي ص(٢٦٠) .

[١١] البحر المحيط ٦٩٢/٤ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نارها ، وعلى هذا لابد من العدول عن الدلالة الأصلية للحرف (ثمّ) وتقرير المعنى الرتبي فيه ،ووجه التراخي الرتبي أن هذا القول ارتقاء في تقريعهم ،وهذاأشدّ عليهم من ألم الجسم .[١٢]

وهكذا كان اهتمام المفسرين بإزالة ما يظهر في الآية من إشكال سبباً في اختلاف المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي .

٢- الاختلاف في المعنى المقصود من الآية :

القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي أراد الله له العلو والظهور ، فاختار نزوله بأوسع اللغات ثراءً ، وجمع فيه أوجه البلاغة والفصاحة، فكل لفظة فيه مرادة بذاتها، ولكل كلمة وقعها لاحتمالهاعدداً من المعاني المتنوعة واحتوائها على أوجه كثيرة مترابطة .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:((القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه)).[١٣]

وبذلك تعددت الأقوال في تفسير الآيات ، وظهر الخلاف في تحديد المعنى المراد .

ولا يمكن تحديد أيمعنىً للفظ دوناعتبارٍ لدلالة باقي ألفاظ الآية ،وبالتالي فإن أي تأويل في أحد ألفاظ الآية لابد أن يتناسب مع دلالة سائر ألفاظها ، وإلا كان هذا مثاراً للاضطراب والتنافر في المقصود من الآية ، ولهذا انعكس اختلاف المفسرين في تأويلأي لفظٍ في الآية على سائر تراكيبها .

ومن هذا المنطلق كان أحد أسباب اختلاف المفسرين في تحديد نوعية العطف اختلافهم في تأويل ألفاظ الآية وهذا يعلل تباين آراء المفسرين في مواضع العطف الرتبي وعدم اتفاقهم فيه .

مثال : قوله تعالىوَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ][يونس٤٦]

---

[١٢] التحرير والتنوير ٢٤٥/٢٤.

[١٣] أخرجه الدارقطني في سننه ، كتاب النوادر ، رقم (٤٢٧٦) ، ٢٥٥/٥ عن ابن عباس ،وذكر الآبادي : الحديث في إسناده زكريا بن عطية ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ،سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي وبذيله التعليق المغني على الدارقطني للإمام أبي الطيب آبادي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – حسن شلبي- سعيد اللحام ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يخاطب اللهعزّ وجل النبي صلى الله عليه وسلممبيناً له عاقبة المكذبين به ومآلهم، فنهايتهم الرجوع إلى اللهعزّ وجل سواء كان استئصالهم واقع في حياة النبي عليه السلام أو بعد وفاته، والله تعالى محيط بكل شيء يعلم أفعالهم ويشهد أحوالهم .

وجملة (ثم الله شهيد على ما يفعلون) معطوفة على ما قبلها ،ويختلف المراد من العطف بالحرف (ثمّ)بحسب تأويل الآية .

فيحتمل أن يراد من (الشهادة):مقتضاها وهي معاقبته تعالى إياهم، والمعنى:ثمّ الله معاقب على ما يفعلون .

ويجوز أن يراد منها : إقامتها وأداؤها بإنطاق الجوارح .

وعلى كلا الوجهين فإن معنى (ثم) الترتيب والمهلة ،لأنكلاً من الجزاء والمعاقبة هو بعد رجوعهم إلى اللهعزّ وجل ، وهذا ما رجحه الزمخشري وأبو السعود والآلوسي .[١٤]

ويحتمل أن يكون تأويل الآية : أنهم راجعون إلى الله تعالى للحسابوالعذاب، ثمّ مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم ،وعلى هذا المعنى تكون (ثمّ)لترتيب الأخبار لا لترتيب القصص في نفسها [١٥].

وسبب العدول عن الأصل في معنى (ثمّ) ،هو أن تأويل الآية بمعنى أن اللهرقيبٌ وحافظٌ لأعمالهم ،لا يختص بوقت رجوعهم إليه، بل هو أمر دائم في الدارين، ودلالة (ثم) الأصلية لا تناسب ذلك .

ومثل ذلك قوله تعالى:﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾[الصافات١ - ٣]

تضمنت هذه الآيةجملةً من الصفات المعطوفة بحرف (الفاء) ، و الموصوف المقصود بهذه الصفات كان محلّ خلاف بين المفسرين، فيحتمل أن يكون المراد بذلك الملائكة ،فالصّافات : الملائكةالصّافات أقدامها في الصلاة ،والزّاجرات :

[١٤] الكشاف ٣٥٠/٢– إرشاد العقل السليم ١٥١/٢- روح المعاني ١٦٩/١١

[١٥] المحرر الوجيز ١٥٩/٧- البحر المحيط ٦٦/٦- التحرير والتنوير ٩٧/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التـي تزجـر السـحاب ،والتّاليـات : لكـلام الله تعـالى .وهـذا القـول الأول ذكـره الزمخشري وأبو السعود والآلوسي [١٦] .

ويحتمل أن يكون المراد من الصافات : الطير ، والزاجرات : كل ما زجر عن المعاصي ، والتاليات : كل من تلا كلام الله .[١٧]

ويجوز أن يراد بهذه الأوصاف نفوس العلماء الصافات أقدامها في الصلاة ، الزاجرات بالنصائح والمواعظ ، التاليات آيات الله .[١٨]

ويختلف المقصود من العطف بـ (الفاء) بحسب تعيين الموصوف ، ومن المستحسن نقل كلام الزمخشري في ذلك ، فقال :

" إن وحدت الموصوف كانت –أي الفاء - للدلالة على أن ترتب **الصفات** في التفاضل ، وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتب **الموصوفات** فيه ، بيان ذلك : إنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها ،فعطفها بالفاء يفيد ترتّباً لها في الفضل : إما أن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة . وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر ، فقد أفادت **ترتب الموصوفات في الفضل** ، أعني أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل ، والتاليات أبهرفضلاً ، أو على العكس ، وكذلك إذا أردت بالصافات : الطير ، وبالزاجرات : كل ما يزجر عن معصية . وبالتاليات : كل نفس تتلو الذكر ؛ فإن الموصوفات مختلفة " [١٩].

وزاد الآلوسي هذا الكلامتوضيحاً وتفصيلاً ، فذكر جواز اعتبار (الفاء) للترتيب الرتبي ، أو للترتيب الخارجي إن كان الموصوف بالصفات هنا واحد وهم الملائكة عليهم السلام بأسرهم فالترتيب الرتبي باعتبار الترقي فالصف في الرتبة الأولى لأنه عمل قاصر ، والزجر أعلى منه لما فيه من نفع الغير، والتلاوة أعلى لما فيها من نفع الخاصة الساري إلى نفع العامة .

---

[١٦] الكشاف ٣٣/٤– أرشاد العقل السليم ١٨٤/٧ – روح المعاني ٨٧/٢٣

[١٧] الكشاف ٣٣/٤

[١٨] الكشاف ٣٣/٤– إرشاد العقل السليم ١٨٥/٧ وذكر المفسرونوجوهاً أخرى أغفلت ذكرها خوف الإطالة .

[١٩] الكشاف ٣٣/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الترتيب الخارجي فهو من حيث وجود ذوات الصفات فالصف يوجدأولاً لأنه كمال للملائكة في نفسها ، ثم يوجد بعده الزجر للغير لأنه تكميل للغير، ثم توجد التلاوة بناء على شمولها للغير ، وأما إن كان الموصوف بهذه الصفات من الملائكة عليهم السلامتعدداً بمعنى أنصنفاً منهم كذاوصنفاً آخر كذا فالظاهر أنها للترتيب الرتبي باعتبار الترقي فالجماعات الصافات كاملون والزاجرات أكمل منها والتاليات أكمل وأكمل كما ذكرتأولاً .[٢٠]

وبهذا يظهر أثر اختلاف المفسرين في تأويل الآية في تحديد نوع العطف والغرض منه .

وبناءً على هذا فالمفسر ملزمٌ بملاحظة ألفاظ الآية وتراكيبها واعتبار سياقها وخطابها قبل اعتماد أي قول وترجيحه .

٣-الاختلاف في رجوع العطف :

يُعَدُّ التمكن من قواعد اللغة العربيةشرطاً مسلماً به للتصدي لتفسير القرآن الكريم، لما بين الإعراب والمعنى من صلة وثيقة ،إذ لا بد للمفسر عند تقرير أي معنىً من اعتبار وجه الإعراب فيه ،وإلا كان هذا المعنى معرض للنقض والرد، ولا يعنى هذا حاكمية القواعد الإعرابية الموضوعة على النص المقدس ،وإنّما المراد حاكمية القواعد اللغوية على اجتهاد المفسر حين يُعمل رأيه في كتاب اللهعزّ وجل .

وبهذا يكون باب الاجتهادمفتوحاً أمام المفسر، ولكن ضمن شروط و ضوابط لا يحيد عنها .

ولقد أوجب اختلاف المفسرين في معنى الآية بيان الوجه الإعرابي المؤيد للمعنى المعتمد من قبل المفسر، ولا ريب أن هذا كانمثاراً للاختلاف في الإعراب .

---

[٢٠] روح المعاني ٢٣ / ٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الإمام السيوطي مبيناً أهمية الإعراب :"ومن فوائد هذا النوع -أي إعراب القرآن_ معرفة المعنى ، لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين "[٢١]

ولهذا كان اختلاف المفسرين في تحديد نوعية العطف ، والمعنى المبنى عليه يعتمد على بيان الوجه الإعرابي الملاحظ فيه ، وفي جملة العطف لا بد من تحديد المعطوف عليه ولا يشترط أن يكون المعطوف عليه ملازماً للمعطوف مباشرة ، بل يمكن إرجاع العطف إلى جملٍ مختلفة يؤثر إرجاع العطف إلى أي منها في المعنى المقرر ،وهذا المراد من القول بأن الاختلاف في رجوع العطف سبب للاختلاف في تحديد نوعية العطف .

ومثال ذلك قوله تعالى :﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ][الأنعام٦٠]

تعرض هذه الآية دليلاً على وحدانية الله عزّ وجل وقدرته على البعث يوم القيامة من خلال مثال تقريبي، وهو ما يعرض للإنسان من أحوال النوم والاستيقاظ .

ومعنى الآية :أنه تعالى هو الذي ينيمكم في الليل ،وهو يعلم ما تكتسبون في النهار ثم يوقظكم في النهار من جديد .

وجملة (ثم يبعثكم فيه) معطوفة على جملة (يتوفاكم بالليل)وبهذا تدل (ثم) على المهلة الحقيقية ، باعتبار استغراق النوم مدة الليل ثم يعقبها الاستيقاظ في النهار وهذا هو الوجه الأول في تفسير الآية .

والوجه الثاني أن تكون جملة(ثم يبعثكم فيه)معطوفة على جملة (ويعلم ما جرحتم في النهار)وبهذا تكون (ثم)للترتيب الرتبي .

والمعنى :أنه تعالى يعلم ما تكتسبون من المنهي في النهار ثم يُمْهِلُكُم مع علمه بذلك، ويمهلكم ويترككم دون عقاب .[٢٢]

---

[٢١] الإتقان في علوم القرآن ص(٣٨٤).

[٢٢] التحرير والتنوير ١٤١/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا ما يلاحظ في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[العنكبوت١٩- ٢٠]

هاتان الآيتان سيقتا لبيان قدرة الله تعالى وعظمته ، من خلال حضّ الناس وحثّهم على التأمل في خلق الله تعالى ، وتوسط الحرف (ثم) بين الجملتين في الآية الأولى والثانية بغرض التنبيه على قدرته تعالى على إعادة الخلق ، واختلف المفسرون في رجوع العطف ومعناه :

ذهب الجمهور إلى أن قوله (ثم يعيده)معطوف على جملة (أولم يروا)لا على (يبدئ).[٢٣]

وتوضيحًا لذلك يقول الزمخشري :

(ثُمَّ يُعِيدُهُ) ليس بمعطوف على يبدىء ، وليست الرؤية واقعة عليه ، وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت ، كما وقع النظر في قوله تعالى﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ] على البدء دون الإنشاء ، ونحوه قولك: ما زلت أوثر فلاناً وأستخلفه على من أخلفه ، فإن قلت : هو معطوف بحرف العطف ، فلا بد له من معطوف عليه ، فما هو ؟ قلت : هو جملة قوله أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ)".[٢٤]

وعلى هذا فالعطف للتراخي الرتبي وغرضه التنبيه على أمر إعادة الخلق لأنه أهم من بدئه لعدم مشاهدته ، كماصرّح بذلك ابن عاشور .[٢٥]

وأجاز بعضهم إرجاع العطف على قوله تعالى (يبدئ)وتأويل الإعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما .[٢٦]

---

[٢٣] الكشاف ٤٤٨/٣ – أنوار التنزيل ١٩١/٤ - البحر المحيط ٣٤٨/٨وما بعدها - إرشاد العقل السليم ٣٥/٧– روح المعاني٤٦٠/٢٠- التحرير والتنوير ١٥١/٢٠.

[٢٤] الكشاف ٤٤٨/٣ .

[٢٥] التحرير والتنوير١٥١/٢٠

[٢٦] أنوار التنزيل ١٩١/٤ – إرشاد العقل السليم ٣٥/٧ – روح المعاني ٤٦٠/٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و لا حاجة لتأويل العطف على هذا المعنى ، فيبقى على أصله من إفادة التراخي الزمني .

٤- الإيجاز في اللفظ :

كثيراً ما تقتضي البلاغة الإيجاز في اللفظ ، والبعد عن التطويل،وآياتُ كثيرة في القرآن الكريم جاءت مجملة موجزة خلت من الشرح والتفصيل ، فلم يكن موقف المفسرينواحداً في شرح الموجز وتقدير المحذوف، بل طال البحث وتعددت الأقوال وكثر الاختلاف فيه .

ووقوع العطف في مواضع أوجز اللفظ فيها كانسبباً في اختلاف المفسرين في تحديد معنى العطفبناءً على تقدير الكلام المحذوف .

ومثاله :قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه٤٩-٥٠]

هذه الآية وقعتجواباً لفرعون أوحاه اللهعزّ وجل لموسى عليه السلام في وصفه تعالى باختصاصه بالخلق والهداية ، و(خلقه) أول مفعولي أعطى أو ثانيهما [٢٧] .

وقُرئ(خلَقَه) على صيغة الماضي على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه.[٢٨]

وحذف المفعول الثاني على هذه القراءة إما للاقتصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وإنعامه أو للاختصار.

ومعنى الآية :أن الله ربَّنا هو الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته وشكله اللائق، أو أعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج إليه وترتفق به، ثم هدى إلى طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه كي يتوصل إلى بقائه وكماله .[٢٩]

و(ثم):هي للتراخي الحقيقيبناءً على هذا التقدير لأن الخلقمتقدمٌ على الهداية .

---

[٢٧] الكشاف ٣/ ٦٧

[٢٨] الكشاف ٦٧/٣- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ٢/ ٥٦٨، للإمام أبي الحسن الهمذاني العطار، تحقيق :د. أشرف محمد فؤاد طلعت ،إشراف جامعة الإمام محمد بن سعودا الإسلامية - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص (٣٠٣)، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي ، رواه وصححه علي محمد الصباغ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان ، وهذه قراءة الرستمي عن نصير .

[٢٩] التفسير الكبير ٥٨/٨ - إرشاد العقل السليم ٢٠/٦ -التحرير والتنوير ١٢٩/١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحتمل أن يكون المراد بقوله (ثم هدى):أي أرشد ودلّ سبحانه بذلك على وجوده، فإن من نظر في هذه المحدثات وما تتضمنه من دقائق الحكمة علم أن لهاصانعاً واجب الوجود عظيم العطاء. والمعنى :ربنا الذي خلق كل شيء حسب استعداده أو على الوجه اللائق به ،وجعلهدليلاً عليه جلّ جلاله .

وبناءً على هذا التقدير فالعطف بـ(ثم) يراد به التراخي في الرتبة ،لأن الجعل وإن كانمتأخراً عن الخلق لكن ليس بينهمتراخٍ في الزمانأصلاً .[٣٠]

وهكذا يكون الإيجازمؤثراً في دلالة الآية وتقدير المعنى ، وبالتالي اختلاف مدلول العطف وأثره، يقول الزمخشري معلّقاً على هذه الآية :

"وللهدرّ هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه ، وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكانطالباً للحق" [٣١] .

المبحث الثالث : اتجاهات المفسرين في العطف الرتبي :

العطف الرتبي مصطلح جديداستُعمل للدلالة على أسلوب خاص في العطف، وقد تعددت مواقف المفسرين واتجاهاتهم في التنبيه عليه وتفصيله من حيث اعتماد هذاالنوع من العطف أولاً ثمّ معرفة مواضع وقوعه واستعماله ، و بيان ذلك في مطلبين :

المطلب الأول :مدى حضور العطف الرتبي في كتب التفسير :

مع أنّ المفسرين اختلفوا في توجيه العطف الرتبي لكننا لا نستطيع الحكم برفض هذا النوع من العطف عند أحدٍ منهم ،إذ لم يوجدمن صرّح بإنكار العطف الرتبي أو ردّه، وتوضيح ذلك من خلال تصنيف مواقف المفسرين في أربعة اتجاهات :

١-إغفال موضوع العطف الرتبي ، وتجاوز مواضعه وعدم الإشارة إليه :

مع شدة اعتناء المفسرين بتفسير كتاب الله عز وجل والبحث في أسراره والوقوف على إعجازه وبلاغته ، فإن منهم من أهمل موضوع العطف الرتبي ولم

---

[٣٠] روح المعاني ٨/٧١٧

[٣١] الكشاف ٣/ ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتعرض له سواء من الناحية التطبيقية أو الاصطلاحية ،فقد كان المفسر يكتفي في مواضع هذا العطف بتأويل العطف فيها تأويلاً يتناسب ومدلول الآية ، أو أنه قد يتجاوز موضوع العطف ويكتفي بإبراز المعنى الإجمالي دون التعرض للعطف الرتبي،وموقفُ المفسر هذا لا يعني إطلاق حكم برفض المفسر له فقد يكون إغفاله لأسباب معتبرة استغنى بها عن هذا الأسلوب .

وهذا مذهب الأخفش ، فقال في تفسير قوله تعالى :{اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} [النمل ٢٨] "فـ (ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ) مؤخرة لأن المعنى فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ " [٣٢]

وكذلك أغفل ابن قتيبة هذا الأسلوب ولم يتعرض لدلالة (ثم) كما في الزمخشري {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا }[٦][٣٣]

وهذا ما كان من السمرقندي في تفسيره ، فقد جعل (ثم) في قوله تعالى :{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } [الأنعام١٥٤] بمعنى الواو أي : و آتينا ، أو تقدير(ثمّ أتل عليكم نبأ)،[٣٤] ولم يفصل في العطف في الزمخشري{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا }[٦] [٣٥] .

---

[٣٢] معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٦٨ ، وقد تكرر ذلك في عدد من مواضع هذا العطف ،كقوله تعالى :"إنما مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون " آل عمران ٢٢١/١ ، فلم يتعرض لمعنى العطف فيها .

[٣٣] غريب القرآن ص(٣٨٢) ، ابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد وقيل: المروذي، النحوي اللغوي ، كان فاضلا ثقة سكن بغداد وتصانيفه كلها مفيدة منها غريب القرآن ومشكل القرآن في التفسير، توفي ٢٩٦هـ. طبقات المفسرين - الأدنروي ص (٤٤)

[٣٤] تفسير القرآن العظيم ، المسمى تأويلات أهل السنة ١٤٩/٢، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي الحنفي، تحقيق : فاطمة يوسف الخيمي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي ، له كتب منها : كتاب النوازل في الفقه ،كتاب عيون المسائل ، توفي سنة ٣٩٣م. طبقات المفسرين الأدنروي ص (٩١و٩٢).

[٣٥] المصدر نفسه ٢٩٣/٤ ، يمكن الرجوع إلى تفسير آية الأعراف ٢/ ٢٠٧ ، و غيرها في تفسيره لمعرفة كيفية تأويل هذا العطف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢-التنبيه على العطف الرتبي والإشارة إلى مدلوله كوجهٍ من وجوه التأويل دون اعتماد مصطلح خاص ٍ به: لم يحل تعدد مصطلحات العطف الرتبي وغموض دلاتها دون الإشارة إليه عند المفسرين باعتباره أسلوباً مستعمَلاً في الخطاب القرآني ، كما يظهر ذلك عند الطبري والنحاس والماوردي والواحدي وابن الجوزي[٣٦] فقد أشار كلٌّ منهم إلى دلالة هذا الأسلوب ووجه استعماله في بعض المواضع –على اختلافٍ بينهم بترجيح القول بالعطف الرتبي أو غيره- مما يدلّ على أن مفهوم هذا العطف كان حاضراً في أذهانهم وإنلم يصطلحوا على تسميته بمسمىً واضح .

ففي قوله تعالى :ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ] [البقرة ١٩٩] يذكر النحاس جواباً في سبب دخول (ثمّ) على تكرر الأمر بالإفاضة من عرفة ، فقال :

"والجواب الثاني وهوالمختار: أنّ (ثمّ)على بابها، والمعنى: ثمّ أمرتم بالإضافة من عرفات من حيث أفاض الناس، وفي هذا معنى التوكيد لأنهم أمروا بالذكر عند المشعر الحرام والإفاضة من عرفات ثم وكدت عليهم الإفاضة من حيث أفاض الناس لا من حيث كانت قريش تفيض، وقال تعالى :(ثم آتينا موسى الكتاب][الأنعام ١٥٤]ويقال: فلان كريم ثمإنَّه يتفقدنا ، وفلان يقاتل الناس ثمإنَّه رديء في نفسه ، أي:ثمّ **أزيدك في خبره"**.[٣٧]

---

[٣٦] - النحاس : أحمد بن محمد المرادي النحاس النحوي المصري أبو جعفر، له تصانيف منها : تفسير القرآن الكريم و إعراب القرآن والناسخ والمنسوخ ، توفي سنة ٣٣٧ أو ٣٣٨ . طبقات المفسرين الأدنروي ص(٧٢).

- الماوردي : علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي ، من تصانيفه الحاوي في الفقه والأحكام السلطانية ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص (١١٩)

- الواحدي :علي بن أحمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري ،صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي وغيرها وتصدرللتدريس مدةوله شعر حسن ، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة . طبقات المفسرين الأدنروي ص(١٢٨)

-ابن الجوزي : عبد الرحمن بن أبيالحسن أبو الفرج ، من ولد الإمام أبي بكر الصديق ، عنّف في فنون عديدة ، ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي ٥٩٧هـ . طبقات المفسرين الأدنروي ص (٢٠٨)

[٣٧] الجواب الأول الذي ذكره النحاس :أن (ثم) بمعنى الواو ، معاني القرآن الكريم ، ١٤٠/١ ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ،جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر الماوردي وجهاً لتأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[الأعراف١١] " معناه ثم صورناكم ثم أخبرناكم أنّا قلنا للملائكة : اسجدوا " [٣٨] وهذا من باب العطف الرتبي .

وفي قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزمر٦] ذكر الطبري في توجيه هذه الآية ما جاء في تطبيقات العطف الرتبي (بلعني ما كان منك اليوم ثمّ ما كان منك أمس أعجب) [٣٩]وهذا إشارة إلى العطف الرتبي دون استعمال مصطلحٍ خاصٍ به .

وذكر ابن الجوزي وجهاً في تفسيرهذه الآية :" ثم أخبركم أنه خلق منها زوجها " [٤٠] وهو مضمون العطف الرتبي.

٣-اعتماد العطف الرتبي في بعض المواضع ، واستخدام مصطلحاته واللجوء إليه عند الحاجة :

إذ يعد موضوع العطف الرتبي مما يثير الانتباه في القرآن الكريم ، ولابد للمفسر من تأمل دقيق وبحث عميق فيه ، ولئن استطاع المفسر في بعض مواضع هذا العطف من الاستغناء عنه، فإنه مما لا يستطيع إغفاله في مواضع أخرى .

وصرّح شيخ زاده باعتماد العطف الرتبي عندتعذّر الحقيقة فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف١١] " والوجه الثالث : -الذي ذكره البيضاوي في تأويل (ثمّ)-أن (ثمّ) ليست للترتيب في الزمان ، بل هي للترتيب في الإخبار بناءً على أن الإخبار بإنعام تلك النعمة نعمة أخرى ، فإنّ تشريف المخاطبين بجعل أبيهم مسجود الملائكة متفرّع على إيجادهم وتصويرهم ، ولم يرض

---

[٣٨] النكت والعيون ٢٠٣/٢،أبو الحسن الماوردي ، راجعه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٢جامع البيان ١٢ /١٩٤ .

[٤٠] زاد المسير في علم التفسير ٥/٧،للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد الجوزي ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله -خرّج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهذا الوجه لأن**حمل (ثمّ) على الترتيب في الأخبار إنما يصار إليه إذا تعذّر حملها على أصل معناها** ولم يتعذر ذلك لما ذكر في الوجهين الأولين " [٤١]

ونبّه الآلوسي على أن استعمال العطف الرتبي إنما هو بحسب الحاجة ، كما في قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام٢٣] فذكر قولاً يجيز حمل (ثمّ) التراخي الرتبي ،ثم قال :

" وأنت تعلم أنه **لا ضرورة للعدول عن الظاهر** لجواز أن يكون هناك تراخ في الزمان بناء على أن الموقف عظيم فيمكن أن يقال : إنهم لما عاينوا هول ذلك اليوم وتجلي الملك الجبار جل جلاله عليهم بصفة الجلال كما تنبئ عنه الجملة السابقة حاروا ودهشوا فلم يستطيعوا الجواب إلا بعد زمان ومما ينبئ على دهشتهم وحيرتهم أنهم كذبوا وحلفوا في كلامهم هذا". [٤٢]

وبهذا كان اعتماد أسلوب العطف الرتبي خير سبيل لحل بعض الإشكالات التي تعترض المفسر في تفسيره للآية، فاقتصر التنبيه على هذا العطف عند بعض المفسرين على وجود الحاجة إليه ، وهذالاحظٌ من تتبع أقوال المفسرين في مواضع العطف الرتبي المشكِلة ، ومما ساعد على إبراز هذا العطف وإظهار أهميته وزيادة الاعتناء به تطور المصطلحات ، ويظهر ذلك عند البيضاوي وأبو حيان وأبي السعود والآلوسي وابن عاشور. [٤٣]

مثال :قوله تعالى :﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود ١]

أحكمت :أي نظمت نظماً محكماً لا يطرأ عليه اختلال فلا تناقض فيه أو شيء مما يخل بفصاحته وبلاغته.

فصلت :جُعلت مفصلة باشتمالها على دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد. [٤٤]

---

[٤١] حاشية شيخ زادة ٣٢٩/٢

[٤٢] روح المعاني ١٦١/٧، تقدير الحاجة للقول بالعطف الرتبي يرجع إلى تقدير المفسر واجتهاده .

[٤٣] سبق التمثيل على ذلك عند البحث في وقوع تعارض بين الآيات المحتملة للعطف الرتبي ، ص(٦٣) من هذه الرسالة .

[٤٤] الكشاف ٣٧٧/٢– أنوار التنزيل ٣/ ٦- البحر المحيط ١١٩/٦ - إرشاد العقل السليم ١٨٢/٤– روح المعاني٢٦١/١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و(ثمّ): تفيد التراخي الرتبي [٤٥]

يقول الزمخشري في تفسيره :" فإن قلت : ما معنى ثم ؟ قلت : ليس معناها التراخي في الوقت ، ولكن في الحال ، كما تقول : هي محكمة أحسن الإحكام ، ثم مفصلة أحسن التفصيل . وفلان كريم الأصل ،ثمّ كريم الفعل "[٤٦]

١- التوسع في العطف الرتبي مصطلحاً وتطبيقاً ، مع تتبع مواضعه وإظهار أثره :

يعد ابن عاشور من أبرز المفسرين تميزاً في إظهار هذا العطف مصطلحاً وتطبيقاً ، فقد صرّح في أول موضعٍ يرد فيه هذا العطف بدلالة هذا الأسلوب وأثره، ولم يكتف ابن عاشور بالتنبيه على هذا الأسلوب المستعمل في عطف (ثمّ) ، بل أصّل في تفسيره لهذا النوع من العطف وذكر مصطلحاتٍ دقيقةٍ دالةٍ عليه ،وأغفل بعض المصطلحات المستعارة للتعبير عنه ،مؤيداً ذلك بالشواهد المناسبة .

يقول في تفسير قوله تعالى :(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة ٢٩]

" ولدلالة (ثُمَّ) على الترتيب والمهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة وهي مهلة تخييلية في الأصل تشير إلى أن المعطوف بـ (ثُم) أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها "

وبعد أن عرض بعضاً من الأمثلة على هذا الاستعمال قال :

" وإفادة التراخي الرتبي هو المعتبر في عطف (ثمّ) للجمل سواء وافقت الترتيب الوجودي مع ذلك أو كان معطوفها متقدماً في الوجود "[٤٧]

وكأن ابن عاشور في قوله هذا قعّد لهذا الأسلوب بجعل (ثمّ) في عطف الجمل تفيد العطف الرتبي .

ولم يقف ابن عاشور عند حدود التأصيل النظري بل إنه تتبع مواضع هذا العطف وكشف دلالته وأهميته ،وهو لا يفتأ في أثناء تفسيره من تطبيق قاعدته في العطف

---

[٤٥] هذا وجهٌ عند المفسرين ،و يمكن جعل (ثم) للتراخي الزماني وتأويل الآية بحمل معنى (فصلت) على تفريق الآيات بتنزيلها المنجم بالفعل ،وإلى هذا ذهب بعض المفسرين ، إرشاد العقل السليم ١٨٢/٤ - روح المعاني ٢٦١/١٢

[٤٦] الكشاف ٣٧٧/٢

[٤٧] التحرير والتنوير ٣٧٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مواضع ورود (ثمّ) ، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ١٢٦]

" و (ثم) للتراخي الرتبي **كشأنها في عطف الجُمل** من غير التفات إلى كون مصيره إلى العذاب متأخراً عن تمتيعه بالمتاع القليل "[٤٨]

وهكذا تفنن ابن عاشور في عرض هذا العطف مصطلحاً وتطبيقاً لما وجد فيه من أثر في المعنى حاول إبرازه في مواضعه ، فكان للعطف الرتبي في تفسيره حضورٌ واسعٌ .

ومع ذلك كله فإن ابن عاشور في جعل (ثم) في عطف الجمل لإفادة العطف الرتبي حمّل المعنى ما لا يحتمل وجعله تابعاً للإعراب بناءً على قاعدته الموضوعة في العطف الرتبي ، فاضطر لمخالفة قاعدته أو تكلّف في إظهار المعنى الرتبي في هذا الأسلوب أحياناً .[٤٩]

ففي قوله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة١١٨]

يقول ابن عاشور :" و(ثُمّ) هنا للمهلة والتراخي الزمَني وليست للتراخي الرتبي ، لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق ، وهو مغن عن جواب (إذا) لأنه يفيد معناه ، فهو باعتبار العطف تنهية للغاية ، وباعتبار المعطوف دال على الجواب " [٥٠].

وما ذهب إليه ابن عاشور في اعتبار (ثم) للتراخي الزمني مع كونه أدلّ على المعنى المقصود، مخالفةٌ لمنهجه في (ثمّ) في عطف الجمل ، ولا بد أن مخالفة المنهج الموضوع أولى من تحميل المعنى مالا يحتمل ، إلا أنه كان من الممكن تقييد

---

[٤٨] التحرير والتنوير ٦٩٧/١

[٤٩] سيأتي ذكر بعض الأمثلة على تكلّف المعنى الرتبي عند ابن عاشور ص (١٠٦) في هذا البحث .

[٥٠] التحرير والتنوير ١٠/ ٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاعدة الموضوعة للعطف عنده وجعل (ثم) في عطف الجمل لإفادة العطف الرتبي إن كان له وجهٌ معتبر .

وأخيراً نستطيع القول : لم تكن مواضع العطف الرتبي محلاتفاقٍ بين المفسرين ، بل كانت هذه المواضع محلاختلافٍ بينهم ، وكان لهذا الخلاف وجوهٌ معتبرة وأسبابُ مقبولة ، سبق تفصيلها في المبحث السابق .[٥١]

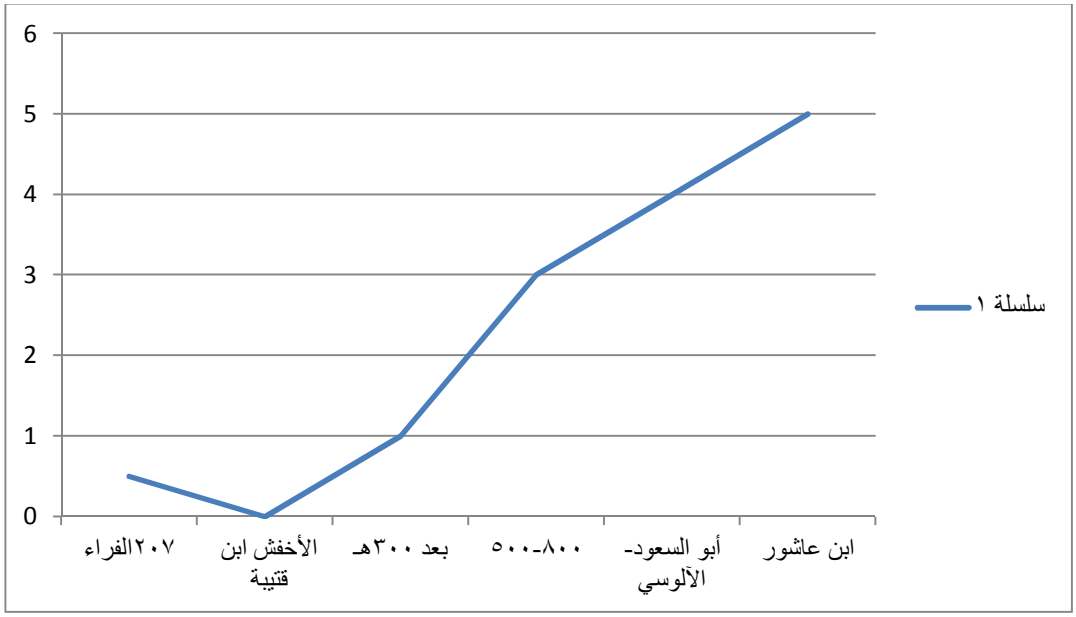

رسم بياني يمثل تطور اعتماد العطف الرتبي عند المفسرين

[٥١] ذكرت أسباب تباين المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي ص (٥٩)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : مكان العطف الرتبي :

وضع ابن عاشور ضوابط معينة لاعتبار العطف من قبيل العطف الرتبي ، ومع تركيزه على وجود تلك الضوابط في هذا الأسلوب لكنّ ذلك لا يعني التسليم بها، فقد اختلف المفسرون في اعتبارها ، وتفصيل ذلك في نقطتين :

أولاً الحروف المرتبطة بالعطف الرتبي عند المفسرين:

كثُر التنبيه على العطف الرتبي عند استعمال الحرف (ثمّ) كما رأينا في الأمثلة السابقة،[٥٢] لكنّ ذلك لا ينفي دخول حرف (الفاء) في هذا الأسلوب باعتباره حرف عطف يفيد الترتيب ، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات١ - ٣]

فالفاء العاطفة في الآيات المذكورة يمكن أن تفيد ترتيب الصفات في التفاضل إن أريد بهذه الصفات موصوفاً واحداً هم الملائكة .[٥٣]

---

[٥٢] كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[الأعراف ١١] ،وقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزمر ٦] ،وأيضاً: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام١٥٤]

[٥٣] هذا اجتهاد الزمخشري ، وأجازه البيضاوي ،ونقله أبو حيان وأبو السعود ، وعبّر عنه الآلوسي بـ (الترتيب الرتبي) .الكشاف ٣٣/٤- إرشاد العقل السليم ١٨٥/٧- روح المعاني ٨٧/٢٣. سبق التفصيل في تأويل الآية ص (٧٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخالف ابن عاشور في اعتبار العطف بـ (الفاء) من باب الترتيب الرتبي كما يُفهم من كلامه عند تفصيله في معنى (ترتيب الأخبار) لمّا حصر هذا الأسلوب بالحرف (ثمّ).[٥٤]

ويتضح ذلك في قوله تعالى :﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ فَأَىُّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ فَجَآءَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾[الشعراء ٢٠١ - ٢٠٣]

الفاء في قوله (فيأتيهم بغتة) للعطف الرتبي كما يُفهم من تأويل الزمخشري .

فيقول موضحاً ذلك :" فإن قلت : ما معنى التعقيب في قوله (فيأتيهم بغتة)قلت : ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود ، وإنما المعنى ترتبها في الشدّة ، كأنه قيل : لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشدّ منها وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشدّ منه وهو سؤالهم النظرة . ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه : إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله ، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أنّ مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين ، وإنما قصدك إلى ترتيب شدّة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقتُ الصالحين ، فما هو أشدّ من مقتهم : وهو مقت الله ، وترى ثمّ يقع هذا الأسلوب فيحل موقعه"[٥٥]

وهذا التأويل من الزمخشري لم يصححه ابن عاشور-مع توسّعه في هذا الأسلوب بالحرف (ثمّ)-وهو لا يندرج في قاعدته في العطف الرتبي في اختصاصه بـ(ثمّ)، ومن المستحسن نقل كلامه كاملاً حيث يقول:

"والفاء في قوله (فَيَأْتِيَهُمْ) عاطفة لفعل (يأْتِيَهُمْ) على فعل (يروا) كما دلّ عليه نصب (يَأْتِيَهُمْ)، وذلك ما يستلزمه معنى العطف من إفادة التعقيب فيثير إشكالاً بأن إتيان العذاب لا يكون بعد رؤيتهم إياه بل هما حاصلان مقترنين فتعين تأويل معنى الآية. وقد حاول صاحب الكشاف والكاتبون عليه تأويلها بما لا تطمئن له النفس .

---

[٥٤] يقول ابن عاشور :" ولدلالة (ثمّ) على الترتيب و المهلة في عطف المفرد على المفرد كانت في عطف الجملة على الجملة للمهلة في الرتبة " سبق نقل كلام ابن عاشور ص(٨١)

[٥٥] الكشاف ٣٣٨/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوجه عندي في تأويلها أن تكون جملة (فَتِيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) بدلَ اشتمال من جملة (وَيَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وأدخلت الفاء فيها لبيان صورة الاشتمال؛ أي أن رؤية العذاب مشتملةٌ على حصوله بغتة، أي يرونه دفعة دون سبق أشراط له " [1].

ومما يجدر التنبيه عليه أنّ ابن عاشور لم يُدرج (الترتيب الذكري) المخصوص بعطف (الفاء) في أسلوب العطف الرتبي وإنما جعله أحد وجوه الترتيب في (الفاء) المعبّر عنه بـ (عطف المفصل على المجمل) وهو يخالف الترتيب الرتبي عنده [2] .

.

كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ}[البقرة٥٤]

الفاء في قوله (فاقتلوا أنفسكم) للترتيب الذكري وهو عطف المفصل على المجمل[3].

المجمل[3].

وبهذه الأمثلة التطبيقية نرى ارتباط العطف الرتبي (بالفاء-ثمّ)عند المفسرين كما هو المستعمل عند الخويين ، ولا أرى للحرف (ثمّ) مزيةً لاختصاصه بهذا الأسلوب عند ابن عاشور .

ثانياً : وقوع العطف الرتبي في الجمل عند المفسرين:

اشترط ابن عاشور في العطف الرتبي وقوعه في الجمل ، ومع أن الأمثلة المذكورة على ذلك تختص بعطف الجمل في الحرف (ثمّ) ، لكن المفسرين لم يصرّحوا بذلك واكتفوا بتأويل العطف الرتبي فيها .[4]

لكنّ العطف بـ (الفاء)يختلف في هذه المسألة ، فلم يكن لوقوع العطف بها في الجمل مزيةٌ لاعتباره من قبيل العطف الرتبي ، وأوضح مثالٍ على ذلك ما ذكرته في سورة الصافات :{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا }[١ - ٣]

---

[1] التحرير والتنوير ١٩٩/١٩.

[2] للمعطوف عند ابن عاشور مكانة مميزة في العطف الرتبي ،وعدم تحقق ذلك في عطف (الفاء) هو الأساس في في إخراج العطف بها من دائرة العطف الرتبي عنده .

[3] التحرير والتنوير ١٧/٨.

[4] عرضت في المباحث السابقة كثيراً من الأمثلة على ذلك كقوله تعالى :{ثم جعل منها زوجها]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالفاء في الآيات المذكورة عطفت المفردات ، ولم يكن لوقوع العطف فيها في المفردات مانعٌ من القول بالعطف الرتبي .[1]

وقال تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[المرسلات ٣ - ٥]

ذكر الآلوسي قولاً باعتبار العطف في (الفارقات)بالفاء لإفادة الترتيب الرتبي، لكون إرادة الفرق بين الحق والباطل أعلى رتبة من النشر .[2]

وفيما وقع في عطف الجمل قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾[الشعراء ٢٠١ - ٢٠٣]

الفاء في قوله (فيأتيهم) عطفت جملة على جملة لإفادة الترتيب الرتبي .[3]

فلم يفرّق المفسرون بين العطف بالمفردات أو بالجمل لاعتباره من قبيل العطف الرتبي عند العطف بـ(الفاء) ولم يذكروا مانعاً يمنع ذلك وأرى أنّ الأمثلة المذكورة تدعم هذا الاجتهاد ، و لابن عاشور اجتهادٌ مخالف في تخصيص العطف الرتبي بعطف الجمل موافقاً بهذه المسألة الاستراباذي من النحويين .

المطلب الثالث :العطف الرتبي بين النحويين والمفسرين :

يعد القرآن الكريم المرجع الأول في اللغة ، فلا بد للمتخصص في علوم اللغة من الاطلاع على وجوه القرآن اللغوية والبحث فيها ، ومعرفة قواعده الإعرابية، وقد فرض هذا على العلماء الجمع بين التفسير وعلوم العربية ، فبرعوا في كليهما ، وصنفوا في كل واحدٍ منهم كالفراء والأخفش والنحاس والزمخشري وأبي حيان وغيرهم .

وحتى من اقتصر في التصنيف على أحدهما ، لم يكن ليقصر في العلم الثاني فتراه يتخصص في اللغة ولكنه لا يفتأ يستشهد بالآيات القرآنية ويبين دلالتها و وجهها .

---

[1] انظر ص (٥٦) من هذا البحث .

[2] الناشرات : الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو ، روح المعاني ٢٤١/٢٩

[3] سبق عرض هذه الآية في فقرة سابقة ص (٨٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا فقد يصعب التفريق بين جهود النحويين والمفسرين في إحدى المسائل اللغوية كالعطف الرتبي ، إلا إذا اعتمدنا مجال التصنيفمعيارًا للتفريق بينهما .

وقد اختلفت أسباب البحث في موضوع العطف الرتبي بين النحويين والمفسرين ، فتعرض النحويون لمسألة العطف الرتبي عند البحث في حروف العطف ودلالتها ، واعتمدوا في بيانه على الشواهد الفصيحة المنقولة فيه ، وأفاضوا في الاستشهاد بالآيات الكريمة ووجوه دلالتها على هذا العطف ، بينما نبّه المفسرون عليه في المواضع المستعمل فيها في القرآن الكريم ، وفصلوا في توجيهها ودلالتها ، ولم يُغفل المفسرون نقل الشواهد العربية لبيان المراد بهذا الأسلوب واستعماله عند العرب.

ومع اتفاق كل من النحويين والمفسرين في أغلب الشواهد والآيات المعتمدة في هذا العطف، فالملاحظ إكثار النحويين من الشواهد القرآنية بالنسبة إلى المعتمد عندهم من الشواهد العربية الفصيحة ، وقد اقتصروا في الشواهد العربية على بعض العبارات النثرية والأبيات الشعرية .[1]

أما المفسرون فنبهوا على الآيات القرآنية الدالة على هذا الأسلوب وأفاضوا البحث فيها لما تحمله منمعانٍ ودلالات واسعة ، كما دللوا على هذا الاستعمال في كلام العرب من خلال عرض الشواهد المعتمدة عند النحويين والتفصيل في دلالتها .[2]

وعلى الرغم من ضيق المساحة التطبيقية في العطف الرتبي في كلام العرب ،فإنّ المفسرين حرصوا على إثبات هذا النوع من العطف باستعمال العرب وبحثوا في

[1] فصلت في الفصل التمهيدي الشواهد المعتمدة عند النحويين ص(٢٩)، فلا حاجة لإعادة ذكرها هنا .

[2] سيق إيراد هذه الشواهد فيمبحثٍ سابق ص(٤٥) و(٤٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك حتى إنهم لم يكتفوا بالشواهد المنقولة عند النحويين وإنما أضافوا إليها من المسموع عند العرب مما لم ينبه إليه النحويون ، كقول الشاعر:

جَذُوحِ دِفاقٍ فَنْدَلٌ أثْفِرِ عَت لَهَلَكَتِفَاها فيهُعَالِيًّمُصَعَّد

وأيضًا : يلا كْشِفُ الغَمَّاءَ إلاَّ ابنُ حُرَّة يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثم يزورها[1]

وبهذا نرى أن المفسرين كانوا أكثر اهتمامًا بجمع الشواهد التطبيقية في العطف الرتبي والبحث في مضمونها ، ولم يقتصروا على ما جاء في القرآن الكريم من آيات في هذا الأسلوب ، بل إنهم تجاوزوا ذلك إلى الشواهد النحوية ، فبحثوا فيها وأظهروا دلالتها، وهذا وإن وجد عند النحويين لكنه لم يبلغ المستوى الذي وصل إليه المفسرون من البحث والتفصيل والدقة .

ولعل هذا يرجع إلى منهج البحث عندكلٍ من النحويين والمفسرين ، فالنحويون كان اهتمامهممنصبٌ على التأصيل ، بينما يركز المفسرون على التطبيق مما يجعل مجال التفصيلواسعًا عندهم .

وبناء على هذا كله ظهرت جهود المفسرين في تطبيق العطف الرتبي واضحة ، وكان لهاأثرٌ بارزٌ في الكشف عن معاني هذا العطف وأهميته ، في حين انحصرت جهود النحويين في بعض الأمثلة التطبيقية .

وأما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت الاصطلاحات الدالة على العطف الرتبي ، ومع اتفاق كل من النحويين والمفسرين في بعض هذه الاصطلاحات ، اختلفوا في بعضها الآخر فاعتمد كل منهم (ترتيب الأخبار –الترتيب في الذكر – الترتيب الإخباري- الترتيب الذكري)أصلاً للدلالة على هذاالأسلوب، لكنّ المفسرين لم يقفوا عند هذه الاصطلاحات بل تفننوا في ابتداع مصطلحاتٍ جديدةتُعبر عن هذا الأسلوب وتدل عليه ، فاستعملوا مصطلح (التراخي في الرتبة – ثم مصطلح التراخي الرتبي-وأيضًا الترتيب الرتبي) [2] .

[1] سبق تخريج هذين البيتين ص(٤٦).

[2] سبق عرض هذه المصطلحاتسابقًا ص(٥١) وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالرغم من أن وضع الاصطلاحات من مهمة النحويين إذ إن هذا يرتبط بالتأصيل فإن النحويين لم يبلغوا المستوى الواجب في مسألة العطف الرتبي ، فقد اكتفوا ببعض الاصطلاحات الواسعة العامة دون محاولة لتطويرها أو تعميقها، في حين كثرت الاصطلاحات عند المفسرين وتعمقت دلالتها ، فجمعوا بهذا بين التأصيل والتطبيق في هذا العطف فبرز هذا الأسلوب واضحًا في كتب التفسير ؛اصطلاحًا بتعدد المصطلحات الدالة عليه ،وتطبيقًا بتتبع مواضعه في القرآن الكريم واستعمالاته .

وأخيرًا نجد أن المفسرين قد سبقوا النحويين في موضوع العطف الرتبي اصطلاحًا وتطبيقًا وكانت لهم جهود مقدرة ومعتبرة فيه ، وهذا الاهتمام عند المفسرين يرجع لما لهذا الأسلوب من أثر ظاهر في المعنى ، وأهمية كبيرة في تعيين المراد ، وهذا ما سأفصله إن شاء الله تعالى في طيات البحث .

الخلاصة:

تبلور مفهوم العطف الرتبي بفضل جهود المفسرين ، وأصبحت له مصطلحاتٍ محددة مخصوصة (كالتراخي الرتبي أو الترتيب الرتبي ،غيرها ..) . وعلى الرغم من اختلاف المفسرين في هذا الأسلوب لم يصرّح واحدٌ منهم برفضه هذا النوع من العطف ، وإنما اكتفى بإغفاله وتجاوز مواضعه ، ثمّ تفاوتت درجات اعتماده من قبل المفسرين ، فأشار إليه الطبري والرازي وابن الجوزي مضموناً دون إطلاق مصطلح محدد ، وأغلب المفسرين لجأوا إليه حسب الحاجة ، ولابن عاشور قاعدة موجزة اختلف المفسرون حولها باعتبار (ثم) في عطف الجمل للعطف الرتبي ، وكشف البحث شمول العطف الرتبي حرفي (الفاء –ثمّ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا التباين في مواقف المفسرين أسباب معتبرة ارتبط بعضها بمضمون العطف الرتبي أساساً كاضطراب مصطلحاته ، وبعضها يتعلق بموضع العطف الرتبي وتركيب الجملة المعطوفة .

ويمكننا القول أن مواضع العطف الرتبي كانت محل خلافٍ بين المفسرين على حسب اجتهاد المفسرين فيها وتأويلهم لها ، وكان لهذا الاختلاف آثارٌحسنةٌ وفوائدُ بليغةٌ تظهر مع البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : تأويل العطف الرتبي :

تمهيد :

تُعدّ معرفة معنى التأويل وما يرتبط به من مباحث الحقيقة والمجاز أساسًا لفهم حقيقة العطف الرتبي وأسراره ؛ فالعطف الرتبي نوعٌ خاصٌ من العطف استعيرت في صياغته أساليب وفنون بلاغية كالمجاز ،أو التقديم والتأخير ، ولابد لفهمه من معرفة هذه الأساليب ، والبحث في وقوعها في هذا العطف ، ومنهج المفسرين في تحليلها وكشف خفاياها .

وهذا الفصل يوضح هذه الجوانب من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :الحقيقة والمجاز في العطف

المطلب الأول : الحقيقة والمجاز وأنواعهما

المطلب الثاني : دخول العطف الرتبي في المجاز

المبحث الثاني : مناهج المفسرين في تأويل العطف الرتبي:

المطلب الأول : تعريف التأويل .

المطلب الثاني :اختلاف المفسرين في المؤول في العطف الرتبي .

المبحث الثالث : المعنى الرتبي في العطف :

المطلب الأول :أسباب التقديم والتأخير

المطلب الثاني : رتبة المعطوف في العطف الرتبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : الحقيقة و المجاز في العطف :

في هذا المبحث بيان لمعنى الحقيقة والمجاز وارتباط العطف الرتبي بهما :

المطلب الأول : الحقيقة والمجاز وأنواعهما :

الحقيقة لغة : مأخوذةٌ من الحَقِّ نقيض الباطل والحَقِيقَةُ ما يصير إليه الحَقُّ الأمر ووجُوبُه وبلغ حقيقةَ الأمر أي يَقِينَ شأنه.[1]

اصطلاحاً :"هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به التخاطب".[2]

وتنقسم الحقيقة إلى : ١- حقيقة لغوية : اللفظ المستعمل فيما وضع له في اللغة كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع.[3]

٢- شرعية : كالصلاة فإنها حقيقة لغوية في الدعاء لأنّ واضع اللغة وضعها له ، وحقيقة شرعية في العبادة المخصوصة لأن الشارع وضعها لها.

٣- عرفية : " وهي اللفظة التي انتقلت عن مسماها إلى غيره بعرف الاستعمال".[4]

وقد تكون **عامة** بأن تشتهر بحيث يستنكر معها استعمال الحقيقية، كالدابة: في ذوات الأربع أو الحوافر لأنّ أهل العرف العام وضعوها لها ، أو **خاصة** ما كان لكل طائفة من العلماء من المصطلحات الخاصة بهم ، كالرفع للحركة المخصوصة فإن أهل العربية وضعوه لها [5]

المجاز لغة : مأخوذ من قولهم جَازَ الموضعَ وْزاً وجَوازاً ومَجازاً : سار فيه وسلكه ، ويقال جَوَّز في كلامه أَي تكلم بالمَجاز وقولهم جَعَل فلانٌ ذلك لأَمرَ مَجازاً إِلى حاجته أَي طريقاً ومَسْلكا.[6]

---

[1] لسان العرب ، مادة(حقق) ، ٢٥٥/٣وما بعدها.

[2] الإحكام في أصول الأحكام ٤٧/١ ، للإمام علي بن محمد الآمدي ، علّق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي السعودية ،١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م – وهذا التعريف اختاره القزويني الإيضاح ص(٢٠٦)

[3] الإحكام للآمدي ٤٦/١

[4] المحصول في علم الأصول ١٠٠/١ ،الإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، اعتنى به عز الدين صلي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

[5] المحصول ١٠١/١.

[6] لسان العرب، مادة (جوز) ، ٤١٦/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصطلاحًا :"هو اللفظ المتواضع على استعماله أو المستعمل في غير ما وضع له أولاً في الاصطلاح الذي به المخاطبة لما بينهما من التعلق " [٧]

قوله (لما بينهما من التعلق) أي لما بين الحقيقة والمجاز من علاقة ، وهذا قيد لأنه لو لم يكن كذلك كان ذلك الاستعمال ابتداءً وضعًا آخر وكان اللفظمشتركاً لا مجازاً .[٨]

أنواع المجاز : وهو على نوعين:

الأول : الاستعارة: وهي ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له تشبيهًا.[٩]

الثاني :المجاز المرسل: وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمةلأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة .

وهذا النوع من المجاز يقع على وجوه كثيرة ، منها :

تسمية الشيء باسم جزئه، وعليه قوله تعالى:﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل ٢] أي صل.

ومنها عكس ذلك نحو:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ ﴾[البقرة ١٩] أي أناملهم.

ومنها تسمية المسبب باسم السبب كقولهم رعينا الغيث، أي النبات الذي سببه الغيث، وعليه قوله عز وجل:﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة١٩٤] سمّى جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء.

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله عز وجل:﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء ٢] أي الذين كانوا يتامى، إذ لا يتم بعد البلوغ .

ومنها تسمية السبب باسم المسبب : كتفسير إنزال أزواج الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [الزمر ٦] بإنزال الماء على وجه لأنها لا

---

[٧] الإحكام ٤٧/١

[٨] الإحكام ٤٨/١

[٩] الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٧) وما بعدها الشيخ الخطيب القزويني ، تحقيق : رحاب عكاوي ،دار الفكرالعربي ، لبنان- بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعيش إلا بالنبات، والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها، ويؤيده ما ورد أن كل ما في الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه.

وقوله تعالى﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل٩٨] أي أردت القراءة لإفادة (الفاء) الترتيب ، وتقرير السنة بتقديم الاستعاذة.[١٠]

المطلب الثاني : دخول العطف الرتبي في المجاز :

يُستعمل حرفا العطف (الفاء-ثم) للترتيب الزمني عند جمهور النحويين وهذا المعنى المعتمد عند الجمهور كان بعد تتبع كلام العرب واستعمالاتهم .[١١]

وقد جرى القرآن الكريم على هذا المعنى في دلالة هذين الحرفين ، فاعتمد (الفاء) لإفادة الترتيب مع التعقيب ، واستعمل (ثم) للترتيب مع المهلة .

قال تعالى :﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٨]

وقد ذكر الزمخشري وجه العطف بتلك الحروف فقال :" فإن قلت لم كان العطف الأول بـ(الفاء) والإعقاب بـ(ثمّ) ؟ قلت : لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء ، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت إن أريد به النشورتراخياً ظاهراً ..."[١٢]

ونبّه المفسرون على المعنى باعتباره الدلالة الحقيقية لهذين الحرفين في عدد من المواضع[١٣] وعبّر بعضهم عن ذلكأحياناً بلفظ (التراخي الحقيقي) أو المهلة الحقيقية، أو التراخي الزماني؛ فيقول أبو حيان في معنى (ثمّ) :

"ثُمَّ : تقتضي المهلة في الزمان هذا أصل وضعها ،ثمّ تأتي للمهلة في الإخبار "[١٤].

وجاء عن أبي السعود في تفسير قوله تعالى :﴿ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[المدثر ٢١ ، ٢٢] فقال في دلالة (ثمّ) :"على أصلها من التراخي الزماني " [١٥]

---

[١٠] المصدر نفسه ص(٢٠٨)وما بعدها .

[١١] لا حاجة لإعادة الشواهد لهذا الاستعمال فقد ذكرتها مفصلة فيما سبق ص(٢٤)وص(٣٧).

[١٢] الكشاف ١٢٢/١

[١٣] الكشاف ١٢٣/١، إرشاد العقل السليم ٧٨/١، روح المعاني ١٠٧/٢٩

[١٤] البحر المحيط ٦٩٣/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذا الكلام تصريح منه بأن الدلالة الأصلية للحرف (ثمّ) التراخي الزماني .

وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[الأنعام٦٠] يقول ابن عاشور :

" وجملة : (ثم يبعثكم فيه)معطوفة على (يتوفّاكم بالليل)**فتكون (ثمّ) للمهلة الحقيقية** "[١٦]

وبهذا يمكننا القول بأن الترتيب الزمني هو الحقيقة اللغوية والشرعية لهذين الحرفين، مع إمكان استعمالهما في غير ذلك المعنى الحقيقي عند تخلف الترتيب الزمني ويدخل ذلك في باب المجاز .

وشاع هذا الاستعمال المجازي في كلام العرب وآيات القرآن الكريم ، وذكره المفسرون في عدد من المواضع، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ١٢٦]

فالمراد بالاضطرار: كون الفعل صادراً من الشخص من غير تعلق إرادته به وهذا حقيقة ، ويطلق مجازاً في كون الفعل باختياره لكن بحيث لا يملك الامتناع عنه، وهذا ينطبق على حال الكافر في الآخرة ،فالاضطرار هنا مجاز عن كون العذاب واقعاً بهم وقوعاً محققاً ، حتى كأنه مربوط به، وقيل أن هذا الاضطرار في الدنيا ، بما يحصل للكافر من استدراجٍ بالنعم يجرّه إلى عذابٍ لا يملك الامتناع عنه .[١٧]

وهذا المعنى أورده الآلوسي ثم عقّب عليه بقوله :

" وهو كلام حسن لولا أنه يستدعي ظاهراً حمل ثم على التراخي الرتبي **وهو خلاف الظاهر**"[١٨] فهذا الكلم يدل على أن التراخي الرتبي هو من قبيل المجاز .

وصرّح ابن عاشور بإدراجه في المجاز ، بقوله :" وشاع هذا الاستعمال حتى صار كالحقيقة ، ويسمى ذلك بالترتيب الرتبي وبترتب الإخبار (بكسر الهمزة) "[١٩]

---

[١٥] إرشاد العقل السليم ٥٨/٩

[١٦] التحرير والتنوير ١٤١/٦

[١٧] روح المعاني ٥٢٦/١

[١٨] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن ذكر ابن عاشور شواهد لهذا الاستعمال عند العرب قال :" قلت وهو إما **مجاز مرسل** أو كناية ، فإن ألقت(ثمّ) وأريد منها لازم التراخي وهو البعد التعظيمي كما أريد التعظيم من اسم الإشارة الموضوع للبعيد ، والعلاقة وإن كانت بعيدة إلا أنّها لشهرتها في كلامهم واستعمالهم ومع القرائن لم يكن هذا الاستعمالمردوداً " [٢٠]

وهذا كلامٌدقيقٌ معتبر، ففي بعض الصور التي اعتبرها المفسرون من باب العطف الرتبي ، كان البلاغيون قد أدرجوها في مضمون المجاز المرسل في إحدى صوره، وهي تسمية السبب باسم المسبب حيث تكون العلاقة في العطف السببية ، كقوله تعالى:﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] [النحل٩٨] أي أردت القراءة لدخول الفاء المفيدة للترتيب، مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة .

وقوله تعالى﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي] [هود٤٥]أي أراد بقرينة قوله :(فقال رب).

وقوله تعالى﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾[الأعراف ٤] أي أردنا إهلاكها لما جاء بعدها من قوله تعالى :(فجاءها بأسنا)[٢١]

ويمكن حمل القراءة في الآية الأولى ، والمناداة في الثانية ، والإهلاك في الثالثة على حقيقتها ، فيكون المجاز واقعًا في حرف العطف باعتبار استعماله في غير ما وضع له من معنى الترتيب بقرينة ما جاء بعده من جمل يمتنع معها إرادة الترتيب .

ونبّه أبو البقاء الكفوي على اعتباره من المجاز فقال :

" والتراخي الرتبي ليس معنى (ثمَّ) في اللغة وغيرها بل يطلق عليه (ثمَّ)مجازاً [٢٢]"

وبذلك يظهر أن البحث في مضمون العطف الرتبي وحقيقته ليس إلابحثاً في الاستعمال المجازي لهذين الحرفين، وتقريرُ المعنى المجازي لهما يخضع لضوابط التفسير وشروطه التي ينبغي على المفسر مراعاتها عند تفسير النص القرآني ، و

---

[١٩] التحرير والتنوير ٣٧٧/١

[٢٠] التحرير والتنوير ٣٧٧/١

[٢١] الإيضاح في علوم البلاغة (٢٠٨)وما بعدها .

[٢٢] الكليات ص(٣٢٥) ، وسبق نقل كلام الاستراباذي في اعتبار هذا الاستعمال من قبيل المجاز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المبحث التالي سأبين منهج المفسرين في بيان معنى حرف العطف وكيفية تأويله .

المبحث الثاني : مناهج المفسرين في تأويل العطف الرتبي :

تتعدد معاني ألفاظ القرآن الكريم ، ويختلف المفسرون في فهمها وتحليلها ، وفي هذا المبحث بيان لمعنى التأويل ، واجتهادات المفسرين في تأويل العطف الرتبي ، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول : تعريف التأويل :[٢٣]

الأَوْلُ الرجوع ، آل الشيءُ يَؤُولُ أَوْلاً ومآلاً رَجَعَ وأَوَّلَ إِليه الشيءَ: رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت .

وأَوَّلَ الكلامَ تَأْوِيلاً وأَوَّلَه: دَبَّره وقدَّره وأَوَّلَه تَأْوِيلاً وتَأَوَّلَه: فَسَّره . وقوله عز وجل: ﴿لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس ٣٩] : أَي لم يكن معهم علم تأْويله .

وهو تفعيل من أَوَّلَ يُؤَوِّلُ تَأْوِيلاً، وتُلاثِيُّه آلَ يَؤُول: أَي رجع وعاد ، وقال بعض العرب: أَوَّلَ اللهُ عليكَ أَمرَكَ أَي جَمَعَه وإِذا عَوا عليه قالوا أَوَّلَ اللهُ عليكَ شَمْلَك ويقال في الدعاء للمُضِلِّ أَوَّلَ اللهُ عليك أَي رَدَّ عليك ضالَّتك وجَمَعها لك، ويقال تَأَوَّلت في فلان الأَجْرَ إِذا حَرَّيته وطلبته والتأْويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه .[٢٤]

والتأويل عند الأصوليين : صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله لدليل .[٢٥]

والتأويل كما في (النهاية في غريب الحديث والأثر) :" هو من آل الشيء يؤول إلى كذا : أي رجع وصار إليه ، والمراد بالتأويل نقْل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليلٍ لولاه ماتُرك ظاهر اللفظ " [٢٦]

---

[٢٣] سأقتصر في مسألة التأويل على ما يلاءم موضوع البحث دون الخوض في تفصيل العلماء ومذاهبهم في ذلك فمن أراد الاستزادة فليراجع مباحث التعارض والترجيح في أصول الفقه .

[٢٤] لسان العرب ، مادة أول ، ٢٦٤/١.

[٢٥] البحر المحيط في أصول الفقه ٢٦/٣ ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق :محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

[٢٦] النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (أول) ٨٨/١، أبو السعادات المبارك ابن الأثير ، تحقيق :الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان، الطبعة الثانية ،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا فالتأويل يمكن أن يكون بمعنى التفسير ومعناه التبيين والإيضاح ، ويمكن أن يقصد به اعتماد المعنى الخفي للفظ وترك ظاهره وهذا يتعلق بالحقيقة والمجاز في استعمال اللفظ .

ويدخل العطف الرتبي في التأويل بكونهصرفًا لحرف العطف عن معناه الحقيقي الظاهري واعتماد معنى آخر محتمل لدليل ، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في هذا المبحث .

المطلب الثاني :اختلاف المفسرين في المؤول في العطف الرتبي :

يعتمد العطف الرتبيأساسًا على تأويل حرف العطف ، ويختلف المفسرون في تأويله بحسب مسوغاته فقد يكون التأويل في بعض الصورواجباً يتعين المصير إليه كوجود تعارض بين المعنى الحقيقي الظاهري للنصوص مما يوجب تأويل النص القرآني باعتماد المعنى المجازي وترك المعنى الظاهري .

واجتهادات المفسرين مختلفة في كيفية التأويل بين الأخذ بالمعنى الحقيقي لحرف العطف وبهذا يبقى العطف على حاله دون إسباغ المعنى الرتبي عليه، أو ترجيح المعنى المجازي وجعله من قبيل العطف الرتبي ، وذلك بحسب ما يظهر لهم من قرائن وما يترجح لهم من الأدلة ، وفي النهاية ينعكس هذا الاختلاف على محلِّ التأويل والمعنى المؤول، فتتعدد الأقوال وتكثر المعاني ، وقد يتخذ التأويل إحدى الصور التالية :

الصورة الأولى : التأويل الواجب لما يظهر عند حمل معاني الألفاظ في الآية على ظاهرها من تعارض:

في مثل هذه الحالة يتوجب التأويل ، ويمكن أن يكون العطف الرتبي أحد وجوه التأويل حسب اجتهاد المفسر ، ويشترط عند ذلك ملاحظة تركيب الآية ليتناسب تأويل العطف فيها مع مضمونها وسياقها .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿كَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف ٤]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه الآية تحذير للكافرين من عاقبة الكفر والإعراض عن منهج الله تعالى ،من خلال تذكيرهم بإهلاك القرى قبلهم ، واختلف المفسرون في دلالة حرف (الفاء) بإبقاء معناها الأصلي المفيد للترتيب والتعقيب ، أو جعلها لترتيب القول ، و على القول الأول يجب تأويل جملة العطف بتقدير فعل (أردنا إهلاكها أو حكمنا بإهلاكها)، وأما عند تقدير المعنى المجازي للفاء فالمراد الإخبار بكثرة القرى المهلكة ثم الإخبار بأنه كان من شأنها مجيؤها البأس .[٢٧]

ومن الأمثلةأيضاً قوله تعالى :[ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ][فاطر ٣٢]

هذه الآية معطوفة على قوله تعالى وَ[الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] [فاطر ٣١] بالحرف (ثمّ) ، ولابد من تأويل الآية بما يتناسب مع دلالة العطف .واختلف المفسرون في ذلك .

القول الأول :معنى أورثنا : إيراثه منه صلى الله عليه وسلم لأمته من بعده في المستقبل ، وجاء التعبير بالماضي لتحقق ذلك. وهذا أحد قولي الزمخشري ورأي أبي السعود.[٢٨]

وعلى هذا التأويل تكون (ثمّ) للتراخي الزماني الحقيقي .

القول الثاني:(الإيراث) بمعنى إعطاءه أمته صلى الله عليه وسلم أي تخصيصهم بهم وجعله كتابهم، وبناء على هذا المعنى تكون (ثمّ) للتراخي الرتبي ،وهو ما رجحه الآلوسي وابن عاشور.[٢٩]

---

[٢٧] البحر المحيط ٢١٨/٤ . عند إبقاء حرف العطف على معناه الحقيقي قد يتعين تأويل الجملة المعطوفة كما في المثالين المذكورين وهذا ليس باطراد .والقاعدة في وجوب تأويل جملة العطف أو حرف العطف هي : وجود تعارض بين المعنى الظاهري للآية والمعنى الحقيقي للعطف ، ويزول هذا التعارض بتأويل أحدهما .

[٢٨] الكشاف ٦١٢/٣ – إرشاد العقل السليم ١٥٢/٧

[٢٩] روح المعاني ٤٨٩/٢٢– التحرير والتنوير١٦٤/٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما وجه حمل (ثمّ) على التراخي الرتبي: أن قوله تعالى (ثم أورثنا) فيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بدوام كتابه ،وهذه البشارة لم تكن معلومة عنده فهي أهم من الإخبار بأنّ القرآن الكريم حقٌ مصدق لما بين يديه لإيمانه بذلك .[٣٠]

القول الثالث : (أورثنا)أي حكمنا بإيراثه وذكر هذا القول الزمخشري ،وفصّل الآلوسي في دلالة (ثمّ) بأنها للتراخي الرتبي لأن زمان الحكم سابق على زمان الإيحاء.[٣١]

ومن هذا قوله تعالى :[لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [البقرة ١٩٨، ١٩٩]

سبب نزول هذه الآية كما روي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ فَلَمَّا جَاءَ الإسلام أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ ثُمَّ يَقِفَ بِهَا ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)[٣٢].

قوله تعالى: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)معطوف على ما سبقها من قوله : (فإذا أفضتم من عرفات) والمقصود من الأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس : الإفاضة من عرفة ، والخطاب للمسلمين للإفاضة من عرفة وإتباع جمع الناس الذين أفاضوا من عرفة دون قريش لماذكرتُ من خبرهم .

وحرف العطف (ثمّ) يفيد في الأصل التراخي ، وحمل الآية على إرادة الإفاضة من عرفة يتعارض مع معنى التراخي في العطف لكون الإفاضة في الجملتين المعطوفة

---

[٣٠] التحرير والتنوير ١٦٤/٢٢.

[٣١] الكشاف ٦١٢/٣ – روح المعاني ٤٨٩/٢٢

[٣٢] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب :التفسير ، باب :(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ، رقم (٤٥٢٠)، ص(٧٦٨)، وهو كتاب صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م – وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الحج ، باب :في الوقوف ، رقم (١٢١٩) ص (٤٥٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعطوفة عليها واحدة فلا إمكان للتراخي بينهما ، فلذلك لا بد من البحث في دلالة العطف بالحرف (ثمّ) .

فيمكن حمل العطف في الآية على أصله من التراخي ،ويكون المقصود بالإفاضة الإفاضة من مزدلفة إلى منى لا من عرفة [٣٣]

وعلى هذا تكون الإفاضة الثانية غير الإفاضة الأولى وقد عرضت الآية كلاً منهما.

وذكر أبو حيان وجهاً آخر فقال :" أحدهما : أن ذلك من الترتيب الذي في الذكر ، لا من الترتيب في الزمان الواقع فيه الأفعال ،وحسّن هذا أن الإفاضة السابقة لم يكن مأموراً بها ، إنما كان المأمور به ذكر الله إذا فعلت ، والأمر بالذكر عند فعلها لا يدل على الأمر بها ، ألا ترىأنّك تقول : إذ ضربك زيد فاضربه ؟ فلا يكون زيد مأموراً بالضرب ، فكأنه قيل : ثم لتكن تلك الإفاضة من عرفات لا من المزدلفة كما تفعله الحمس "[٣٤]

وبعض المفسرين جعلوا (ثم) للتراخي المعنوي لا الحقيقي وهذا يندرج في مفهوم العطف الرتبي، وذلك لما بين الإفاضتين من اختلاف فأحدهما صواب والأخرى خطأ.[٣٥]

فقد جاء في الكشاف :" فإن قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم تأتي بـ (ثم) لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ "[٣٦]

---

[٣٣] الكشاف ٢٤٧/١- أنوار التنزيل ١٣١/١- التحرير والتنوير ٢٣٨/٢. هذا الوجه ذكره كل من الزمخشري والبيضاوي ولم يصرحا بردّه ، بينما صرح ابن عاشور برفضه .

[٣٤] البحر المحيط ٣٠٢/٢ ، الحمس : هم قريش ومن ولدوا وكنانة وأحلافهم . التحرير والتنوير ٢٣٨/٢

[٣٥] الكشاف ٢٤٧/١ – إرشاد العقل السليم ٢٠٩/١

[٣٦] الكشاف ٢٤٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا يمكن حمل العطف على المعنى الأصلي فتكون الآية فصلت فى الإفاضتين ويمكن حمله على المعنى الرتبي فتكون الإفاضة من عرفات هي الأصل .[٣٧]

الصورة الثانية : التأويل لإثراء المعنى :

قد يؤثرالمفسر المعنى المؤوَّل في بعض الآيات مع عدم وجود مثل هذا التعارض، أو مع إمكان الأخذ بالمعنى الحقيقي وذلك لما في المعنى المجازي الرتبي من دلالة قَصُر عنها المعنى الحقيقي ، ولا بد في هذه الحالة أن يكون للقول بالعطف الرتبي وجهٌ معتبر .[٣٨]

كقوله تعالى إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ] [النمل ١١]

جيء في هذه الآية بحرف العطف (ثمّ) ويمكن حمله على المعنى الرتبي مع إمكان الأخذ بمعناه الأصلي ، وهذا ما بيّنه الآلوسي بقوله :

"و(ثمّ) يحتمل أن تكون للتراخي الزماني فتفيد الآية المغفرة لمن بدل على الفور من باب أولى ، ويحتمل أن تكون للتراخي الرتبي وهو ظاهر بين الظلم والتبديل المذكور"[٣٩]

وقوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ]

[المطففين ١٥- ١٦] في هذه الآيات تصوير لمصير الكافرين يوم القيامة ، فآثر بعض المفسرين المعنى المجازي في الحرف (ثمّ) ،وأوّل التراخي فيه بأنه للتراخي في الرتبة لكون صلي الجحيم أشد من الحرمان من الرحمة والكرامة .[٤٠]

---

[٣٧] قال الإمام الطبري في تأويل هذه الآية :" والذي نراهصواباً من تأويل هذه الآية، أنه عنى بهذه الآية قريش ومن كانمتحمسًا معها من سائر العرب لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله " وجعل العطف بـ(ثم) من فبيل المقدّم الذي معنا التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم .جامع البيان ٢/ ٢٩٣.

[٣٨] المقصود بذلك أن يكون المعطوف أهم من المعطوف عليه رتبةً وسيأتي التفصيل في مكانة المعطوف لاحقاً .

[٣٩] روح المعاني ٢١٢/١٩

[٤٠] إرشاد العقل السليم ١٢٧/٩- روح المعاني ٣٥٧/٣٠– التحرير والتنوير ١٧٨/٣٠ . في هذا المثال رجح بعضهم المعنى المجازي مع عدم وجود التعارض وهذا يكشف أن تأويل حرف العطف ليسمقتصرًا عند وجود تعارض بين دلالته الحقيقية وتركيب الجملة ، وتحسن الإشارة إلى أن صلي الجحيم أشد من الحرمان من الرحمة بالنسبة للكافرين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوسّع ابن عاشور في تقرير المعنى الرتبي للعطف بناءً على قاعدته في كون (ثمّ) في عطف الجمل للترتيب الرتبي.[٤١]

الصورة الثالثة : الجمع بين المعنى الحقيقي للعطف والمعنى الرتبي المؤوَّل :

نبّه أبو السعود وابن عاشور على مسألة مهمة في موضوع العطف الرتبي وهو إمكان الجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى الرتبي للعطف ، وعدم الاقتصار على واحد منهما فإن لكلٍ منهما دلالة تزيد المعنى ثراءً واللفظ إعجازاً ، فالجمع بين المعنى الأصلي والمعنى الرتبي للعطف يفتح المجال لمزيد من البحث والاجتهاد في دلالة الآية و بهذا تظهر عظمة القرآن الكريم ووجهًا من وجوه إعجازه من خلال قابلية القرآن لتعدد الأفهام وهذا من خصائص الكتاب العزيز.

كقوله تعالى : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ ﴾ [النحل٢٦- ٢٧]

يتوعد الله تعالى الكافرين بالعذاب في الدنيا ، والخزي في الآخرة ، والحرف (ثمّ) في قوله :(ثمّ يوم القيامة..] للعطف الرتبي لما بين الجزاءين من التفاوت ، بالإضافة إلى ما يدل عليه من التراخي الزمني .[٤٢]

والجمع بين المعنى الحقيقي والرتبي أشار إليه أبو السعود في بعض المواضع ، واتخذه ابن عاشور منهجاً معتمداً في تفسيره عند إمكان الجمع ، وهذا المنهج من ابن عاشور رَدٌّ على من قد يعترض عليه بشأن توسعه في اعتماد المعنى الرتبي عند تفسيره بعض الآيات [٤٣]، فمثل هذا الاعتراض يقع في محلّه لو أن ابن عاشور قال بالعطف الرتبي نافياً المعنى الحقيقي الأصلي المستفاد من حرف العطف ، أما عندما يجمع بين المعنيين فإن هذا الاعتراض يزول ، وتظهر مكانة ابن عاشور العلمية .

---

[٤١] سبق بيان ذلك (٠٧)من هذا البحث .

[٤٢] إرشاد العقل السليم ١٠٨/٥.

[٤٣] ليس ترجيح المعنى الرتبي هو محل الاعتراض فهذا يرجع إلى اجتهاد المفسر وقد أخذ به بعض المفسرين، وإنما محل الاعتراض هو التوسع في المعنى الرتبي مع كونه خروجًا عن الأصل في استعمال حرف العطف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصرّح ابن عاشور بجواز الجمع بين المعنيين، فقال بعد أن ذكر ما جاء في هذا الأسلوب من شواهد:

" فإذا تمحضت ثمّ للتراخي الرتبي حملت عليه وإن احتملته مع التراخي الزمني فظاهر قول المرزوقي : «فإنه في عطف الجملة ليس كذلك » [٤٤] إنه لا يَحتمل حينئذٍ التراخي الزمني . ولكن يظهر جَواز الاحتمالين وذلك حيث يكون المعطوف بها متأخراً في الحصول على ما قبلها وهو مع ذلك أهم كما في بيت جعفر بن عُلبة ".[٤٥]

كقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ][الأعراف١٠٣] تعرض هذه الآية تفصيلاً لبعثة موسى عليه السلام والتراخي المقصود في الحرف (ثم) يمكن أن يشمل المعنى الحقيقي والمجازي كما ذهب إليه ابن عاشور اعتمادًا على أن بين بعثة شعيب وموسى عليهما السلام زمنًا ، وهذا هو المعنى الحقيقي للعطف ، وأما المعنى الرتبي فيظهر فيما تضمنته رسالة موسى عليه السلام من الحوادث العظيمة ، والأنباء القيمة ، فجاءت بأعظم شريعة بين يدي شريعة الإسلام .[٤٦]

وأيضًا قوله تعالى :(إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ][الزمر٧] ثم :للترتيبين الرتبي والتراخي .[٤٧]

---

[٤٤] المقصود ما نقله ابن عاشور عن المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ، يقول المرزوقي : "فإن قيل : لم عطف الزيارة على رؤية الغمرات بحرف المهلة ، وهلا جعلها عقيب الرؤية ؟ قلت : إن (ثم) وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على التراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذاك . ألا ترى قوله عزوجل : (وما أدراك ما العقبة . فك رقبةٍ . أو إطعامٌ في يوم ذي مسغبةٍ يتيماً ذا مقربةٍ . أومسكيناً ذا متربةٍ . ثم كان من الذين آمنوا][البلد ١١-١٧] . ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدده وذكره" .شرح ديوان الحماسة ٤٩/١

[٤٥] سبق عرض شواهد هذا الأسلوب ص(٣٧)، ومن بينها بيت جعفر بن علبة المقصود في قول ابن عاشور (لا يكشف الغماءإلا ...) . التحرير والتنوير ٣٧٧/١.

[٤٦] التحرير والتنوير ٢٢٢/٨

[٤٧] التحرير والتنوير ٣١/٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأما التراخي فظاهر لما بين الكفر أو الشكر في الدنيا والحساب والجزاء في الآخرة من مراحل الموت والقبر ، وأما الترتيب الرتبي فإن الرجوع إلى الله والجزاء أعظم وأشد من الإخبار بكون الله غنيًا عن عباده لعلمهم بذلك .

ولا بد من لفت الانتباه إلى منهج ابن عاشور في جواز حمل ألفاظ القرآن الكريم على معان متعددة ، فيمكن أن تتعدد المعاني المحتملة للفظ القرآني ويجوز اعتبارها جميعاً إن لم يوجدمانعٌ من ذلك .[٤٨]

وقد لا يذكر ابن عاشور جميع المعاني التي يحتملها اللفظ، ولايُعَدُّ ذلكإغفالاً لبعض هذه المعاني ، كمانصّ على ذلك في مقدمة تفسيره فقال :

" .. وإذا تركنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات من القرآن فليس تركنا إياهدالاً على إبطاله، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره، وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير أخرىتجنباً للإطالة " [٤٩].

وبناءً على ذلك فعندما يذكر ابن عاشور المعنى الرتبي المحتمل للحرف (ثمّ) في بعض المواضع فإنهيُقرّ بالمعنى الحقيقي الأصلي إن لم يوجدصارفٌ عنه ،سواءٌ صرّح بذلك أم لا بناء على منهجه المعتمد في التفسير.

كماصرّح في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة ٦]

"(أَبْلِغْهُ مَأْمَنَه) للدلالة على وجوب استمرار إجازته في أرض الإسلام إلى أن يبلغ المكان الذي يأمن فيه، **ولو بلغه بعد مدة طويلة** ، فحرف (ثم) هنا للتراخي الرتبي اهتماما بإبلاغه مأمنه "[٥٠].

ففي هذه الآية عرض ابن عاشور المعنى الرتبي للعطف ووجه استعماله ، وأشار إلى معنى التراخي الحقيقي المقصود في الحرف (ثم) في جواز تأخر مدة إجازته في دار الإسلام بعد سماعه القرآن حتى بلوغه مأمنه .

---

[٤٨] التحرير والتنوير ٩٧/١

[٤٩] التحرير والتنوير ٩٨/١

[٥٠] التحرير والتنوير ٢٦/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لا يصرّح ابن عاشور بإرادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى :﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين ٥]

(ثمّ): تفيد التراخي الرتبي ، لأن هذه الجملة المعطوفة هي المقصودة من الكلام فهي الأهم .[٥١] للتنبيه على مصير الإنسان المخلوق في أحسن تقويم -إن أعرض عن الإذعان للحق – والتحذير من تغيّر حاله وسوء عاقبته .

ومعلوم أن الردّ أسفل سافلين إنما يكون بعد البعث والحساب في الآخرة وهذا متراخٍ عن خلق الإنسان في أحسن تقويم وهو المعنى الحقيقي للحرف (ثمّ) ، ومع هذا لم يصرّح ابن عاشور بهذا المعنى ، ولا يدل ذلك على إبطاله كما بيّن ذلك في مقدمة تفسيره ، بل قد يكون إغفاله لوضوحه

وبهذا يظهر أن الجمع بين المعنى الحقيقي لحرف العطف والمعنى الرتبي منهجٌ جديد سلكه ابن عاشور في تفسير العطف بالحرف (ثمّ) ، ويشترط للأخذ به :

١-أن يكون المعطوف متأخراً عن المعطوف عليه في الحصول .[٥٢]

وهذا الشرط لتتحقق الدلالة الأصلية لحرف العطف المفيد للترتيب الزمني ، فإن كان المعطوف متقدماً على المعطوف عليه لزمَ تأويل العطف ، كما ذكرنا في قوله تعالى: (ثم جعل منها زوجها] [الزمر٦].

٢-أن يكون المعطوف أهم من المعطوف عليه:[٥٣] وهذا شرط ليكون لحمله على المعنى الرتبي دليلٌ معتبرٌ .

كقوله تعالى:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾][الأحزاب ٦٠]

في الآية وعيد للمنافقين وغيرهم بتحريض النبي عليه السلام عليهم وأمره بقتالهم أو إجلائهم أو فعل ما يضطرهم إلى الجلاء عن المدينة فلا يلبثون فيها إلا زماناً يسيراً ريثما يلتقطون عيالهم وأنفسهم .

---

[٥١] التحرير والتنوير ٣٧٧/٣٠

[٥٢] التحرير والتنوير ٣٧٧/١

[٥٣] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد توسط حرف العطف (ثم) للربط بين الجملتين لإفادة المعنى الرتبي فإن للجملة التي تلت العطف لها أهمية كبيرة حيث أريد التنبيه على أن الخروج من الأوطان أشد على النفوس مما يلحقها من ضرر جسدي . والدليل على خطورة ما جاء في الجملة الثانية قوله تعالى: [وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ][البقرة١٩١]والمراد بالفتنة فتنة الإخراج من بلدهم .

ولذلك فإن إجلاء المذكورين في الآية ومفارقتهم جوار الرسول أعظم ما يصيبهم وأشده عندهم.[٥٤]

فإن لم يكن للعطف الرتبي وجهٌ معتبرٌ يحمل عليه ،كان هذا المعنىمتكلفاً لا دليل عليه، وفي تقديريأنّ ابن عاشور مع أنه أبدع في بيان المعنى الرتبي للعطف في كثيرٍ من المواضع إلا أنه تكلفأحياناً في إيجاد المعنى الرتبي ،والسبب في هذا يرجع إلى منهجه في اعتبار (ثمّ) في عطف الجمل لإفادة العطف الرتبيدائماً فكأنه في ذلك قدّم الإعراب على المعنى ، كما جاء عنه في تفسير قوله تعالى إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا [التوبة٤]

"وحرف (ثمّ) في قوله : (ثم لم ينقصوكمشيئاً)للتراخي الرتبي ،لأنّ عدم الإخلال بأقلّ شيء ممّا عاهدوا عليهأهمّ من الوفاء بالأمور العظيمةممّا عاهدوا عليه ،لأنّ عدم الإخلال بأقلّ شيء نادر الحصول " . [٥٥] ولا أرى أن الوفاء بالأمور البسيطة أهم من الوفاء بالأمور العظيمة ، وفي حمل العطف على المعنى الحقيقيغنىً عن هذا التأويل .

وكذلك قوله تعالى[فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ثُمَّ أَتَى] [طه ٦٠]

ثُمَّ أتى): ثم للمهلة الحقيقية والرتبيةمعاً ، كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور ، ووجه المعنى الرتبي أن حضوره للموعد بعد جمع كيدهأهمّ من جمع الكيد ،لأنّ فيه ظهور أثر ماأعدّه .[٥٦]

١-الكشاف ٥٦١/٣ - أنوار التنزيل ٢٣٨/٤- البحر المحيط ٥٠٥/٨ - إرشاد العقل السليم ١١٥/٧ - روح المعاني ٢٢/ ٣٥٧-التحرير والتنوير ٣٣٠/٢١

[٥٥] التحرير والتنوير ٢٠/١٠ .

[٥٦] التحرير والتنوير ١٤٠/١٦وفي هذا تكلّف لا حاجة له .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله تعالى :﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ][البقرة٣١] يعرض ابن عاشور وجه استعمال (ثمّ) فيقول :

" قيل: عطفه بـ(ثمّ) لأن بين ابتداء التعليم وبين العرض مهلة وهي مدة تلقين الأسماء لآدم أو مدة إلهامه وضع الأسماء للمسميات . والأظهر أن (ثمّ) هنا للتراخي الرتبي كشأنها في عطفها الجمل لأن رتبة هذا العرض وظهور عدم علم الملائكة وظهور علم آدم وظهور أثر علم الله وحكمته كل ذلك أرفع رتبة في إظهار مزية آدم واستحقاقه الخلافة ، من رتبة مجرد تعلمه الأسماء **لو بقي غير متصل به ما حدث من الحادثة كلها** " [٥٧] .

وأرى أن في ترجيح ابن عاشور المعنى الرتبي مخالفاً بذلك جمهور المفسرين تكلفاً لا وجه له ، فإن ما ذكره من كون رتبة العرض على الملائكة وما تبعها أرفع من إظهار مزية آدم واستحقاقه الخلافة لا رابط له ؛ فإن استحقاق آدم عليه السلام الخلافة لمزايا أودعت فيه كُشِفت صورةٌ منها في تعلّم الأسماء ، فالاهتمام يرجع إلى استخلاف آدم لا إلى معرفة الأسماء .

الا يؤدي الجمع بين المعنيين إلى اضطرابٍ في المعاني أوخلطٍ بينها ،وهذا أصلٌ عام في جواز حمل ألفاظ القرآن الكريم على عددٍ من المعاني .[٥٨]

فإن أدى الجمع بين المعنيين إلى اضطراب وخلط في المعنى تعيّن ترجيح أحدهما .

كقوله تعالى :﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] [التوبة ١١٧]

في هذه الآية بشارة للنبيρ والمؤمنين الذين غزوا في تبوك بقبول توبتهم ، وقوله (ثم تاب عليهم) : تكرير للتوكيد على قبول توبتهم لما كابدوه من العسرة أو تاب

---

[٥٧] التحرير والتنوير ١/ ٣٩٧

[٥٨] التحرير والتنوير ٣٧٦/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم لكيدوتهم –أن تزيغ قلوبهم - .[٥٩] فالضمير في (عليهم) يرجع للمهاجرين والأنصار .

وحمل ابن عاشور (ثمّ) على أصلها من التراخي الزمني والمعنى لقد تاب الله على غير هذا الفريق ، ثمّ تاب على هذا الفريق من بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، فأهموا به وخرجوا فلقوا المشقة ، والضمير راجع إلى (الفريق).[٦٠]

ولا إمكان للجمع بين المعنيين لما في ذلك من اضطراب في المعنى ؛لأن القول بالتكرير في قوله (ثم تاب عليهم) يتنافى مع التراخي الزمني المقرر عند ابن عاشور، ولكلٍ منهما دلالة مختلفة في تفسير الآية.

هكذا يظهر لنا مناهج المفسرين في كيفية تأويل العطف ، واختلافهم بين الأخذ بالمعنى الحقيقي والمعنى المجازي للعطف .

المبحث الثالث : المعنى الرتبي في العطف :

التقديم والتأخير أسلوب بلاغي حظي باعتناء العلماء ، واهتمام الأدباء ، ولا يكاد يحسنه إلا من أوتي لساناً فصيحاً وحِسّاً بليغاً وفهماً عميقاً .

واختلف العلماء باعتباره من قبيل المجاز: فمنهم من أدرجه فيه ؛ لما فيه من تقديم ما رتبته التأخير وتأخير ما رتبته التقديم ، ففيه نقل كل منهما عن أصله . و الصحيح أنه ليس من المجاز.[٦١]

وفي هذا المبحث عرضٌ موجزٌ لأسباب التقديم والتأخير عمومًا ، وأثره في العطف الرتبي وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : أسباب التقديم والتأخير:

الأصل عند العلماء في أسباب التقديم أن يكون التقديم بحسب الأهمية والعناية ، إلا أن هذه الأهمية تختلف ،[٦٢] ومن أسباب ذلك :

---

[٥٩] الكشاف ٢/ ٣١٨– أنوار التنزيل ١٠٠/٣ – إرشاد العقل السليم ٤/ ١٠٩ . في جعل (ثم) للتكرير نفي للتراخي الزمني، وتضمينٌ للمعنى الرتبي بكون الثاني أبلغ .

[٦٠] التحرير والتنوير ١٠/ ٢٢٠.

[٦١] البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٠٣، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، الشيخ جمال حمدي الذهبي ، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي ، دار المعرفة ،بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول: التبرك كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران١٨]

الثاني: التعظيم كتقديم طاعة الله عز وجل في قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء ٦٩] [٦٣]

الثالث: التشريف كتقديم الذكر على الأنثى نحو ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[الأحزاب ٣٥] والحر في قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾ [البقرة ١٧٨] [٦٤]

الرابع: المناسبة وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[النحل ٦]فإن الجَمال بالجِمال وإن كان ثابتا حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها وهو مجيؤها من المرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخر إذ هي فيه بطان وحالة سراحها للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول إذ هي فيه خماص ، أو لما في اللفظ من مناسبة في التقدم أو التأخر كقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد ٣].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[الحجر٢٤]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر ٣٧] [٦٥]

الخامس: الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به كتقديم الوصية على الدين في قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[النساء ١٢] مع أن الدين مقدم عليها شرعاً .[٦٦]

السادس: السبق وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد بتقديم الليل على النهار والظلمات على النور والأزواج على الذرية في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾[الأحزاب٥٩]

---

[٦٢] دلائل الإعجاز ص(١٠٨)،أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، علّق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني القاهرة- دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .

[٦٣] البرهان في علوم القرآن ٣٢١/٣ – الإتقان في علوم القرآن ص (٤٤٧).

[٦٤] البرهان ٣٢٢/٣

[٦٥] البرهان في علوم القرآن ٣٣٢/٣

[٦٦] البرهان في علوم القرآن ٣٣٤/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو باعتبار الإنزال كقوله: ﴿نُحُفِلِبْرَاهِيمَوَمُوسَى﴾[الأعلى ١٩] أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو: ﴿ارْكَعُوااسْجُدُوا﴾[الحج ٧٧]

أوبالذات نحو: ﴿فَوْنَثُلَاثَوَرُبَاعَ﴾[النساء ٣] [٦٧]

السابع: السببية كتقديم العزيز على الحكيم لأنه عز فحكم والعليم عليه لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم .

ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة لأنها سبب حصول الإعانة . [٦٨]

الثامن: الكثرة كقوله: ﴿هُوَالَّذِيخَلَقَكُمْفَمِنْكُمْكَافِرٌوَمِنْكُمْمُؤْمِنٌ﴾ [التغابن ٢] لأن الكفار أكثر ﴿فَمِنْهُمْظَالِمٌلِنَفْسِهِوَمِنْهُمْمُقْتَصِدٌوَمِنْهُمْسَابِقٌبِالْخَيْرَاتِبِإِذْنِاللَّهِ﴾ [فاطر٣٢] قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق ، ولهذاقدّم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر .[٦٩]

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقوله: ﴿أَلَهُمْأَرْجُلٌيَمْشُونَبِهَاأَمْلَهُمْأَيْدٍيَبْطِشُونَبِهَا﴾ [الأعراف ١٩٥] بدأ بالأدنى لغرض الترقي لأن اليد أشرف من الرجل والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر ،ومن هذا النوع تأخير الأبلغ كتقديم الرحمن على الرحيم .

العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى وخرج عليه: ﴿لَاتَأْخُذُهُسِنَةٌوَلَانَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥]، وقوله: ﴿لَايُغَادِرُصَغِيرَةًوَلَاكَبِيرَةً﴾[الكهف٤٩] [٧٠]

فهذه جملة من أسباب التقديم والتأخير ولا بد من الإشارة إلى أن اللفظ قد يقدم في موضع ويؤخر في آخر وذلك باعتبار ما تقتضيه بلاغة الكلام ، كما يكون بحسب السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه ، وإما لقصد البدء والختم به للاعتناء بشأنه كما في قوله: ﴿يَوْمَتَبْيَضُّوُجُوهٌوَتَسْوَدُّوُجُوهٌفَأَمَّاالَّذِينَاسْوَدَّتْوُجُوهُهُمْأَكَفَرْتُمْبَعْدَإِيمَانِكُمْفَذُوقُوالْعَذَابَبِمَاكُنْتُمْتَكْفُرُونَ وَأَمَّاالَّذِينَابْيَضَّتْوُجُوهُهُمْفَفِيرَحْمَةِاللَّهِهُمْفِيهَاخَالِدُونَ﴾[آل عمران ١٠٦-١٠٧] فقد يكون لقصد التفنن في

---

[٦٧] المصدر نفسه ٣٠٩/٣

[٦٨] المصدر نفسه ٣١٧/٣.

[٦٩] المصدر نفسه ٣٣٠/٣

[٧٠] البرهان في علوم القرآن ٣٤٠/٣ وما بعدها – الإتقان في علوم القرآن ص (٤٥٠)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[البقرة ٥٨] وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾[الأعراف١٦١] .

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة ٤٤] وقال: في الأنعام ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام ٩١].[٧١]

المطلب الثاني : رتبة المعطوف في العطف الرتبي :

ذكرت اعتناء المفسرين بأوجه التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، وبحثهم في أسبابه، وتفصيلهم في فوائده ، ويبقى لهم في موضوع العطف الرتبي وما جاء فيه من تقديم وتأخير نظرةٌ خاصةٌ ، فالأصل أن يخضع المقدّم في هذا العطف إلى ما كان من قبيل الأسبق وجودًا ،لكنّ الضابط المعتبر فيه لم يكن باعتبار الوجود الزمني ، بل كان من باب الترتيب الرتبي [٧٢]وسرّ التقديم والتأخير في هذا الأسلوب يرجع إلى مكانة المعطوف فيه ومنزلته بالنسبة إلى المعطوف عليه، وهذا المعنى قد اختلفت ألفاظ المفسرين للتعبير عنه ، فاصطلحوا عليه (التراخي في الرتبة أو التفاوت الرتبي أو ترتيب الأخبار أو الترتيب الرتبي) [٧٣].

وتظهر رتبة المعطوف في العطف الرتبي من وجهين :

الوجه الأول : أن يكون المعطوف أهم من المعطوف عليه وأرفع منزلة منه :

---

[٧١] الإتقان في علوم القرآن ص(٤٥١)

[٧٢] سبق في الفصل التمهيدي بيان المعنى اللغوي للفظ (الرتبة) ووجه نسبته إلى العطف ، راجع ص (٣) من هذا البحث .

[٧٣] الكشاف ١٩٨/٤– أنوار التنزيل ٧١/٥ – البحر المحيط ٣/ ٣٠٤ - إرشاد العقل السليم ١٣/٨ – روح المعاني ٢٦ /١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكون ترتيب المعاطيف في الجملة بحسب الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الأهمية.

جاء في (غرائب القرآن) للنيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر ٦]: " ومعنى(ثمّ)ترتيب الأخبار لأن الأولى عادة مستمرة دون الثانية إذ لم يخلق أنثى غير حوّاء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع".[٧٤] فالنيسابوري يشير بهذا القول إلى أن الخبر المذكور بعد حرف الترتيب أهم وأعجب ، وهذا المراد بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى.

وأوضحه -المراد التدرج من الأدنى إلى الأعلى- الزمخشري بعبارةٍ موجزةٍ بليغةٍ عند تفسير قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[فصلت ٣٠] فقال : "ثُمَّ لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة . وفضلها عليه :لأنّ الاستقامة لها الشأن كله " .[٧٥]

ويقول الرازي في معنى قوله تعالى :﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران ١١١]

" ..كأنه قيل : أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون وإنما ذكر لفظ(ثُمَّ) لإفادة معنى التراخي في المرتبة ، لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار".[٧٦]

ونبه أبو السعود على هذا المعنى ،كما في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة ٧٩] فالعطف بـ (ثم) لإفادة الترتيب الرتبي ،فإن نسبة المحرف إلى الله تعالى أعظم شناعة من نفس التحريف [٧٧]

---

[٧٤] غرائب القرآن ٦١٥/٦.

[٧٥] الكشاف ١٩٨/٤

[٧٦] التفسير الكبير ٣٢٨/٣

[٧٧] إرشاد العقل السليم ١٢٠/١ – روح المعاني ٤٢٢/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصرّح الشهاب الخفاجي به في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام ١٥٤] فالمراد من الترتيب الرتبي في العطف بـ(ثمّ) الإشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول ، لكون التوراة المشتملة على هذه المنافع والأحكام الجمة أعظم من الوصية المشهورة على الألسنة .[٧٨]

ووجّه الآلوسي العطف الرتبي بـ(الفاء)-على أحد الوجوه - في قوله Y : ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾[المرسلات ٣ - ٥]

لإفادة الترتيب الرتبي ،لكون إرادة الفرق بين الحق والباطل **أعلى رتبة من النشر.**[٧٩]

وكذلك ابن عاشور؛ فالعطف الرتبي عنده يشير إلى أن ما بعد حرف العطف أهم وأبلغ مما قبلهوكثيرًا ما دلل على هذا المعنى في مواضع هذا الأسلوب وأبدع فيه .

كقوله تعالى :﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ] [الصافات٨٠-٨١- ٨٢] تكشف هذه الآيات مصير الذينكذّبوانوحًا عليه السلام ، وهي محل الاهتمام في القصة فهذا الإخبار أعظم وأهم مما ذُكر من مكانته عليه السلام والاعتناء به ونجاته في الآيات السابقة ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ] [الصافات ٧٥-٧٦]، فهي مكان العظة والعبرة لكلمبصرٍ فاهم ، كما أنها نبهت على عظيم قدرة الله تعالى وهو أعظم رتبة مما سبق.[٨٠]

وكقوله تعالى﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى] [النازعات ٢١- ٢٢] يقول ابن عاشور :

"وعطف(ثم أدبر يسعى)بـ (ثمّ) للدلالة على التراخي الرتبي كما هو شأنها في عطف الجُمل ، فأفادت (ثمّ)أن مضمون الجملة المعطوفة بها أعلى رتبة في الغرض

---

[٧٨] حاشية الشهاب ١٣٩/٤.

[٧٩] روح المعاني ٢٤١/٢٩

[٨٠] التحرير والتنوير ٥٠/٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي تضمنته الجملة قبلها، أي أنه ارتقى من التكذيب والعصيان إلى ما هو أشد وهو الإ ِدبار والسعي وادعاء الإلهية لنفسه"[٨١]

ويدخل في ذلك ما كان من قبيل إظهار التفاضل بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان رفعة المعطوف وعلوّ شرفه على ما سبقه .

كقوله تعالى :ﭐ(خَ لَقَ ٱلنُّطۡ فَ ةَ لَقَ ۡخَ لَقَ ٱلۡ لَ قَ ةَ ۡضۡ غَ ةَ ۡخَ لَقَ ٱلۡ مُضۡ غَ ةَ عِ ظَ امًا فَكَسَ وۡ ٱلۡ عِ ظَ امَ لَ حۡ مًا ثُمَّ أَنشَ أۡ نَ اهُ لَ قًا آخَ رَ فَتَبَ ارَ كَ ٱللَّهُ أَ حۡ سَ نُ ٱلۡ خَ الِقِين] [المؤمنون ١٤]

ثمّ: لإظهارما بين الخلقين من التفاوت [٨٢] ،وزاد الآلوسي توضيح ذلك قفال :

"قوله (ثم أنشأناه)لإفادة التراخي الرتبي ،باعتبار أن هذا الخلق أعظم ورتبته أعلى".[٨٣]

الوجه الثاني : استبعاد المعطوف بالنسبة للمعطوف عليه :

يقصد من استعمال الحرف (ثمّ) عند ذلك إظهار البعد الشاسع بين المعطوف والمعطوف عليه بُعداً معنوياً لا زمنياً ،حيث لم يكن المعطوف متوَّقع الحصول أصلاً؛ لذلك كان لابد من التنبيه على عظيم وقعه وشدة حدوثه .

كقوله تعالى :(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ] [آل عمران ٢٣].

(ثمّ يتولى): جملة معطوفة بالحرف (ثمّ) ،لاستبعاد توليهم عن تحكيم كتاب الله عزوجل مع علمهم بوجوب الرجوع إليه .[٨٤]

ومثله ما جاء في قوله I:(إِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَ ٰٔتُمۡ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ثُمَّ

---

[٨١] التحرير والتنوير ٣٠ /٧٠

[٨٢] أنوار التنزيل ٨٤/٤ – إرشاد العقل السليم ٦/ ١٢٦.

[٨٣] روح المعاني ٢٩١/١٨

[٨٤] الكشاف ٣٤٨/١–أنوار التنزيل ١٠/٢ – البحر المحيط ٨١/٣– إرشاد العقل السليم ٢٠/٢–روح المعاني ١٥٠/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ] [البقرة ٧٢ - ٧٤]الحرف (ثمَ) : لاستبعاد قسوة قلوبهم بعد ذكرما يوجب رِقَّتها ولينها .[٨٥]

ولابد من التنبيه على أن الاستراباذي قد انفرد من بين النحويين بالتنبيه على منزلة المعطوف، وبحث في وجه البلاغة فيه .[٨٦]

فقال :" وقد تكون ثم، والفاء، أيضا، لمجرد التدرج في الارتقاء، وإن لم يكن الثاني مترتبا في الذكر على الأول،ومنه قوله تعالى: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى] [طه ٨٢] أي بقي على ذلك الهدى من التوبة والأيمان والعمل الصالح، كما قيل في: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] [الفاتحة٦] أي أبقنا عليه، فاستعمل (ثم)،نظرًا إلى تمام البقاء،واستبعاداً لمرتبة البقاء عليها من مرتبة ابتدائها، لأن البقاء عليها أفضل، فيكون كما قلنا في قوله: [ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ] [المؤمنون١٤]"[٨٧]

ونستطيع القول إن جمهور المفسرين وجدوا أن المعطوف في العطف الرتبي أعرق في المعنى من المعطوف عليه ، وأن له منزلة أرفع وأبلغ ، وقد أبدع المفسرون في إظهارها وكشف أسرارها ومعرفة خفاياها .

الخلاصة:

يدخل العطف الرتبي في باب المجاز باعتبار استعمال حرفي العطف في غير ما وُضِعا له أصلاً. واختلف المفسرون في تقدير هذا المعنى المجازي وقبوله ، علماً أنه لا ينحصر تأويل العطف الرتبي عند بعضهم بوجود تعارض لما تدل عليه ظاهر ألفاظ الآية المتضمنة للعطف ، بل يمكن أن يكون الغرض من التأويل فيها التوسع

---

[٨٥] الكشاف ١٥٥/١- أنوار التنزيل ٨٨/١.

[٨٦] لم أقصد بذلك إنكار جمهور النحويين هذا المعنى ، ولكنهم أغفلوا ذكره ، ولعل منهجهم في التركيز على الصناعة النحوية يعد السبب في ذلك ، أما الناحية البلاغية فتركوها للبلاغيين الذين أدرجوا هذا الأسلوب ضمن أساليب متنوعة كالإطناب أو القلب ، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يتعرضوا للمعاني التي ذكرها الاستراباذي وجمهور المفسرين راجع الإيضاح في علوم البلاغة ص (٦٧)و ص (١٥٣).

[٨٧] شرح الرضي على الكافية ٣٦٨/٢ سبق التفصيل في ذلك في الفصل التمهيدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المعاني ، ولابن عاشور منهج متميز في ذلك من خلال جمعه بين المعنى الأصلي للعطف والمعنى الرتبي .

ويجمع صور تأويلالعطف الرتبي كلَّها وجود وجهٍ معتبر للقول بالعطف الرتبي ، وهذا الوجه المعتبر هو الأساس الذي يقوم عليه هذا الأسلوب أي مكانة المعطوف فيه ومنزلته بالنسبة للمعطوف عليه ، وهذا ما عليه جمهور المفسرين واختاره الاستراباذي في شرحه على الكافية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : أثر العطف الرتبي في الإعجاز القرآني :

تمهيد :

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة ، تحدى به العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فوقفوا أمامه عاجزين ، وعلى بلاغته شاهدين ، وبعظمته مقرين .

وإعجازه هذاسرٌ أشاد به العلماء وحار فيه الحكماء ، فلم يقفوا على كنهه ، ولم يدركوا حقيقته ، يقول الإمام الخطابي :

" قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديمًا وحديثًا ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا عن ري ، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته " .[1]

وعدم الوسع في الإحاطة بجوانب إعجازه لا يحول دون الارتشاف من أطرافه أو الاغتراف من معينه ، فكتاب الله كيفما أتيته هُديت ،وما طلبته به وجدت ، وحيثما أُريد به النقد ارتفع أوجُعل مثار الطعن سطع ، فانقلب قاصد ذلك خائبًا وهو حسير.

وفي هذا الفصل عرضٌ للأثر البلاغي لوقوع العطف الرتبي في القرآن الكريم ووجوه إعجازه:

---

[1] البيان في إعجاز القرآن ص(١) ،حمد بن محمد الخطابي ، نشره القسم العربي ، الجامعة الإسلامية علي كره، الهند ، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م .

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي، من ولدزيدٍ بن الخطاب أبو سليمان البستي ، نسبة إلى مدينة بست في بلاد كابل، كانمحدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، من تصانيفه : كتاب غريب الحديث، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وغير ذلك. ولد فيرجبٍ سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ، وتوفي ببلده بست سنةثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ . معجم الأدباء ٢٥١/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول :مظاهر الإعجاز في الأسلوب القرآني وتجليها في العطف الرتبي :

تتعدد مظاهر الإعجاز في الأسلوب القرآني وتتنوع ، وفيما يلي بعض من صور هذا الإعجاز وانعكاسها في استعمال أسلوب العطف الرتبي :

المطلب الأول : شمول أسلوب الخطاب القرآني :

القرآن الكريم كتاب هداية للعالمين ، العربي والأعجمي والجاهل والعالم، والأمي والمثقف، والعامي والمتخصص ، ولكل واحد من هؤلاء مستوى من الفكر والفهم ينبغي مراعاته في خطابه ، ولذلك لابد من اختلاف أسلوب الخطاب باختلاف مستوى المخاطبين .

والقرآن الكريم خاطب الناس على اختلاف مستويات فهمهم بخطاب واحد ، ومع ذلك لميَدِّ ع الجاهل منهمتعقدًا في ألفاظه أو إبهامًا في آياته لدرجة لا يدرك معها ما يقال ، كما عكف عليه العلماء والمتخصصون بالبحث والتمحيص دون أن تنتهي عجائبه أو تدرك علومه وأسراره .

وهذه المزية التي في القرآن الكريم لا توجد في غيره من كلام البلغاء والفصحاء مهما أوتوا من قدرة في التعبير وبراعة في الإنشاء .

يقول الباقلاني في بيان هذه الخاصية في القرآن الكريم :

" ... وهو أنه سهّل سبيله فهو خارج عن الوحشي المستكره والغريب المستنكر وعن الصنعةالمتكلَفة ، وجعله قريبًا إلى الإفهام يبادر معناه لفظه إلى القلب ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول غير مُطمِع مع قربه في نفسه ولامُوهِم مع دنوه في موقعه أن يُقدر عليه أو يظفر به "[1].

وقد تبرز هذه الخاصية في القرآن الكريم عند استعمال (ثمّ) فمع وضوح دلالة هذا الحرف والمراد منه ، تختفي في مضمونهكثيرٌ من المعاني التي لا يستطيع إدراكها

[1] إعجاز القرآن للباقلاني ص(٤١)، للقاضي أبي بكر الباقلاني ، تحقيق : الأستاذ أبو بكر عبد الرزاق ، مكتبة مصر . الإمام أبو بكر الباقلاني : القاضي البصري المتكلم ، كان على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ، سكن بغدادوصنّف تصانيف كثيرة ، توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٧٠/٤ ، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن خلكان ،تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا العالم المتدبر. ومثال ذلك قوله تعالى :(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [آل عمران٦٠]

في هذه الآيةتذكيرٌ بمظهر من مظاهر قدرة الله تعالى في خلق آدم وعيسى عليهما السلام، فإن خلق عيسى كخلق آدم عليهما السلام ، إنما هو بقدرة الله القوي القادر .

وهذه الآية يدرك معناها كل من قرأها، فيستطيع الجاهل أو العامي أن يفهم منها أن خلق عيسى كخلق آدم عليهما السلام، إنما هو بقدرة الله الواحد.

لكن العالِم لا يقف عند هذا الفهم بل يتأمل كل مفردات الآية وتركيبها ، فإن معنى قوله (كن):يدل علىتعلّق قدرته تعالى بتكوينهبشراً حياً .

ولابد أنتعلّق قدرته تعالى بإيجاد آدم وعيسى عليهما السلام هو في علم الله الأزلي أسبق من وجودهما.

لكن الآية قدمت الخلق والإيجاد على القدرة والإرادة مع العطف بينهما بـ(ثم) المقتضية الترتيب مع التراخي ، ومعنى هذا أن العطف ليس على ظاهره من الترتيب والتراخي لاختلاله في الآية. وهذا من قبيل ترتيب الأخبار أريد به التنبه على أن المعطوف بـ (ثمّ) وهو تكوينه بأمر (كن) أرفع رتبة من خلقه من تراب لما يتضمن ذلك من التدليل على وحدانية اللهعزّ وجل وقدرته على ما يشاء ، فكان التأخير زيادة في التنبيه .

و(ثمّ) في الآية :لتراخي الخبر لا المخبَر ،وهذا ما عناه المفسرون بالتراخي الرتبي[1].

وهكذا يكون لوقوع الحرف (ثمّ)معانٍ متنوعة يفهم العامي منها ما استطاع ويدع للعالم ما عجز عنه .

[1] أنوار التنزيل ٢٠/٢ - البحر المحيط ١٨٦/٢- إرشاد العقل السليم ٤٥/٢ -التحرير والتنوير ١٩٣/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: تداخل الموضوعات القرآنية :

يتلخص الغرض الأساسي في القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى والتسليم له والاعتقاد باليوم الآخر اعتقاداً دافعاً للعمل لهذا اليوم وترك التعلق بهذه الحياة الدنيا .

ومع أن هذا الغرض هو المحور الذي تدور عليه آيات القرآن الكريم فإن موضوعاته وأبحاثه لا تنحصر بهذا المجال فكثيراً ما ضمت آيات القرآن مواضيع شتى من تشريع وأحكام وأخلاق وقصص وأمثال ووصف ... وفصلت في كثير من المسائل الهامة في حياة الفرد والأسرة والأمة .

ولم يفرد القرآن الكريم لكل جانب من هذه الجوانب قسطاً خاصاً أوفصلاً معيناً بل جاءت هذه الموضوعات متمازجة متداخلة مترابطة ترابطاً لا يشعر معه القارئ أحياناً بالانتقال من موضوع لآخر.

وهذه الخاصية مما تفرّد بها القرآن عن سائر المؤلفات والكتب الأخرى ، إذ بالإضافة إلى التنوع والتعدد في موضوعاته نرى فيه هذا الترابط الانسجام والتناسق في مفرداته وتراكيبه .

يقول الخطابي:

"واعلم أن القرآن إنّما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني ، من توحيد له عزت قدرته وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته وبيان بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه...."[1]

و تتعدد الحروف المختصة بالربط بين موضوعات القرآن الكريم، ولانتقاء الحرف المناسب أثر بارز في المعنى ودلالة معتبرة في مضمون الآية.

[1] البيان في إعجاز القرآن ، ص(٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتبع مواضع الحرف (ثمّ) في القرآن يعكس أثر هذا الحرف في حسن ترابط الآيات ويبرز قيمته البلاغية من خلال تناسبها وبراعة سبكها.

ومثاله قوله تعالى :﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[النحل ١١٠]

هذه الآية وردت بعد قوله تعالى :﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [النحل ١٠٦ - ١٠٩]

فهذه الآيات تحذر من الكفر بعد الإيمان وتبين عاقبة الكافرين ومصيرهم ، ثم تبعها ذكر الهجرة وثواب المهاجرين ، والمناسبة بينها وبين ما عطفت عليه أن الله عز وجل لما ذكر حال من كفر به ثم حال من أكره على الكفر أتبعه ببيان حال المهاجرين الذين صبروا على الفتنة في سبيل سلامة دينهم وعقيدتهم ، فقال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] [النحل ١١٠] والآية معطوفة بالحرف (ثم) المفيد للترتيب ، وهذا الترتيب ليس ترتيبًا زمنيًا وإنما هو ترتيبٌ رتبيٌ للإشارة أن مضمون الجملة المعطوفة أعظم من الجملة المعطوف عليها لتضمنها معنى المغفرة والرحمة من الله تعالى .[١]

وهكذا فإن تعدد المواضيع المطروحة في القرآن الكريم وتداخلها لم يكن مثارًا لاضطراب آياته أو تفككها بل إن الترابط والانسجام في آيات القرآن الكريم كان يسري في تراكيبها وألفاظها ويظهر حتى في انتقاء حروفها واتصالها .

[١] التحرير والتنوير ٢٤٠/١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث :التكرار في القرآن الكريم :

والمقصود بالتكرار في القرآن الكريم إعادة اللفظ فيه لغرض بلاغي مقصود.

والتكرار في الكلام قد يكون له أثر سلبي أو إيجابي، فمن التكرار ما يكون بغير فائدة أو غرض فيأتي ركيكًا مسببًا الإطالة والملل، ومن التكرار ما يكون لأغراض معينة وفوائد معتبرة فتظهر فيه محاسن الكلام وبلاغته.

وقدضمّ القرآن الكريمصورًا من تكرار بعض ألفاظه وآياتهتكرارًا له مقاصد عظيمة وآثار بلاغية كالتهويل أو الإنذار أو التعظيم أو التأكيد...

يقول الرافعي عند الحديث عن فائدة التكرار في الأسلوب القرآني :

" وههنا معنى دقيق ...وهوالتكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف في طرق الأداء ، وأصلُ المعنى واحد في العبارات المختلفة ، كالذي يكون في بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها ، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالمنعم واقتضاء شكره ، إلى ما يكون في هذا الباب..." [1]

والملاحظ في بعض آيات التكرار في القرآن الكريم دخول حرف العطف (ثمّ) عليها دون غيره ولئن كان لأسلوب التكرار أهمية خاصة ودلالة هامة ، فإن في انضمام الحرف (ثمّ) إلى الآية المكررة فوائد مرجوة ، ومقاصد معتبرة .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ] [النبأ ٤- ٥]

في هذه الآية وعيد للكافرين بالعذاب يوم القيامة وإن قوله (ثم كلا سيعلمون) تكرير لما قبله من الوعيد والغرض منه المبالغة فيه ، هذا مع دخول حرف العطف (ثم) الدال على التفاوت بين الوعيدين في الرتبة ، فكأن المعنى بأن لهم يوم القيامة ردع

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،ص(١٧٣) ، مصطفى صادق الرافعي ، ضبط وتقديم :أ.د محمد علي سلامة، راجعه :محمد سعيد العريان ، دارالصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩- ٢٠٠٨ م .

الرافعي : مصطفى صادق الرافعي عالم بالأدب شاعر من كبار الكتاب ، أصله من طرابلس الشام ،وتوفي في طنطا (١٣٥٦هـ) من كتبه : إعجاز القرآن ، المساكين ، السحاب الأحمر ، وحي القلم . الأعلام ٢٣٥/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعذاب شديدان ، بل لهم يومئذ أشدفكأنّ الجملة الثانية مغايرة للجملة الأولى في دلالتها .[1]

يقول أبو السعود :" (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد و(ثم) لدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد " [2]

وقال تعالى أ:َ﴿ْ لَىلَقَأَوْ لَى ﴾ثُمَّوْ لَىلَقَأَوْ لَى][القيامة ٣٤ - ٣٥]

في تكرير هذه الآية تأكيد للدعاء وتهويل له، ولدخول الحرف (ثمّ) فائدة ذكرها ابن عاشور فقال: "وجيء بحرف (ثم) لعطف الجملةدلالةً على أن هذا التأكيد ارتقاء في الوعيد، وتهديدبأشدَّ مما أفاده التهديد الأولوتأكيدُه "[3]

وقالأيضاً :﴿وَقُتِلَكَيْفَقَدَّرَ ﴾ثُمَّقُتِلَكَيْفَقَدَّر][المدثر١٩- ٢٠] هذا التكرير للآية مع دخول الحرف (ثمّ) الدال على التراخي الرتبي مبالغة في الدعاء ، وتنبيه على أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول وأشد .[4]

والمعنىقُتِلبنوعٍ من القتل لا بل قتلبأشدّ وأشدّ منه .[5]

وبهذا يظهر أن التكرار في أسلوب القرآن الكريم ليس مجرد إعادة للفظ أو الجملة بلإنّ التكرار فيه يجري وفق نظم محكم وأسلوب متقن تظهر فيه براعة السبك وحسن التعبير يدركها المتدبر في ألفاظ الآية والمتأمل في مجرى نظمها وانتقاء حروفها وكلماتها ، وكان لدخول الحرف (ثمّ)في الآيات التي وقع فيها التكرير أثرٌ بليغٌ في النظم القرآني .

يقول الرافعي في أسلوب التكرير:

" وهو مذهب للعرب معروف ، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا فيضروبٍ من خطابهم، للتهويل والتوكيد ، والتخويف والتفجع ،وما يجري مجراها من الأمور العظيمة ، وكل ذلك مأثور عنهممنصوصٌ عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة ".[1]

---

[1] روح المعاني ٢٦٠/٣٠

[2] إرشاد العقل السليم ٨٦/٩

[3] التحرير والتنوير ٣٣٧/٢٩

[4] أنوار التنزيل ٢٦١/٥ – إرشاد العقل السليم ٥٨/٩ – روح المعاني ١٧٧/٣٠ - التحرير والتنوير ٢٨٧/٢٩

[5] روح المعاني ١٧٧/٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الفوائد البلاغية لاستعمال الحرف (ثمّ):

بعد أن فصلت القول في معنى (ثمّ)، وذكرت علاقة الحرف (ثمّ) بالإعجاز البلاغي ، لابد من بيان الفوائد البلاغية المستنبطة من العطف به .

فالأصل في استعمال هذا الحرف إرادة الترتيب والمهلة بحيث يتوافق الترتيب القولي مع الترتيب الوجودي الزمني ، ولكن مع تتبع الاستعمال القرآني نجد فيه خروجًا عن هذا الأصل بحيث قد يقع تفاوت بين ترتيب الخبر ووقوع الحدث ، فجاءت صياغة الخبر مختلفة عن ترتيب الحدث .

وقد حفل القرآن الكريم بأمثال هذا في العديد من آياته ، على الرغم من أنه كان من اليسير أن يتوافق الترتيب القولي مع الترتيب الوجودي إذ هو الأصل ، وهذا أبعد عن خلط الجاهل وطعن الجاحد ، فترد الآيات متتابعة متلاحقة دون حاجة إلى التأويل والتفصيل .

ولكن هذا الاختلاف لئن عدَّه الجاهل نقدًا في أسلوب القرآن ، واتخذه الطاعن جرحًا في بلاغة هذا الكتاب العزيز ، فإن فيه أكبر دلالة على عظمة هذا الكتاب وإعجازه وبلاغته ، إذ إن الترابط والائتلاف في القرآن لا يقتصر على آياته ، بل يتعدى ذلك إلى حروفه .وفيما يلي ذكر لبعض الفوائد البلاغية للعطف به وأهميته :

المطلب الأول : لفت الانتباه إلى أهمية الجملة المعطوفة :

نزل القرآن بلغة قريش ، وجرى على معهودهم في الخطاب ، والعرب هم أهل الفصاحة والبلاغة تفننوا في أساليب الخطاب وبرعوا في إنشاء العبارات ، وللعرب أسلوب يُعرَف (بالنصب على التعظيم والمدح) :والمقصود به أن تجري العبارات وتصاغ الجمل وفق نظام واحد معتمد ثم يخالف هذا النظم في إحدى جمله لفتًا لانتباه السامع وإثارة له ، وبيانًا لأهمية الجملة التي غايرت سياق الكلام .

وهذا كقول الشاعرة :

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص(١٧٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأبعَدَنْ قَومِيَ الّذينَ هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزرِ

النّازلينَ بكلِّ معتَرَكٍ والطّيبينَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ [1]

النازِلين : منصوب على تقدير (أمدح).

وذكر سيبويه هذا الأسلوب في كتابه : باب ما ينتصب على التعظيم والمدح :وقال: "وإن شئت جعلته صفة فجرى مجرى الأول ،وإن شئت قطعته فابتدأته "[2]

وقد حفل القرآن بهذا الأسلوب في عدد من المواضع ، منها قوله تعالى :{لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا] [النساء ١٦٢]

فالأصل في قوله (والمقيمين الصلاة) أن تأتي بلفظ (المقيمون)عطفًا على ما سبقها وتبعًا لما عطفت عليه، ولكن قطع العطف فيه وعدل عنه إلى أسلوب الاختصاص بتقدير فعل (أذكر أو أخص) إثارة للانتباه وزيادة في التركيز عليها.

يقول ابن عاشور في هذا الأسلوب :" طريقة عربية في عطف الأسماءالدالّة على صفاتمحامدَ على أمثالها ، فيجوز في بعض المعطوفات النصب على التخصيص بالمدح ،والرفعُ على الاستئناف للاهتمام ، كما فعلوا ذلك في النعوت المتتابعة ، سواء كانت بدون عطف أم بعطف ، كقوله تعالى :{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

---

[1] هذان بيتان من قصيدة خرنق بنت هفان رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وابنها ومن قتل معهم ، من الكامل ، والمراد بقولها : النازلين بكل معترك : إشارة إلى أن حالهم في القتال على الخيل كحالهم في القتال على الأقدام فهم لا يعكفون عن النزول ، ولا ينزل في ذلك الموضع إلا أهل البأس والشدة ، والطيبين معاقد الأزر : كناية عن العفة . خزانة الأدب الشاهد (٣٤١)، ٤١/٥

[2] الكتاب سيبويه ، ٦٢/٢، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م.

عمرو بن عثمان بن قنبز، أبو البشر، ويقال أبو الحسن ،وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح ،أصله من البيضاء من أرض فارس،مات بالبصرة سنة ١٦١، وقيل مات بشيراز ،وعمره٣٢سنة ويقال إنه نيف على الأربعين سنة. معجم الأدباء ٤٩٩/٤وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ] [البقرة١٧٧]"[1]

ويمكن للعطف بالحرف (ثم) أن يندرج تحت هذا الأسلوب ، باعتبار أن الأصل في معناه إرادة الترتيب ولكن قد يخرج في بعض المواضع عن هذا الأصل، وهذا العدول عن الأصل مدعاة للبحث والنظر في سبب هذا العدول ، إذ يمكن استعمال غيره من الحروف التي لا تفيد الترتيب أو مراعاة المعنى الأصلي في الحرف (ثم) باعتماد الترتيب الزمني في تركيب الجمل ، أما إبقاء حرف الترتيب مع عكس الترتيب الزمني فإنه مما يثير الانتباه في كتاب الحكيم العليم .

ومن هنا كان استعمال (ثمّ) مع عدم إرادة دلالته الأصلية سببًا للفت الأنظار وإثارة الانتباه لمضمون الجملة ،، فقد تؤدي عظمة الكلام أحياناً إلى الذهول عن متابعة الاهتمام بما بعده فيحتاج السامع إلى ما يشد انتباهه ويثير فكره ، وهذا لابد أن يكون من خلال التفنن في أسلوب التعبير إذ يعمدالمخبِر إلى أحد الحروف فيستعمله مع تغيير في طريقة سبكه وصياغته ، أو دون إرادة معناه الأصلي .

ومثاله : قوله تعالى :إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ][النحل ١٢٠ - ١٢٣]

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن الكرامات التي أوتيها إبراهيم عليه السلام وفيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بإتباع إبراهيم عليه السلام والاقتداء به والملاحظ في هذه الآية تغيير في أسلوب العطف ؛ فقد عدد الله عز وجل نعمه على نبيه إبراهيم وربط بينها بحرف العطف الواو ،إلا أنه عند أمر النبي عليه السلام بإتباع إبراهيم عطف بالحرف (ثم) مع إمكان تتابع العطف بحرف الواو نفسه ،

[1] التحرير والتنوير ٢٩/٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا مع عدم اعتماد الترتيب الزمني في الجملة ،وبياناً لذلك أنقل قول الزمخشري رحمه الله :

"ثُمَّ حَيْثُ إِلَيْكَ : في (ثم) هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجلال محله ، والإيذانبأنّ أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة ، وأجلّ ما أولي من النعمة : إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلمإِيَّاه . من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها".[1]

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم] [محمد٣٨] فجملة (لا يكونوا أمثالكم)معطوفة على جملة جواب الشرط بالحرف (ثم) بغرض التنبيه على وصف القوم المستبدل بهم بثباتهم على الإيمان وعدم توليهم ، ولا معنى للتراخي أو الترتيب في هذا العطف يقول ابن عاشور :

"و (ثم) للترتيب الرتبي لإفادة الاهتمام بصفة الثبات على الإيمان وعلوها على مجرد الإيمان، أي ولا يكونوا أمثالكم في التولي.".[2]

المطلب الثاني : التصوير :

والتصوير :" أن يُعبَّر بالصورة المُحَسَّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخصٌ حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية "[3]

والتصوير من خصائص القرآن الكريم ، ومنهج معتمد يتفنن في عرضه بأساليب متنوعة.

---

[1] الكشاف ٦٠٠/٢

[2] التحرير والتنوير ١١٧/٢٦

[3] التصوير الفني قي القرآن ص (٣٦)، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يراد من اعتماد الحرف (ثم) في الجملة تصوير الخبر من خلال التباعد الذي يوحيه العطف به ، إلا أن هذا التباعد ليس زمنياً بل رتبياً يذهب العقل في تَصوُّرِه مذاهب شتى .

ومن هذا قوله تعالى﴿وَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[مريم ٦٨ - ٧٢]

فهذه الآيات تتوعد الكافرين بالعذاب المخلد يوم القيامة من خلال تصويرٍ مفصلٍ لحالة حشرهم وإحضارهم للحساب والعذاب في نار جهنم ، وتتدرج الآيات في عرض مواقف العذاب موقفاً موقفاً ، ابتداءً من الحشر والإحضار للحساب، ثمّ تمييزهم شيعًا بحسب أعمالهم ، ثم إلقائهم في النار وإيقاع العذاب عليهم ، وبعد ذلك تذكر مصير المتقين بالخلاص والنجاة من العذاب .

وحرف الربط المستعمل في عرض هذا الموقف هو (ثم) الدال على الترتيب والمهلة، معأنّ الترتيب والمهلة في هذه الجمل غير ملاحظين، فإن علم الله تعالى بمن تتوجب له النار حاصل قبل حشر الناس وإحضاره بل هو قبل وجودهم فلا معنى للترتيب والمهلة فيها ، كما أن نجاة المتقين لا يكون بعد مدة من إيقاع العذاب بهم .

واستعمال (ثمّ) إنما هو لتصوير انتقالهم من عذاب إلى عذاب أشد.[1]

وجاء في نظم الدرر :"عطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مراتبها وتصاعدها في ذرى العليا وترقيها تهويلاً للمقام وتعظيمًا لاستبعادهم له "[2]

ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى :﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾ [الصافات ٦٧]

---

[1] التحرير والتنوير ١٤٧/١٦

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، مجلد (١٢) ٢٣٦/١٦، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أهل النار ووصف جزائهم وسُبِقت بذكر أصنافٍ شتى من عذابهم، وهذه الآية تعرضت لنوع الشرابالمُعَدِّ لهم ، وهو الحميم _ أي القيح السائل من الدمل - واستُعمل في عطف هذه الآية على ما سبقها الحرف (ثمّ) المفيد للتراخي الرتبي لتصوير بشاعة شرابهم وكراهته عن كراهة طعامهم ، فقد يذهل القارئ بما علمه في بداية الآيات من ألوان عذابهم فلا يتنبه إلى قذارة مشروبهم وألمه فيحتاج إلى ما يشد انتباهه ويزيد تركيزه ، وانتقاء الحرف (ثمّ)اعتمادًا على أسلوب العطف الرتبي إنما كان بغرض ذلك . [1]

وبهذا يظهرأثر العطف الرتبي في تصوير الخبر تصويراً حياً ينبه الذهن ويوقظ الحس لإدراك المعنى المقصود .

المطلب الثالث :إفادةمعنىً جديد :

لكل حرف من حروف العطف معنى ودلالة ، ولابد عند استعمال هذه الحروف من تمييز معانيها ، وبما أن كل لفظ في القرآنمرادٌ بذاته لا يغني عنه غيره ، فقد يكون انتقاء الحرف (ثمّ) لما يضفيه على الجملة من معنى جديد، ويعطي الكلاموجوهًا معتبرة ويثري الخبر بفوائد أبلغ قد لا تظهر في غيره من الحروف .

ومثاله قوله تعالى :[الَّذِيَصْلَىالنَّارالْكُبْرَى ثُمَّلَا يَمُوتُ فِيهَاوَلَا يَحْيَى] [الأعلى١٢- ١٣]

في الآية وصف لما يؤول إليه حال الكافر في الآخرة وهو صلي النار الكبرى . والحرف (ثم) وإن دلّ في الأصل على المهلة الزمنية الحقيقية لكنه في الآية لا يحمل هذه الدلالة لأنه لا مهلة حقيقية بين مضمون الجملتين وإنما أريد به التنبيه إلى معنىً أبعد في الآية الثانية، وهو أن ترجح حاله بين الموت والحياة وهو في عذاب الاحتراق عذاب أشد مما أفاده أنه في عذاب الاحتراق ضرورة أن الاحتراق واقع قد زيد فيه درجة أنه لا راحة منه بموت ولا مخلص منه بحياة.

يقول الزمخشريموضحًا ذلك :

---

[1] هذا قول ذكره المفسرون في معنى (ثم) والغرض من استعماله، ومن المفسرين من جعل (ثم) للترتيب الحقيقي لتأخر تقديم الشراب إلى أهل النار بعد الطعام زيادة في معاناتهم من شدة العطش . الكشاف ٤٧/٤ - إرشاد العقل السليم ١٨٤/٧وما بعدها– التحرير والتنوير ٤٢/٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ثُمَّ)لأنّ الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصَّلي ، فهو تراخٍ عنه في مراتب الشدّة والمعنى : لا يموت فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه. "[1]

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ٤ - ٥]

في هذه الآية وعيد للكافرين بالعذاب يوم القيامة وإن قوله "ثم كلا سيعلمون " تكرير لما قبله من الوعيد؛ والغرض منه المبالغة فيه ، هذا مع دخول حرف العطف (ثم) الدال على التفاوت بين الوعيدين في الرتبة ،فالوعيد الثاني أشدّ وأبلغ. [2]

المبحث الثالث :العطف الرتبي وتعدد المعاني :

تمهيد : الإعراب ومعاني النص القرآني:

تعد معرفة قواعد النحو وأصول العربيةشرطاً لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، ويكفي نزول القرآن باللغة العربية سببًا لاشتراط ذلك.[3]

واعتماد هذه القواعد في فهم كتاب الله تعالى لا يعني أن تكون هذه الضوابط حاكمة على كتاب الله عز وجل ، بل هي حاكمة على فهم المفسر لكتاب الله ، وإن ارتباط الإعراب بالمعنى لا يجيز أبدًا تقديم الإعراب على معنى الآيات ، فالقرآن الكريم هو الأصل الذي استنبطت منه قواعد النحو ، والأساس الذي بنيت عليه علوم العربية ، ومن خلاله حفظت اللغة العربية من اللحن والضياع ، والمقصود من تحكيم هذه القواعد في تفسير القرآن الكريم ، أن لا يخرج تفسير القرآن الكريم عن هذه الضوابط بأن يتوافق المعنى المفسَر في الآية مع وجهٍ معتبر من وجوه الإعراب عند العلماء لأن فتح المجال لتفسير القرآن دون ضوابط محددة يؤدي إلى الشطط والغلط فيه .

وهذه الصلة الوثقى بين الإعراب والمعنى توجب إخضاع المعنى المستنبط من الآية لأصول النحو وقواعد العربية .

---

[1] الكشاف ٧٤١/٤

[2] إرشاد العقل السليم ٨٦/٩

[3] الإتقان ص(٧٧١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد راعى المفسرون هذا الأمر وتنبهوا لذلك، فكل وجه من التفسير عندهم يرتبط بقاعدة لغوية معروفة، وأي قول لا يستند إلى ذلك فهو ضعيف مردود، وفي هذا المبحث توضيح لذلك من خلال ربط دلالة العطف مع المعنى المحتمل في الآية.

المطلب الأول : تعدد الدلالات في ألفاظ القرآن :

نزل القرآن الكريم بأوسع اللغات ثراءً ، فألفاظها كثيرة وأساليبها متنوعة ومدلولاتها واسعة ، ووصل في بلاغته وفصاحته إلى ما عجز عنه البشر ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه : ((حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ،والصراط المستقيم ، الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولايَخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء)). [1]

ونزول القرآن باللغة العربية أكسب ألفاظه مزية عظيمة ، حيثضُمّنت ألفاظه معانٍ متعددة ، وانطوت تراكيبه على دلالات متنوعة ، فقد يقع اللفظ في القرآن الكريمموقعًا يراد بهمعانٍ متعددة لا تناقض فيها ولا اضطراب ، فلا بد من مراعاة هذه المعاني واعتبارها.

ولعل من المفيد نقل كلام ابن عاشور في ذلك : " وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك كثرتها في حصر ، فلا تجعل الحمل على بعضها منافيًا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيبسمحًا بذلك."[2]

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: [وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ] [الأعراف٢٤]

ومعنى مستقر: قرار وأعمار مقدرة إلى آجال ، وقيل : مستقر : أي قبور .[3]

وبناءً على ذلك فإن ألفاظ القرآن الكريم اختيرت لتحتملمعانٍ متعددة ومقصودة، وهذا يفتح المجال للاجتهاد فيها والبحث في دلالتها .

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل القرآن ، رقم (٢٩٠٦) ،٢٠/٥ وهو الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن سورة ، تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

[2] التحرير والتنوير ٩٥/١.

[3] تفسير القرآن العظيم ١٥٥/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : تعدد المعنى باختلاف دلالة العطف :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :"القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه".[1]

ولما كان القرآن الكريمخطاباً للناس على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم تعددت الأقوال في تفسير الآيات ،وظهر الخلاف في تحديد المعنى المراد .[2]

ولا يمكن تحديد أيمعنىً من اللفظ دوناعتبارٍ لدلالة باقي ألفاظ الآية، وبالتاليفإنّ أي تأويل لأحد ألفاظ الآية لابد أن يتناسب مع مدلولات سائر ألفاظها ،وإلا كان هذا مثاراً للاضطراب والتنافر في المقصود من الآية ، ومن فوائد استعمال أسلوب العطف الرتبي تعدد المعاني المحتملة لها ويظهر ذلك في مستويين :

المستوى الأول : قبول العطف المعنى الحقيقي و المعنى الرتبي :

ومثال ذلك : قوله تعالى وَ(هُوَ الَّذِيَتَوَفَّاكُمبِاللَّيْلِوَيَعْلَمُجَارَحْتُمْ بِالنَّهَارِثُيَمَّعَثُكُمْ فِيهِلِيُقْضَىأَجَلٌمُسَمًّىثُمَّإِلَيْهِمَرْجِعُكُمْثُمَّيُنَبِّئُكُمبِمَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأنعام٦٠]

تعرض هذه الآيةدليلاً على وحدانية اللهعزّ وجل وقدرته على البعث يوم القيامة من خلال مثال تقريبي، وهو ما يعرض للإنسان من أحوال النوم والاستيقاظ .

والمعنى :أنه تعالى هو الذي ينيمكم في الليل ،وهو يعلم ما تكتسبون في النهار ثم يوقظكم في النهار من جديد .

وجملة (ثم يبعثكم فيه) معطوفة على جملة (يتوفاكم بالليل)وبهذا تدل (ثم) على المهلة الحقيقية، باعتبار استغراق النوم مدة الليل ثم يعقبها الاستيقاظ في النهار .

ويحتمل أن تكون جملة(ثم يبعثكم فيه)معطوفة على جملة (ويعلم ما جرحتم في النهار)وبهذا تكون (ثم)للترتيب الرتبي .

---

[1] سبق تخريجه ص (٥٨)

[2] النبأ العظيم ص (١١٣) ، د. عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م. .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى :أنه تعالى يعلم ما تكتسبون من المنهي في النهار ثم يردكم مع علمه بذلك، ويمهلكم ويترككم دون عقاب . [1]

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :[لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا] [التوبة ٢٥ - ٢٦]

يُذكِّر الله تعالى المؤمنين بما حدث يوم حنين لمّا اغترّ بعض المسلمين بعددهم فلم تنفعهم شيئاً وكادت الهزيمة تقع بهم لولا أن منّ الله عليهم وأيدهم بنصره ، والعطف في قوله تعالى: (ثم أنزل الله سكينته] للتراخي الزمني إن أريد بالمؤمنين المنهزمون وهذا الأرجح ، و معنى (سكينته) : رحمته تعالى ،وقيل : المراد بالسكينة للنبي عليه السلام معاينة الملائكة ،وللمؤمنين الأمان ، وللمنهزمين زوال قلقهم .

ويُحتمل أن يكون العطف للتراخي في الأخبار ، والمقصود بالمؤمنين الثابتون . [2]

وبناءً على ذلك فإن الاختلاف في تعيين مدلول حرف العطف (ثم) يؤثر في دلالة الآية ومضمونها ، وقد يفتح المجال واسعًا للتعدد والتنوع في معناها ودلالتها ، ولعل هذا من أهم الفوائد التي يحققها انتقاء الحرف (ثم) دون غيره من حروف العطف .

المستوى الثاني : الاختلاف في المعنى الرتبي للعطف الرتبي :

لم يقتصر الاختلاف بين المفسرين عند حدود تعيين المراد بحرف العطف وما يتبع ذلك من اختلاف دلالة الآية ، بل إن القول بالعطف الرتبي فتح مجالاً جديداً للبحث والاجتهاد في معرفة الوجه الرتبي لاستعمال هذا الأسلوب .

فالقاعدة العامة التي يبنى عليها أسلوب العطف الرتبي هو رتبة المعطوف ومكانته في الجملة ، ويحتاج الكشف عن هذه الرتبة مزيداً من التدبر والاجتهاد ؛ اجتهاداً يزيد المعنى ثراءً ، والأسلوب بلاغة ، والآيات إعجازاً .

---

[1] التحرير والتنوير ١٤١/٦

[2] روح المعاني ٣٦٩/١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولئن اتفق المفسرون في كثير من المواضع في المعنى الرتبي ، فقد كانت لهم وقفات في بعضها واختلفوا في توجيهها .[1]

ومما وقع فيه خلاف في تقدير المعنى الرتبي قوله تعالى :ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ] [الأنعام١٥٤]

فالعطف بـ(ثمّ) يحتمل الترتيب الرتبي وتقديره :ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة .[2]

والغرض منه الإشارة إلى أن إيتاء التوراة المشتملة على الأحكام والمنافع الجمة **أعظم من التوصية بها فقط** .[3]

أما ابن عاشور فقد نبّه على معنى آخر ولم يسلّم بأن يكون إيتاء موسى الكتاب أهم من تلاوة ما حرّمه الله ، والأمر بإتباع صراط الإسلام ،بل إنّ التراخي الرتبي في إيتاء موسى الكتاب ليس موجهاً لذاته بل لما جاء بعده من قوله تعالى :وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوه] [الأنعام ١٥٥] ، وعلى ذلك يكون المعنى الرتبي : فوق ذلك فهذا كتاب أنزلناه مبارك جمع فيه ما أوتيه موسى عليه السلام وهو أعظم ما أوتيه الأنبياء من قبله وما في القرآن .[4]

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا][فاطر ٣١-٣٢]

قوله (ثمّ أورثنا) معطوف على (أوحينا) في الآية السابقة، لإفادة التراخي الرتبي، لأنَّ إيحاء الكتاب إليه أشرف من الإيراث، كأنه كالعلة له وبه تحققت نبوته عليه الصلاة و السلام التي هي منبع كل خير ، وهذا ما ذهب إليه الآلوسي .[5]

وفي قولٍ آخر أورده جعل الكلام في الآية متصلاً بقوله تعالى :أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

---

[1] من النماذج المتفق على الوجه الرتبي فيها قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا] [الأحقاف ١٣] ثُمَّ جَاوَرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا] [الأحزاب ٦٠]ثُمَّ وَلَقَدْ يَقُولُونَ هُمْ رِضْوَانٌ] [آل عمران ٢٣]

[2] - الكشاف ٨٠/٢ - أنوار التنزيل ١٨٩/٢

[3] إرشاد العقل السليم ٢٠١/٣ – روح المعاني٢٠١/٨ .

[4] التحرير والتنوير ١٣٠/٧.

[5] روح المعاني ٢٢/ ٤٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) [فاطر٢٤ - ٢٦]

والعطف في قوله (ثم أورثنا) للتراخي الرتبي إيذاناً بفضل هذا الكتاب على سائر الكتب وفضل هذه الأمة على سائر الأمم .[١]

أما ابن عاشور فالمعنى الرتبي كان له وجهاً آخر عنده وهو البشارة بدوام كتابه عليه السلام ، لأن هذه البشارة لم تكن معلومة لديه فكانت أهم من الإخبار بأن القرآن الكريم حق وصدق وهذا مقرر عنده عليه السلام .[٢]

وبذلك نرى أن الاختلاف في تقدير المعنى الرتبي لأسلوب العطف الرتبي يفتح المجال لمزيد من البحث والتأمل للوقوف على معانٍ جديدة ، وأسرار خفية في هذا الكتاب المعجز .

المطلب الثالث : اعتماد العطف الرتبي سببًا في ترجيح المعنى :

بمأنّ تأويل الآية قد يختلف بحسب المراد من العطف، وذلك عندما يحتمل العطف كلا المعنيين ويمكن أن يكون المعنى الرتبي سببًامرجحًا لأحد المعاني المحتملة في الآية ، وذلك عند ظهور ما يدل على إرادة المعنى المعتمِد على العطف الرتبي أو عند وقوع تعارض بين المعنى اللازم للترتيب الحقيقي وما جاء في آياتٍ أخرى ، فلابد عندئذٍ من تقرير المعنى الرتبي للعطف واعتماده سببًا لترجيح المعنى المتناسب معه وسلب الترتيب الحقيقي عن العطف .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :[هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] [البقرة٢٩] هذه الآية سيقت في معرض الامتنان على الناس ،وإظهارًا لنعم الله تعالى عليهم وقدرته من خلال تذكيرهم بخلق الأرض وما فيها ، وخلق السماء وعظمتها ، وقد توسط حرف العطف (ثم) بين خلق الأرض والسماء ودلالة الحرف (ثم) الأصلية على الترتيب والمهلة تفيد تأخير خلق السماء عن خلق الأرض ، وقد تكرر هذا المعنى أيضًا في

---

[١] روح المعاني ٤٨٩/٢٢

[٢] التحرير والتنوير ١٦٤/٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة فصلت فقال تعالى :(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] [فصلت ٩ - ١١]

ولكن هذا يتعارض مع ما جاء في سورة النازعات من قوله تعالى:(أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا] [النازعات٢٧ - ٣١]

ففي هذه الآيات دلالة ظاهرة على أن خلق السماء متقدم على الأرض ، وهذا كله يوهم التعارض بين الآيات ،واختلف المفسرون في تأويل هذا التعارض فالجمهور أخذوا بما جاء في سورة البقرة وفصلت ، ومنهم من أخذ بما جاء في سورة النازعات.[١]

وحاول بعضهم الجمع بين الآيات بالقول بخلق الأرضأولاً ثم خلقت السماء ثم دحيت الأرض[٢].

والعطف للتراخي الزماني على القول بتقدم خلق الأرض على السماء لما بين خلق الأرض والسماء من أعمال من خلق الرواسي وتقدير الأقوات .[٣]

وأما من قال بخلق السماءأولاً حمل العطف في الآية على التراخي الرتبي ، إظهاراً للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض .[٤]

والراجح أن العطف للعطف الرتبي؛ لأن المعنى المفهوم من الآية به يتناسب مع ما جاء في سورة النازعات (والأرض بعد ذلك دحاها) ولفظ (بعد ذلك) أدل على الترتيب من الحرف (ثم) وبهذا يكون خلق الأرض بعد خلق السماء ولم يعد لحرف العطف من معنى سوى ما ذكر من الإشارة إلى التفاوت بين الخلقين وفضل خلق

[١] جامع البيان ١٩٤/١– تفسير القرآن العظيم ١١٨/١

[٢] البحر المحيط ٢١٩/١

[٣] البحر المحيط ٢١٩/١

[٤] الكشاف ١٢٣/١– أنوار التنزيل ٦٦/١– إرشاد العقل السليم ٧٨/١ -التحرير والتنوير ٣٧٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماء على الأرض ،وهذا ما رجحه أكثر المفسرين وهذا هو المقصد الأصلي للآية.

وبهذا يكون الترتيب الرتبيمرجحًا لدلالة الآيات بأن خلق الأرض بعد خلق السماء والله أعلم .

المطلب الرابع: أثر العطف الرتبي في تعيين المقصد :

رتبة المعطوف في العطف الرتبي هي الغاية الأساسية في اعتماد هذا الأسلوب، وهذا يعني أن المقصد الأصلي من الآية يتعين بحسب المراد من المعطوف ، فالآية في القوآن الكريم تتضمن أغراضاً متعددة وفي استعمال أسلوب العطف الرتبي إشارة إلى ترتيب أغراضها بحسب منزلتها وأهميتها ، ولئن كان المقدّم في الذكر يحتل مكان الصدارة في الجملة ، وبه يرتبط تفسير الآية أحياناً ، فإن ما يتضمنه أسلوب العطف الرتبي من التنبيه على رتبة المعطوف ولفت الأنظار إليه وإن أُخِّر لفظاً - يؤثر في تحديد المقصد الأصلي للآية ويفيد في تعيين الغرض الأساسي لها .

ولا يخفى ما في معرفة المقصد الأصلي من أثرٍ في ترجيح أحد المعاني على غيره.

قال تعالى :(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) [الأنعام ٢]

تعرض هذه الآيةمظهراً من مظاهر قدرة الله عز وجل من خلال خلق الناس وتقديره آجالهم، دليلاً على حقيقة البعث وإنكاراً لكفرهم وشكهم به ، ومع أن الآية ابتدأت بالحديث عن الخلق والموت لكنّ هذا ليس المقصود الأصلي للآية ، بل يتعين الغرض الأصلي بحسب المعنى الذي ينطوي عليه استعمال الحرف (ثمّ) وهو التنبيه على رتبة المعطوف والذي عبر عنه بعض المفسرين بالاستبعاد أو التراخي الرتبي.[1]

وعلى هذا يكون المقصد من الآية إقرار يوم القيامة والإنكار على من ارتاب به.

[1] الكشاف ٤/٢ – أنوار التنزيل ١٥٣/٢– إرشاد العقل السليم ٣/ ١٠٧ – التحرير والتنوير ٦/ ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل٨٤]

يعرض القرآن الكريم صورة لحال الكافرين يوم القيامة حيث لا حجة أو خلاص لهم، والعطف في قوله (ثم لا يؤذن لهم] لإفادة التراخي الرتبي ، لأن ابتلاءهم بعدم الإذن لهم في إقامة الحجة أو تقديم معذرة أشد وأعظم من شهادة الأنبياء عليهم.[1]

وعلى هذا فالمقصد من الآية تصوير حال الكافرين يوم لا تقوم لهم حجة، ولا يكون لهم معذرة، وذلك أرجى لإيمانهم .

وهذا يدلّ على أن المعطوف وإن أُخِّر لفظاً لكنه مقدّم معنىً ، وهو المقصود الأصلي من الكلام.

وقال تعالى أ:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ] [آل عمران٢٣]

سيقت هذه الآية بغرض الإنكار على بعض اليهود إعراضهم عن تحكيم كتاب الله تعالى بعد دعوتهم لذلك .

والحرف (ثمّ)لاستبعاد توليهم بعد علمهم بوجوب تحكيم كتاب الله فيهم .[2]

ومن فوائد استعمال أسلوب العطف الرتبي لفت الانتباه إلى طبع اليهود من التكذيب والجحود ونقض العهود ، فبعد أن أنعم الله عليه بالتوراة وألزمهم بالرجوع إلى كتابه أعرضوا وكذّبوا وجحدوا ذلك .

فالتنبه على طبع اليهود وصفاتهم هو المقصد الأصلي للآية الذي نبّه عليه أسلوب العطف الرتبي، ويتأكد هذا من خلال ما جاء قبلها :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] [آل عمران٢١].

---

[1] الكشاف ٢/ ٦٢٧- أنوارالتنزيل ٢٣٧/٣– إرشاد العقل السليم ١٣٤/٥– روح المعاني ١٤/ ٥٩٩- التحرير والتنوير ١٣/ ١٩٦

[2] الكشاف ١/ ٣٤٨– أنوار التنزيل ١٠/٢ – البحر المحيط ٨١/٣ – إرشاد العقل السليم٢٠/٢ - روح المعاني ١٥٠/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك كان لاعتبار العطف من قبيل العطف الرتبي بحسب ما يظهر من رتبة المعطوف ومنزلته أثرُ واضح في تعيين الغرض الأصلي الذي سيقت لأجله الآية ، والذي يمكن أن يكون سبباً في ترجيح المعنى المتناسب مع سياق الآية [1].

وأخيرًا نستطيع القول إن لوقوع الحرف (ثمّ) في سياق الآية أبلغ الأثر في الإعجاز القرآني ، وتتجلى من خلاله أسرار هذا الكتاب الكريم ، وتنعكس مظاهر عظمته ورفعته في أبدع صورة وأرفع مستوى .

[1] يمكن التمثيل على أثر تعيين المقصد في ترجيح المعنى بقوله تعالى :(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء) [البقرة٢٩] وقد فصلّت في مقصوده في المطلب السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع :أثر العطف الرتبي في موضوعات القرآن الكريم :

تمهيد :

جاء في لسان العرب : الأثر : " بقية الشيء والجمع آثار. والأَثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأْثير إبْقاءُ الأَثر في الشيء أَثَّرَ في الشيء ترك فيه أَثراً ... وأُثْر الوجه أُثُره ملؤه وْنَقُه أَثَرُ السيف ضَرْبَته أُثْر الجُرْح أَثَره يبقى بعدما يبرأُ ".[1]

الرتبي على ألفاظ القرآن الكريم ، والدلالة التي يتركها في آياته .

فإن لاستعمال العطف الرتبي في آيات القرآن آثاراً متعددةً تختلف باختلاف مواضع هذا العطف وترتبط بالغرض المقصود من العطف ، وفي هذا الفصل دراسة للأثر المترتب على استعمال هذا الأسلوب من العطف ، وذلك ضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثر العطف الرتبي قي القصة القرآنية.

المبحث الثاني : أثر العطف الرتبي في تقرير مبادئ العقيدة.

المبحث الثالث : أثر العطف الرتبي في دلالات آيات الأحكام .

[1] لسان العرب ، مادة (أثر) ،٦٩/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : أثر العطف الرتبي قي القصة القرآنية :

تكرّر وقوع العطف الرتبي في القصة في القرآن الكريم ، حيث اعتُمد هذا الأسلوب وسيلة لربط أجزاء القصة ووقائعها ، وقد يرجع سبب إطلاق مصطلح (ترتيب الأخبار) على هذا الأسلوب إلى وقوعه في الأخبار واعتماده في القصص . وفي هذا المبحث بيان لدلالة أسلوب العطف الرتبي في القصة القرآنية ، وأثره فيها، مع لمحة موجزة للتعريف بمنهج القصة في القرآن الكريم وأغراضها ، وهذا يأتي في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف عام بالقصة قي القرآن الكريم .

المطلب الثاني : دلالة العطف الرتبي في القصة ووقوعه فيها .

المطلب الثالث : شبهة وردها

المطلب الأول :تعريف عام بالقصة في القرآن الكريم :

القصة لغة :القِصّة الخبر وهوالقَصَصُ وقصّ عليّ خبَرهيقُصُّقَصّاً وقَصَصاًلَوْ رَدَوالقَصَصُ الخبرُالمَقْصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صأَرَغْلَبَ عليهوالقِصَص بكسر القاف جمع القِصّة التي تكتب، قال تعالى :نَحْنُ نَقُصُّعَلَيْكَأَحْسَنَالْقَصَص] [يوسف ٣] أَيْنُبَيّن لكأَحسن البيان .[١]

والقصة في القرآن كما عرفها ابن عاشور: " الخبر عن حادثة غائبة عن المخبَر بها".[٢]

أغراض القصة في القرآن الكريم :

وردت القصة في القرآن الكريم لغايات عظيمة وأغراض جليلة منها:

١- إثبات أن القرآن الكريم وحي من اللهعزَّ وجل:

فالنبي عليه السلام كان أميًا وقد ثبت أنه لم يتلقشيئًا من المعارف أو العلوم من أحد من البشر ،وإنّ ما ذكر في القرآن الكريم من قصص وأخبار تتوافق مع ما

[١] لسان العرب ، مادة (قصص) ، ١٩١/١١.

[٢] التحرير والتنوير ٦٣/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت في التاريخ ، وما رواه أهل الكتاب ، وهذا دليل على أن القرآن الكريم ليس من عند النبي عليه السلام إذ لا يمكن أن يأتي بمثل هذه الأخبار من عنده .[1]

وتكرر تنبيه القرآن على هذا بعد التفصيل في بعض القصص فقال تعالى:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾[هود ٤٩].

٢- تسلية النبي عليه الصلاة والسلام :

لاقى النبي صلى الله عليه وسلم من قومه أشد أنواع التكذيب والاستهزاء والطرد، ولابد أن يبعث هذا في قلبه الأسى والحزن ، ولهذا كانت الآيات تنزل عليه تدعوه للصبر والثبات من خلال تذكيره بأحوال الأمم الماضية وأخبار الماضين مع أنبيائهمفإنّ في هذا ما يدعوه للصبر ويذهب همه وألمه .[2]

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [الأنعام٣٤]

٣- العبرة والموعظة :

ليست القصة في القرآن الكريم قصة أدبية تعرض للمتعة والتسلية ، بل القصد منها الاعتبار، ولهذا نجد القرآن الكريم يتفنن في التركيز على مواطن العبرة ومواضع الذكرى في القصص بأساليب متعددة تجلب الانتباه وتثير الاهتمام ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف١١١] وقال أيضاً ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود ١٢٠][3].

[1] التحرير والتنوير ٦٤/١

[2] الكشاف ٤٤٥/٣– التفسير الكبير ١٥٠/٨ .

[3] التحرير والتنوير ١٣١/١٢وأيضاً ٣٥٢/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- منهج القرآن في عرض القصة :

للقرآن الكريم منهجُ متميز في عرض القصة يتناسب مع الأغراض التي سيقت لأجلها ويمكن التركيز على ثلاث نقاط :

١- التركيز على مواضع العبرة وإغفال التفاصيل التي لا حاجة لها :

يعرض القرآن الكريم من حوادث القصة ما كان جديرًا بالرواية والذكر ويُعرض عن التفصيل في جزئيات بسيطة لا يخدم ذكرها الأغراض الأساسية في القصة فلا يذكر أنساب أصحاب القصة أو بلدانهم مثلاً .[١]

والدليل على ذلك أن القرآن الكريم لم يكتف بإهمال التفصيلات التي لا حاجة إليها في القصص ، بل إنه أنكر البحث في هذه التفصيلات أو السؤال عنها ، فيقول تعالى منكرًا تتبع عدد أصحاب الكهف: [سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا][الكهف ٢٢]

٢- التكرار :

والمقصود بالتكرار في القصة : إيراد القصة الواحدة في عدد من المواضع ، ولا يعني هذا المطابقة في أسلوب عرض القصة ، وإنما يختلف الأسلوب التي تساق فيه القصة في كل مرة حسب ما يقتضي الغرض منها ، وهذا التكرار بأساليب متنوعة هو غاية في البلاغة والبيان حيث يشعر القارئ وكأنه أمام قصة جديدة لم يسبق له الوقوف عليها . وتتلخص الحكمة من تكرار القصص في أمرين :

الأول : إظهار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه : من خلال عرض القصة الواحدة بأساليب متعددة، تجعل لكل واحدٍ منها طابعًا خاصًا ونظمًا مميزًا يشهد بعظمة هذا الكتاب وسموه ، فقد يتفنن الأديب في عرض المواضيع المختلفة بأساليب متعددة أما

[١] التحرير والتنوير ٦٣/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواية الخبر الواحد بطرائق متنوعة تكون في أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة فهذا مما يعجز عنه البشر مهما أوتوا من حسن البيان وروعة التعبير.[1]

الثاني : الاهتمام بالقصة وترسيخ العبرة منها : فإن في كل مرة تذكر فيها القصة فائدة جديدة وغرض معتبر يقتضي تكرارها وبهذا تظهر أهمية القصة في القرآن الكريم لتكون محل عظة وذكرى فتستقرالعبرة منها في نفس السامع .[2]

٣- بث المواعظ والنصائح في ثنايا القصة :

تنبسط المواعظ والنصائح في ثنايا القصة لتذكير القارئ بالغرض الأساسي منها وبهذا لم تعد القصة في القرآن مقصودة بذاتها بل لما يعرض فيها من مواعظ وحكم ، إذ تصرف القارئ عن الاهتمام بحوادث القصة إلى التركيز على النصائح المدرجة فيها ، كقوله تعالى في قصة سليمان والهدهد :﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل ٢٣ - ٢٦] ، وفي قصة يوسف عليه السلام بعد أن ذكر سبحانه تعبير يوسف الحلم لصاحبي السجن قال تعالى : (ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ] [يوسف ٣٧- ٣٩] وهذا الأمر جعل للقصة في القرآن مكانة مميزة تدل على أن الغرض الأساسي من القصة هو الغرض الديني .[3]

---

[1] البرهان في علوم القرآن ١١١/٣

[2] التحرير والتنوير ٦٧/١.

[3] التصوير الفني في القرآن ص(١٧٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : وقوع العطف الرتبي في القصة القرآنية ودلالته فيها :

لا يتوقف الاهتمام بالقصة في القرآن الكريم عند حدود معرفة أغراضها أو المنهج المعتمد فيها ، بل يتجاوز ذلك إلى وسيلة عرضها ، وطريقة سبكها ، إذ لابد أن يتناسب ذلك مع الهدف المقصود من القصة والغاية المنشودة من قصِّها .

وقد تفنن القرآن الكريم في عرض القصص وتصويرها، فليست القصة في القرآن الكريم مجرد تصوير لمرحلة زمنيةتُرتب وفق حوادثها التاريخية ، بل يتنوع أسلوب القصة القرآنية ، وتختلف طريقة عرضها لتأدية غرضها .

وإن مما يثير الانتباه في بعض قصص القرآن الكريم عدم مراعاة التسلسل التاريخي في عرضها، ومع هذا نجد القرآن الكريم يعتمد في ربط أطرافها وأجزائها على ما يفيد الترتيب من حروف الربط وهو الحرف (ثم) بقصد اعتماد العطف الرتبي فيها.[1]

ولهذا الأسلوب القرآني المعتمد في القصة أثر بالغ لا يقف عند حدود الإعجاز البلاغي أو اللفظي في النظم الكريم ، بل إنه يوحي بمعان خفية تظهر عند التأمل وتنكشف مع البحث .

فالأصل في القصة أن تصاغ حوادثها وتعرض فصولها وفق تسلسل وقوعها ، إلا أن القصة في القرآن الكريم لا تجري حسب هذا الأصل ، فلا اعتبار فيها للتسلسل الزمني، هذا بالإضافة إلى اعتماد الحرف (ثم) وسيلة لربط أجزائها .[2]

وخروج القرآن الكريم عن الأصل في عرض القصة مع الإشارة إلى الترتيب باستعمال الحرف الدال عليه ينعكس على دلالة القصة ومضمونها من خلال ما يرمي إليه هذا الأسلوب من أغراض وما ينطوي عليه من فوائد ، أهمها :

---

[1] عدم مراعاة التسلسل التاريخي في عرض القصة لا يعني نفي الصدق التاريخي عنها ، فالصدق التاريخي وهو مطابقة القصة للواقع وتصويرها له أمر مسلم به في أخبار القرآن الكريم ، أما التسلسل التاريخي وهو سرد القصة بكل تفاصيلها وأجزائهاسردًا يجري معها من بدايتها إلى نهايتها دون تقديم أو تأخير في عرض حوادثها ودقائقها ، فهذا الأمر يرجع إلى أسلوب القرآن الكريم ونظمه وإعجازه . وسيأتي توضيح ذلك فيما يأتي من تمام هذا الفصل بإذنه تعالى .

[2] هذا ينطبق على بعض قصص القرآن الكريم وليسمطلقاً ،لأن القرآن الكريم يتفنن في عرض القصص بما يتناسب مع أهداف القصة وأغراضها وبهذا يختلف طريقة عرضها وسبكها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : التنبيه على حدثٍ من أحداث القصة:

حفل القرآن الكريم بالعديد من قصص الأنبياء والأقوام السابقة ، وذكر بعضًا من أخبار الأمم الماضية ، وتفنن في عرض القصة وأبدع في أسلوب صياغتها بما يلفت الانتباه إلى مضمونها ، بغرض تعظيم القصة والتركيز على أحداثها الهامة .

ولئن كان القرآن الكريم لا يسوق من القصص إلا ما كان جديرًا بالرواية والذكر، فإنه يؤكد على عظيم أحداثها ، وينبه القارئ على موضع العظة فيها بالأسلوب الذي يتناسب مع ذلك .

وكان لاستعمال القرآن الكريم أسلوب العطف الرتبي أثره في ذلك ، فإن العدول عن الترتيب الزمني الأصلي في سرد القصة واعتماد الترتيب المجازي مع لفت الانتباه إلى ذلك باستعمال حرف العطف (ثم) المفيد للترتيب مما يثير الاهتمام ويفتح مجالاً للبحث والتساؤل ، فيبصر المتأمل المقصد منها ويقف على أسرارها .

وهذا المعنى الذي ينطوي عليه استعمال الحرف (ثمّ) في القصة القرآنية يدفع توهم إقحام هذا الحرف في سرد القصص القرآنية أو حتى مناسبة بديلٍ عنه.

ومن صور هذا التنبيه:

١-التوكل على الله تعالى والثقة به :

التوكل على الله تعالى من لوازم الإيمان الذي أمر به القرآن الكريم في عدد من الآيات فقال تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[إبراهيم١١]

وعرض له مشهداً حياً في قصة نوح عليه السلام مع قومه فقال تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس ٧١]

تعرض هذه الآية لحال نوح عليه السلام مع قومه وقد بلغ بهم التبرم و الضجر من دعوته لهم للإيمان بالله تعالى مبلغًا عظيمًا ، فدعاهم إلى المحاولة للإضرار به والكيد له وسيلةً للقضاء عليه وعلى دعوته فيهم ، وقد أرشدهم لوسيلة ذلك بأن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجمعوا أمرهم ويدعوا شركائهم ولا يكون هذا سراً بل مكشوفاً جهاراً أمامه ثم يقضوا عليه دون إمهال أو إنظار .

والعطف في قوله تعالى (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) ليس للتراخي الزمني وإنما لإفادة التراخي في الرتبة،حرصاً منه عليه السلام في عدم التستر في محاولتهم الإضرار به وتأكيداً لذلك ، لما يدل عليه هذا الموقف منه من شدة التوكل على الله عز وجل والثقة به ، وهذا الذي نبه عليه أبو السعود والآلوسي [1].

والتراخي الرتبي هو المختار أيضاً عند ابن عاشور فقال :

"وعطف جملة : (ثمّ لا يكن أمركم عليكم غُمة) بـ(ثم) الدالة على التراخي في الرتبة لما تتضمنه الجملة الثانية من الترقي في قلة مبالاته بما يُهيئونه له من الضر بحيث يتصدى لهم تصدي المشير بمايُسِّهل لهم البلوغ إلى الإضرار به الذي ينوونه وإزالة العوائق الحائلة دون مقصدهم ."[2]

فاستعمال أسلوب العطف الرتبي كان بغرض لفت الانتباه إلى تمّكن الإيمان في قلب نوح عليه السلام تمكناً أورثه توكّلاً عليه سبحانه فسلّم نفسه إلى الله عزوجل ، ولم يبالِ ما يُفعل به مادام في عناية الله ورعايته ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن، وهو غايةٌ عظيمة نبهت عليها القصة من خلال العطف الرتبي .

٢-التفاني في الدعوة إلى الله تعالى بكافة السبل :

يحتاج الداعي إلى الله تعالى إلى صبرٍ كبيرٍ وجهدٍ متواصل، نبّه القرآن عليهما في عددٍ من المواضع،عرضه مشهداً حياً في دعوة نوحٍ عليه السلام قومه للإيمان مستعملاً في بيان ذلك أسلوب العطف الرتبي .

فقال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح ٨-٩]

تصف هذه الآيات ما حدث مع نوح عليه السلام في دعوة قومه للإيمان بالله عز وجل،وتُبيّن شدة حرصه على نصحهم واهتدائهم ، فلم يترك في سبيل ذلك وسيلة

---

[1] إرشاد العقل السليم ١٦٥/٤– روح المعاني ٢٠٦/١١

[2] التحرير والتنوير ١٤١/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا واتبعها، ولم يألجهدًا إلا وبذله حتى يباشر الإيمان قلوبهم ويصل التوحيد إلى ألبابهم، فدعاهم للإيمان في كل الأوقات من ليل ونهار ،متبعًا شتى الأحوال فابتدأ بنصحهمعلنًا ، ولمّا لم يقبلوا ولم يستجيبوا ارتقى في وعظهم وبالغ في نصحهم جامعًا بذلك بين السر والعلن ليكون هذا الأسلوب أجدى في تليين قلوبهم والتأثير فيهم .

وبهذا المعنى تكون (ثم) في الآيتين لإفادة العطف الرتبي ، باعتبار أن مضمون الجملة المعطوفة أهم من مضمون المعطوف عليها ، وأوقع في مدلول خبرها .[٣]

ويبين البيضاوي فائدة هذا الأسلوب بقوله :

"(ثم إني دعوتهمجهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهمإسرارًا]: أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني ، و(ثمّ):لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد لتراخي بعضها عن بعض" [٤]

٣-التحذير من كيد الشيطان وإغواه :

تكرر التحذير من عداوة الشيطان للإنسان وإضلاله بمختلف الأساليب ، ولأسلوب العطف الرتبي أثره في بيان خطره والتنبيه على ضرره ، فقد قال تعالى مخبراً بقول إبليس : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] [الأعراف ١٦- ١٧] تحكي هذه الآية قصة إبليس وعداوته لآدم وذريته ، فبعد أن أمره الله عزوجل بالسجود لآدم فأبى واستكبر، أعلن نهجه في ترصده لبني آدم بإغوائهم بالإفساد والشر،مظهرًا حقده ،ومبرزًا سلاحهوجامعًا عدته ووسائله في سبيل ذلك، وقد صورت الآية الكريمة ذلك بما قصته من قوله :﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ] .

وقد أبدع ابن عاشور في الإشارة إلى ذلك بقوله :

---

[٣] يمكن جعل (ثم) للتراخي الحقيقي باعتبار تباعد أزمان دعوته وأوقاتها ، ولكن أغلب المفسرين نبهوا على معناها الرتبي ، التفسير الكبير ٦٥١/١٠– الكشاف ٦١٦/٤– إرشاد العقل السليم ٣٧/٩ - روح المعاني ١٠٧/٢٩– التحرير والتنوير ١٨٢/٢٩وما بعدها. .

[٤] أنوار التنزيل ٢٤٨/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وجملة: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ﴾ ثم فيها للترتيب الرتبي، وهو التدرج في الأخبار إلى خبر أهم لأن مضمون الجملة المعطوفة أوقع في غرض الكلام من مضمون الجملة المعطوف عليها، لأن الجملة الأولى أفادت الترصد للبشر بالإغواء، والجملة المعطوفة أفادت التهجم عليهم بشتى الوسائل "[٥].

ويؤيد هذا المعنى استعمال الأسلوب نفسه في قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا **يُقْصِرُونَ**] [الأعراف٢٠١ – ٢٠٢] تعرض الآيتان صورتين مختلفتين لحال المتقين باستحضارهم أوامر الله تعالى إذا عرض لهم خاطر شيطاني ، وبالمقابل فإن إخوان الشياطين يمدهم الشياطين في الغي ، ويزينون لهم المعصية حتى يقعوا فيها[٦].

وقوله (ثم لا يقصرون):أي لا يألون جهداً في الازدياد من إغوائهم ، والحرف (ثمّ) للترتيب الرتبي ، والمقصود أنّ أعظم من الإمداد في الغي ، بذل الجهد وعدم التقصير في الإغواء .[٧]

و بذلك يظهر أن أسلوب العطف الرتبي المستعمل في مثل هذا الموضع يتناسب مع ما يراد التنبيه عليه من التحذير من الشيطان ووسوسته .

٤-نهاية المكذبين وإهلاكهم :

[٥] التحرير والتنوير ٣٨/٨

[٦] الكشاف ٢/ ١٩١- أنوار التنزيل ٤٧/٣. للمفسرين اجتهادات مختلفة في معنى الآية ، ورجوع الضمائر فيها وهذا القول هو الأرجح .

[٧] التحرير والتنوير ٨/ ٤٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ۝ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾[الشعراء ١٦٧ - ١٧٢]

تحكي هذه الآيات قصة لوط عليه السلام مع قومه ، حين دعاهم للإيمان بالله وحده فأبوا وكذبوا وتوعدوا، فالتجأ لوط عليه السلام إليه سبحانه وتعالى فأهلكهم الله تعالى ونجاه منهم .

و(ثمّ) : للترتيب الرتبي ، لأن إهلاك المكذبين أجدر بالذكر في مقام الموعظة من إنجاء المؤمنين.[٨]

ومثل هذا جاء في قوله تعالى : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ] [الشعراء ١١٦ - ١٢٠]

العطف الرتبي في (ثمّ)للدلالة على أن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على قدرة الله من إنجاء طائفة [٩] .

ويؤيده استعمال الأسلوب نفسه في قوله تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ] [الصافات ٧٩ - ٨٢].

فالغرض من استعمال أسلوب العطف الرتبي في مثل هذه المواضع في القصة التنبيه على نهاية المكذبين ، والتحذير من مصيرهم .

وبناء على ذلك فقد يتّبع القرآن الكريم أسلوب العطف الرتبي في بعض مواضع القصة القرآنية ، باستعمال (ثمّ) دون إرادة الترتيب الزمني بقصد تسليط الضوء على حدثٍ فيها، توجيهًا للأنظار للاعتبار به وحثًا للأفهام على التفكير فيه.

ثانياً : بيان أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس سجلاً تاريخيًا :

---

[٨] التحرير والتنوير١٩/ ١٨٧.

[٩] التحرير والتنوير ١٩/ ١٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اعتنى القرآن بالقصص عناية بالغة ، وساق العديد منها وشملت القصص في القرآن أحقابًا زمنية شتى ، منها ما يعود إلى الأنبياء السابقين ومنها ما يتحدث عن أممٍ غابرة أو أفرادٍ عدة ، وتزامن بعضها مع نزول القرآن ، ولم ترتب القصص ترتيبًا تاريخيًا تراعى فيه أزمان وقوعها، ومن هذا ما جاء في سورة الصافات من عرض قصة إبراهيم ثم قصة موسى وهارون ثم إلياس وتبعتهم قصة لوطوأخيرًا جاءت قصة يونس عليهم السلام .، وفي سورة الأنبياء ابتدأ بالحديث عن موسى وهارون ، ثم قصة إبراهيم ولوط وبعدها عرض لقصة داود وسليمان وهكذا ...

ولم يقتصر الأمر في عرض القصص على عدم مراعاة الأسبق فيها ، بل إن حوادث القصة الواحدة قد تقدم وتؤخر لأغراض مختلفة دون اعتبار لترتيبها الزمني، هذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم لم يسجل تاريخ حادثة ما ، أو يفصل في زمن قصة معينة ، بل يكتفي بعرض وقائع القصة وأجزائها دون زمانها وتاريخها .

ويعود السبب في إغفال العنصر الزمني وتجاوز الترتيب التاريخي في بعض القصص هو خضوع القصة للغرض الديني ، مما أوجب أن تعرض القصة من الحلقة التي تتفق مع هذا الغرض وحسبما تكمن العبرة في أجزائها .[١٠]

فالمقصد من إنزال القرآن هو كونه كتاب هداية للعالمين وموعظة للمعتبرين ، وليسسجلاً تاريخيًا تدون فيه الأحداث زمن وقوعها ولهذا فإن جميع المواضيع التي عرضها القرآن كانت تدور حول هذه الغاية ، وسيقت لأجل هذا الغرض ، و كان دأب القرآن الكريم أن ينبه على هذا الأمر في كل مناسبة ، ويربط أي توجيه أو أمر بذلك .

وقد يؤدي مجيء القصص في القرآن الكريم متتابعة الحوادث ، ومتتالية الوقائع إلى اهتمام القارئبتفصيلاتٍ دقيقة من شأن الانشغال بها تضييع غاياتٍ جليلة وأهداف معتبرة سيقت القصص لأجلها ، وجاءت الأخبار تدور حولها، وفي استعمال أسلوب

[١٠] التصوير الفني في القرآن ص (١٦٢)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العطف الرتبي في بعض مواضع القصص تذكير للقارئ بأغراض القصة وصرف اهتمامه عن المضمون التاريخي لوقوع أحداثها.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف ١١]

فهذه الآية سيقت في معرض الامتنان على الناس في إيجادهم و تصويرهم ، ثم بدأت تعرض قصة آدم عليه السلام مع إبليس .

والمتأمل في تركيب الآية يلاحظ ما في ترتيبها الزمني من تقديم وتأخير ، فابتدأت بالحديث عن خلق الناس وإيجادهم مع تأخر ذلك عن قصة آدم وسجود الملائكة له ، ولئن كان من اليسير أن تجري الآيات في عرض القصة بما يتوافق مع تسلسل وقوعها و جريان حوادثها فإن القرآن الكريم قد آثر العدول عن الترتيب الحقيقي مستعملاً حرف العطف (ثم) الدال على التراخي الرتبي [١١] .

وهذا يحول القارئ عن الاهتمام بتسلسل الأحداث في القصة إلى الالتفات إلى ما فيها من أغراض ٍ وفوائد .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة ٧٤] هذه الآية جاءت بعد قصة بقرة بني إسرائيل ، والأمر بذبحها، والملاحظ اختلاف سرد أحداث القصة ، مع إغفال بعض التفصيلات فيها، وابتدأت الآية بحرف العطف (ثمّ) الذي ذهب طائفة من المفسرين على أن المراد بهذا الحرف (الاستبعاد) وليس التراخي الزمني ، فإن قسوة قلوبهم بعد ما ذُكِر مما يوجب لينها أمر مستبعد.[١٢] وهذا المعنى مستفاد من دلالة الآية ، وهو ينطوي في مفهوم العطف الرتبي ، واستعمال (ثمّ) إنما كان بغرض الإنكار على ما كان من قسوة قلوبهم وليس بغرض التسلسل في أخبار القصة .

---

[١١] التحرير والتنوير ٢٩/٨ ، ووجه التراخي الرتبي أن التصوير هو كمال الخلق ولهذا عطف التصوير على الخلق ، وأما في عطف الأمر بالسجود لبيان فضيلة آدم .

[١٢] الكشاف ١/ ١٥٥– أنوار التنزيل ٨٨/١– إرشاد العقل السليم ١١٤/١ –روح المعاني٤١١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى :ثُ(مَّآتَيْنَامُوسَىٱلْكِتَٰبَتَمَامًا عَلَىٱلَّذِيٓأَحْسَنَوَتَفْصِيلًا لِّكُلِّشَيْءٍوَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] [الأنعام١٥٤]

بعد عرض جملة من الوصايا والمنهيات التي أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغها لأمته في قوله تعالى : (وَأَنَّهَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] [الأنعام ١٥٣] جاءت هذه الآية تحكي قصة موسى عليه السلام وإيتاءه التوراة ، ثم أُتبعت بذكر القرآن الكريم والوصية بإتباع أوامره ونهجه ، فقال تعالى وَ(هَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ][الأنعام ١٥٥].

وقد لا يرى قارئ هذه الآيات تتابعًا في عرضها أوتسلسلاً في مضمونها ، فبعثة موسى عليه السلام كانت قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وإنزال القرآن بأزمان، ومع هذا فقد ورد ذكرها في مضمون الحديث عن القرآن وعرض وصاياه وأوامره ، هذا بالإضافة إلى دخول الحرف (ثم) المفيد للترتيب والمهلة .

وقد تعددت آراء المفسرين في بيان معنى (ثم) وتوجيهها ، فترتيب الآيات لا يتناسب مع الدلالة الأصلية للحرف (ثم) من المهلة والترتيب ، لما وقع فيها من تقديم وتأخير وأغلب المفسرين عمدوا إلى إخراج (ثم) عن دلالتها الأصلية وجعلوها من باب ترتيب الأخبار [١٣].

ومما جاء عن الإمام الرازي في بيان معناها : " التقدير : ثم إني أخبركم بعد تعديد المحرمات وغيرها من الأحكام ، أن آتينا موسى الكتاب ، فذكرت كلمة (ثمّ) لتأخير الخبر عن الخبر ، لا لتأخير الواقعة "[١٤]

---

[١٣] ذكر المفسرون وجوهًا أخرى في تأويل (ثم) ،واختلفوا في جملة العطف فجمهور المفسرين ذهبوا إلى القول بترتيب الأخبار ، واختار أبو حيان القول بأنها بمعنى الواو ، وأورد القرطبي قولاً بتقدير فعل (كنا) والمقصود : ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . المحرر الوجيز ٤٠١/٥- التفسير الكبير ١٨٦/٥ - الجامع لأحكام القرآن ١٢٥/٩ - أنوار التنزيل ١٨٩/٢ – البحر المحيط ٦٩٢/٤ .

[١٤] التفسير الكبير ١٨٦/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الاستعمال للحرف (ثم) فيه صرف الاهتمام عن الترتيب الزمني والتسلسل التاريخي ، تنبيهًا على مضمون الآية ومعناها ، كما يشير إلى ذلك كلام الزمخشري:

"ثمَّ أعظم من ذلك أنّا (آتينامُوسَالْكِتَابَتَمَامًا) ، وأنزلنا هذا الكتاب المبارك ".[١٥]

وبناءً على ذلك فإن عدم مراعاة القرآن الكريم لتسلسل حوادث القصة من خلال تجاوز بعض وقائعها وتفصيلاتها أو بالاعتماد في ترتيبها ترتيبًا مخالفًا لوقوعها إشعار بعدم اعتبار القرآن الكريم العنصر الزمنيأساسًا في القصة وإبعاد له .

ومما جاء في كتاب (تطور الأساليب النثرية) :" أما في القرآن فإنه يشير إلى الحوادث التاريخية بوثبات أو بحملات روحية خطابية لا يقصد بها تسلسل الخبر ، بل يقصد بها التذكير والتهويل ، ولذلك تردمراراً بحسب ما يقتضيه الكلام ." [١٦]

ثالثاً : الترقي في أخبار القصة :

تفنن القرآن الكريم في عرض القصص ، واستعمل في سبكها أساليب متنوعة، حيث يبدأ في سرد القصة بحدثٍ مهم من حوادثها ثم يترقى إلى ما هو أهم مما ابتدأ به ، وقد يعمد القرآن الكريم لاستعمال الحرف (ثمّ) في وصل أجزائها و ربط وقائعها ليس بغرض الترتيب الزمني بل لإفادة الترتيب الرتبي في مضمون أخبارها.

كقوله تعالى: [وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ][البقرة ٥١- ٥٢] تعرض الآية جملة من النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل وموقفهم منها، وتتفاوت هذه النعم بحسب درجاتها ومنزلتها ، و قد أشار القرآن الكريم إلى تفاوت هذه النعم من خلال ما اعتمده من أسلوب العطف الرتبي في عرض القصة ، فالعطف بالحرف (ثم) جاء بقصد التنبيه على درجات المعاطيف للإشارة إلى أهمية المعطوف بـ (ثم) ومنزلته ، حيث أريد بالعطف في قوله :(ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ) التنبيه على

---

[١٥] الكشاف ٨٠/٢

[١٦] تطور الأساليب النثرية في الأدب الغربي ص(٦١) ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة السابعة ، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عظم جرمهم ، وقبح فعلهم ، ثم أتبع هذه الآية بقوله:(ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)بغرض تذكيرهم بقدر النعمة الممنوحة لهم ، وسعة الرحمة المنزلة عليهم بمقابل جرمهم الذي اقترفوه .

و(ثم) ليست للتراخي الحقيقي ، وإنما أفادت الترتيب الرتبي ، أريد بذلك الترقي في الأخبار.[١٧]

وهذا المعنى الذي قصده ابن عاشور بقوله :

"وعطفت جملة(ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ)بحرف (ثمّ) الذي هو في عطف الجمل للتراخي الترتيبي للإشارة إلى ترتيب في درجات عظم هذه الأحوال وعطف(ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)أيضاً لتراخي مرتبة العفو العظيم عن عظم جرمهم فروعي في هذا التراخي أن ما تضمنته هذه الجمل عظائم أمور في الخير وضده تنبيها على عظم سعة رحمة الله بهم قبل المعصية وبعدها " .[١٨]

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ][الزمر٦]

سيقت هذه الآية دليلاً على عظمة الله تعالى ووحدانيته ، من خلال تذكير الناس بخلقهم وإيجادهم ليكون هذا حثًا لهم على الإيمان ودافعًا لهم للتوحيد، وهذا الغرض هو ما حرصت الآية على إظهاره والتركيز عليه بما جاء في أسلوبها ونظمها ، فابتدأت بالتنبيه على خلق الناس من أصل واحد وهو آدم عليه السلام ، ثم عرضت لآية أعظم، ودليل أوضح بالتذكير بقصة بدء الخلق وأصله في خلق حواء، ولم يراع في نظم الآية ترتيب حوادثها ، فخلق الناس متأخر عن وجود آدم وحواء ، وهذا

---

[١٧] هذا مذهب أبي السعود وابن عاشور ، وخالف ابن عطية وأبو حيان فذهبا إلى القول بأنها للتراخي الحقيقي وحملا معنى الآية على ذلك ، راجع : المحرر الوجيز ٢٩٢/١ – البحر المحيط ٣٢٣/١وما بعدها - إرشاد العقل السليم ١٠١/١– التحرير والتنوير ٤٨٣/١

[١٨] التحرير والتنوير ٤٨٣/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الترتيب يتناسب والغرض التي سيقت له الآية ، ولم يعد لترتيب الوقائع أهمية معتبرة ، و(ثم) في الآية أفادت التراخي الرتبي [١٩].

وقد فصل الزمخشري في هذا المعنى وأجاد فجاء في تفسيره :

"هما آيتان من جملة الآيات التي عدّدهادالاً على وحدانيته وقدرته : تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم ، وخلق حواء من قصيراه ؛ إلا أن إحداهما جعلها الله عادةمستمرّة ، والأخرى لم تجريها العادة ، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل ، فكانت أدخل في كونها آية ، وأجلب لعجب السامع ، فعطفها ب(ثمّ) على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لهاقضلاً ومزية ، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية ، فهو من التراخي في الحال والمنزلة ، لا من التراخي في الوجود ".[٢٠]

وبذلك يظهر أثر العطف الرتبي في الترقي في أخبار القصة القرآنية .

المطلب الثالث : شبهة وردها :

القرآن الكريم كتاب الله المعجز ، وهذا الأمر جعله محل تقديس وتعظيم عند المسلمين، وبهذه النظرة تعامل المسلمون معه ، فعكفوا على تدبره وتأمله والذود عنه ورد الشبهات والمطاعن الموجهة إليه من المستشرقين وغيرهم .

إذ لم يأل أعداء هذا الدينجهدًا في توجيه سهام الطعن والنقد لكتاب الله تعالى وأحكامه، قال تعالى :﴿قُلْهُولِلَّذِينَ آمَنُواهُدًى وَشِفَاءٌالَّذِينلَايُؤْمِنُونَ فِيآذَانِهِمْ وَقْرٌ هُوَعَلَيْهِمْعَمًى] [فصلت ٤٤]

وكان ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره أحد مطاعن هؤلاءومثارًا للفتنة بينهم ، إذ وجدوا في ترتيب القرآن الكريمترتيباً متفرداً ومتميزاً لم يعرفوه في تأليفهم ولم يألفوه في كتبهم فنسبوا إليه الاختلال والاضطراب ، وزعموا في موضوعاته التداخل والاختلاط .

---

[١٩] تعددت آراء المفسرين في ذلك ،والأغلب جعلوها للتراخي الرتبي ، الكشاف ١١٤/٤- أنوار التنزيل ٣٧/٥– البحر المحيط ١٨٥/٩ –إرشاد العقل السليم ٢٤٣/٧– روح المعاني ٣٠٩/٢٣ – التحرير والتنوير ٢٢/٢٤.

[٢٠] الكشاف ١١٤/٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاحتواء السورة الواحدة في القرآن الكريم على مواضيع شتى من عقيدة وقصص وأخلاق وأحكام كان في نظرهماضطراباً لابد معه من إعادة تنسيق وتنظيم .

ولم يتنبه هؤلاء – أو لم يريدوا أن يتنبهوا – إلى ما في هذا من إعجاز يظهر في سبك موضوعاته وترابط آياته وانسجام ألفاظه وتراكيبه .

ومما جاء في كتاب الاستشراق الألماني :

" الحقيقة التي لا جدال فيها أن بعض الفقرات قد اندمجت وانضمت إلى سور طويلة وللمرء أن يتساءل طبعًا عن الاعتبارات التي أدت إلى ذلك وعن أسباب عدم الاتساق الظاهري في سياق النص ، وما زال هذا المجال من البحوث في القرآن يتطلب الكثير من الدرس "[٢١]

وهذا القول وإن كان يمثل نقداإجمالياً لأسلوب القرآن الكريم وموضوعاته فإنهم وجدوا في القصة القرآنيةمجالاً واسعًا للطعن باعتبار ما جاء في ترتيب حوادثها من تقديم وتأخير عدوهخروجًا عن التسلسل المنطقيوإخلالاً في الترتيب التاريخي.

ومما نقل عن (نولدكه) [٢٢] :

"يغمز – نولدكه – أسلوب القرآن الكريم باعتبارهأسلوباً قصصياً ينقصه التسلسل في طريقة الأخبار والسير ، ويرى في قصصهانقطاعاً حتى ليصعب فهمها على من لم يطلع عليها من مصدر آخر " .[٢٣]

ومن المفيد ذكر قول (نولدكه) في تحليله للنص القرآني وكيفية ترتيبه فيقول :

" .. يبدو أن الترابط المنطقي ينقصه وجود إضافة لاحقة ، فمن صفات الأسلوب القرآني الثابتة أن أفكاره لا تتطور بهدوء إلانادراً ، بل هي تقفز من موضع إلى آخر، وحده نقصان الصلة الكامل بين المواضع يفوت الملاحظة بسهولة " [٢٤]

---

[٢١] الاستشراق الألماني ، ص (١٢٨) ، الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنغن ، ترجمة : د. كمال رضوان ، دار صادر .

[٢٢] تيودور نولدكه : مستشرق ، ولد في هاربورج (بألمانيا) سنة ١٨٣٦م ، وتعلم في جامعات فينة وليدن وبرلين وانصرف إلى اللغات السامية والتاريخ الاسلامي له كتب منها تاريخ القرآن – حياة النبي محمد – النحو العربي ، توفي ١٩٣٠م . الأعلام للزركلي٢ / ٩٦

[٢٣] المستشرقون والدراسات القرآنية ،ص(٣١)، محمد حسين علي الصغير ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولابد من إيراد ما جاء في كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) في شأن القصة القرآنية، فيقول بعد تفصيل طويل وتحليل عميق لبعضها :

"وهكذا نستطيع أن ننتهي – من هذه الفقرة - إلى القول بأن أحداث التاريخ التي وردت في القصص القرآني قد رتبت ترتيباً عاطفياً وبنيت بناء يقصد به تحريك الهمم والنفوس ومعنى ذلك أنها لون من ألوان القصص التاريخي الفني ،وإن العمل فيها فني يقدر بموازين الفن القولي لا بموازين المؤرخين " [٢٥]

وقد عرض هذا الكاتب لما جاء في القصة القرآنية من تقديم وتأخير في تسلسلها التاريخي وبحث في أسباب ذلك ودلائله لينتهي إلى القول :

" بأن المنطق العاطفي هو الذي يسود القصة التاريخية في القرآن الكريم من حيث الاختيار أو بتعبير الأقدمين من حيث الذكر والحذف وليس هذا فحسب ، بل هو الذي يسودها من حيث الترتيب أو باصطلاح القدماء من حيث التقديم والتأخير ، وليس هذا فحسب بل من حيث التصميم والبناء ومعنى ذلك أن القصص التاريخي في القرآن قصص أدبي أولاً وأخيراً وهكذا يكون معجزة بلاغية قولية تفهم بأضواء الدرس الفني ". ثم يتبع ذلك بقوله :

" القصة التاريخية ليست عرضاً تاريخياً تطلب فيه المطابقة الواقعية المحققة للصدق العقلي وإنما هي عرض أدبي يطلب فيه التأثير وقوة الوقع ليتحقق به الصدق الفني أو الأدبي ويكون التوجيه نحو الغاية المبتغاة "[٢٦] .

وهذه الأقوال تركز على ترتيب الحوادث في القصة القرآنية ، وتطعن في عرض الوقائع فيها وتسلسله ، ليكون ذلك ثغرة للتشكيك في القرآن الكريم وأخباره .

الرد :

تتهاوى هذه الشبه أمام نور القرآن الكريم وعظمته ، ويمكن الرد عليها من خلال:

---

[٢٤] تاريخ القرآن ص(٥٩) ، تيودور نولدكه ، دار نشر جورج ألمز هيلد سهايم زورغ ، نيويورك ، ٢٠٠٠م ، نقله إلى العربية ، د. جورج تامر .

[٢٥] الفن القصصي في القرآن الكريم ،ص(١٦١) ، محمد أحمد خلف الله ،سينا للنشر ، مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٩م.

[٢٦] الفن القصصي في القرآن الكريم ،ص(١٦٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- إن للقرآن الكريم أسلوباً خاصاً في خطابه ، ونظماً مميزاً في أخباره ، وإن غياب التسلسل التاريخي في بعض قصصه لا يعني اختلال الصدق التاريخي فيها ، لأن مطابقة القصة للواقع متوفر لا محالة في أخبار القرآن الكريم، ولا يؤثر اختلال الترتيب التاريخي في ذلك ،إذ لا تلازم بينهما .[٢٧]

وقد جاء في القرآن الكريم أدلة تثبت صدق أخباره وصحتها وتدحض أي قول ينسب الكذب إليه .

ومنها التفاصيل الدقيقة التي عرضها القرآن الكريم في ثنايا بعض قصصه ، وذلك كمدة دعوة نوح عليه السلام في قومه ، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت١٤] ،وأيضاً ما جاء في مدة بقاء أهل الكهف فيه ،فقال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[الكهف٢٥] .[٢٨]

وهذه التفاصيل أدلة تنطق بصدق القصة القرآنية ، وتؤكد مطابقة أخبار القرآن للواقع، ولا ارتباط بين غياب التسلسل التاريخي فيها وصدق وقوعها ،إذ إن الصدق التاريخي أمر مسلم به في القرآن أما التسلسل التاريخي فهو راجع إلى نظم القرآن الكريم وأسلوبه .

٢- أما بالنسبة إلى ما أثير حول ترتيب الأحداث في بعض قصص القرآن الكريم من تقديم وتأخير وهو المقصود بانعدام التسلسل التاريخي الذي كانسبباً للاضطراب والحيرة في نفوس الطاعنين ، فهذا مدفوع من عدة أوجه :

١- إن القرآن الكريم كتاب معجز متميز ، خاطب به تعالى الناس على اختلاف مداركهم وعصورهم ، وهذا الوصف في القرآن الكريم يجب أن يراعى عند تفسير القرآن ودراسته ، ولا يجوز أن يعامل كما تعامل النصوص الأخرى ، فلكل نص طبيعة خاصة وأسلوب مختلف ومنهج مميز .

---

[٢٧] سبق التنبيه على آية الأعراف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ..] [آية ١١]وأيضاً (ثم آتينا موسى ..] [الأنعام ١٥٤] وفيها توجيه المفسرين في فائدة العطف بـ(ثم) وأثره ص (١٤٣و١٤٤) من هذا البحث .

[٢٨] النبأ العظيم ،ص(٣٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المفيد أن أذكر ما جاء في كتاب (المستشرقون والقرآن) في إنكار منهج المستشرقين في تعاملهم مع القرآن :

" ليسوا أمام عمل أدبي بمعنى الأدب ولا تاريخي بمعنى التاريخ ولا لغوي بمعنى التاريخ، ليسوا أمام فن قصصي مستكمل لكل شروط القصة أو الرواية الأدبية بحيث يجوز إخضاعها لنفس القواعد والضوابط التي تخضع لها بقية الأعمال الإبداعية ..." [٢٩]

٢- إن ما وقع في أسلوب القرآن الكريم من تقديم وتأخير غاب معه الترتيب التاريخي في حوادث القصة القرآنية أسلوب معتبر عند العرب ، وجرى في خطابهم ، واستعمل في عباراتهم ، والقرآن الكريم جاءموافقًا لما هو معلوم عند العرب ،ولم يكن في خطابه هذا غموض أو اضطراب ولا خلط.

وهؤلاء العرب عرفوا هذا الأسلوب وفهموا أغراضه وأسراره فما انبروا للطعن فيه ولا نقل عنهم نقد له أو تشكيك في صدق القرآن وأخباره ، وهذا من أوضح الأدلة على فساد أقوال هؤلاء الناقدين والطاعنين . [٣٠]

بالإضافة إلى أن ما وقع من استعمال الحرف (ثم) لم يكن بقصد معناه الحقيقي وإنما لإرادة العطف الرتبي ، والعطف الرتبي يعتبر من قبيل المجاز ، والمجاز من المسائل التي كثر الجدل فيها في القرآن الكريم ، والجمهور اعتبروه أسلوباً عربياً أبلغ من الحقيقة باتفاق البلغاء ، ولو خلا منه القرآن لوجب خلوه من التوكيد والحذف وغيرها [٣١].

٣- نلاحظ من خلال تتبع قصص القرآن أنّ الغالب عليها سرد حوادثها في أسلوب متسلسل مترابط ، وأما جاء من غياب التسلسل التاريخي فيها إنما كان في عدد محدود من المواضع ، ولم يكن هذا لغفلة عن معرفة الترتيب الواقعي لهذه الأخبار أو الأحداث ، أو لعدم التنبه إلى ذلك بل إن هذا كان لأسرار خفية وحكم بليغة تتفق

---

[٢٩] المستشرقون والقرآن ،ص(١٠٨) ، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، عمر لطفي العالم ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .

[٣٠] أشبعت البحث في ذلك في الفصل الأول ، ونقلت عددا من الشواهد المنقولة عن العرب في هذا الأسلوب .

[٣١] البرهان ٣٧٧/٢- الإتقان ص(٤٩٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع الغرض الأساسي للقصة في القرآن الكريم ، واستعمال القرآن الكريم أسلوب العطف الرتبي كان دليلا على ذلك ، فإن في اعتماد حرف يفيد الترتيب في موضع تخلف فيه الترتيب تنبيه إلى ما وراء هذا الأسلوب من فوائد لما في الترتيب المجازي من حكم بليغة لا تظهر في الترتيب الحقيقي .[٣٢]

٤- لا ريب أن جريان القصة وفق تسلسلها الواقعي وترتيبها الحقيقي أمر يحسنه من له أدنى معرفة بأسلوب القصة ، فما أسهل أن يبدأ بالقصة من بدايتها وتساق بتفصيلها إلى أن تصل إلى نهايتها ، أما اعتماد ترتيب مخالف لذلك وفق سياق محكم ونظم منضبط فهذا لا يحسنه إلا عالم متقن ، ولهذا كان أسلوب العطف الرتبي الذي اعتمد في بعض المواضع في القصة القرآنية شاهد ينطق بعظمة القرآن الكريم وبلاغته .

[٣٢] يمكن أن نتأمل قصة (آدم عليه السلام) في سورة الأعراف ، فالعطف الرتبي اقتصر على بدايتها في قوله تعالى: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم]ثم تتابعت أحداث القصة في سياقٍ متسلسل محكم مترابط بدءاً من إعراض إبليس عن تنفيذ الأمر بالسجود لآدم ، ثم مُقام آدم في الجنة وما تبع ذلك من وسوسة الشيطان له بأكل الشجرة التي كانت السبب في هبوطه إلى الأرض وابتداء رحلته فيها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : أثر العطف الرتبي في تقرير مبادئ العقيدة :

تمهيد :

حرص النبي ρ على تأصيل الإيمان في قلوب أصحابه ، وجاهد في سبيل تصفية عقائدهم وتخليصها من أوحال الشرك وتخبطات الجاهلية ، مُتّبعاً في سبيل ذلك وسائل شتى تُحبب إليهم الإيمان وتُزيِّنه في قلوبهم ، تالياً عليهم آيات القرآن المنزَّلة راجياً أن يبلُغ أثرها نفوسهم فتلين قلوبهموتَقنع عقولهم بما يجدوه من سحر الكتاب المعجز، وما يدركوه من سُموِّه وعلوّ شأنه.

ولأسلوب العطف الرتبي المستعمل في بعض مواضع العقيدة أثره الذي لا يخفى على العرب في تحريك نفوسهم لقبولالحق والإذعان له ،والتَّنبُّه إلى ضلال عقولهم ، وفساد اعتقادهم ، وتفصيل ذلك في أربعة مطالب :

المطلب الأول : التنفير من الشرك :

بلغ الجهل بالعرب مبلغاً عظيماً دفعهم لاتخاذ أندادٍ لله I في التقديس والعبادة ، وكان القرآن الكريم يتنزلّ على النبي ρ لتخليصهم مما كانوا عليه من الجهل والضلال مخاطباً لهم بمختلف الأساليب عسى أن تسمو عقولهم ويرتقي فكرهم فيدركوا جهلهم ويعرفوا ضلالهم .

فقال تعالى منكراً على هؤلاء المشركين ما ادعوه من وجود شريك له سبحانه وتعالى:[أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ] [الأنبياء٢٤] .

فهذه الآية صورة من صور محاورتهم بدعوتهم لإثبات صدقهم على وجود شريك له سبحانه بإحضار دليل على ذلك من جهة العقل أو النقل .[٣٣]

وفي قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ][الأنعام ١].

[٣٣]الكشاف ٣/ ١١١ – أنوار التنزيل ٤٩/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنبيه على عظيم ما يقع به المشركون من ادعاء ندٍ لله عز وجل من خلال استعمال الحرف (ثم) المفيد لاستبعاد أن يعدلوا به غيره مع وضوح دلائل قدرته . [٣٤]

وفائدة العطف الرتبي التنبيه على أن عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بقدرته أمر أهم وأعجب . [٣٥]

ويظهر أثر هذا الأسلوب في إيقاظ العقل لنبذ الشرك والتنفير منه في قوله تعالى:﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ] [الأنعام ٦٣-٦٤]. ذكّر الله عز وجل الناس بلطيف عنايته وعظيم إحسانه بكشف الضّرِّ عنهم ، ثم ينكر عليهم ما يقعون فيه من الإشراك به وعبادة غيره مستعملاً (ثمّ) لإفادة العطف الرتبي، تعجُّباً من حالهم ، بالتجائهم إلى الله سبحانه عند الشدائد ثم إشراكهم به بعد ذلك .[٣٦]

وهكذا كان لاستعمال أسلوب العطف الرتبي أثرٌ في التنبيه على فظاعة الشرك بالله عزوجل ، والتنفير منه .

المطلب الثاني : التأكيد على قدرة الله تعالى ووحدانيته :

الإقرار بوحدانية الله عز وجل والإيمان بقدرته الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية ، ولا يتحقق ذلك إلا بربط الأفعال كلّها بالله وحده ، وقد نبّه القرآن الكريم على أهمية هذا الأمر في سلامة الاعتقاد وصلاح الإيمان في صورة من أعظم الصور إعجازاً ، وهي خلق عيسى عليه السلام ، فقال تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ] [آل عمران٥٩].

فإنّ ولادة عيسى عليه السلام من غير أبٍ معجزةً يعجب لها المرء تعجُّباً بلغ بطائفةٍ من ضعاف الإيمان إلى تقديسه عليه السلام واتخاذه إلهاً من دونه سبحانه وتعالى ، لكنّ الله عز وجل أراد تخفيف هذا الأمر على الناس وردّهم إلى جادة

---

[٣٤] الكشاف٤/٢ – أنوار التنزيل ١٥٣/٢

[٣٥] التحرير والتنوير ٦/ ١١.

[٣٦] التحرير والتنوير٦/ ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإيمان بربط تلك المعجزة بقدرة الله عزوجل وإرادته ، وهذا الأمر أهم وأعظم من إيجاد عيسى من دون أبٍ .

واستعمل القرآن الكريم الحرف (ثمّ) للترتيب الرتبي لأن تكوينه بأمر (كن) أعلى رتبة من خلقه من تراب بدون أبٍ .[1]

وفائدة العطف الرتبي تظهر في التنبيه على قدرة الله سبحانه ووحدانيته ،وهو جوهر الدين وأساس الإيمان .

المطلب الثالث : التذكير بيوم القيامة وأحواله :

مهما بلغ الإنسان في رتبة إيمانه بالله تعالى لا يستقيم سلوكه دون الإيمان باليوم الآخر واستحضار أحواله ، إذ يمكن اعتباره الموجه الحقيقي للسلوك الإنساني، ولذلك أولاه القرآن الكريم اهتماماً كبيراً ،وركّز عليه في كثير من الآيات الكريمة ، كقوله تعالى: إِنَّالَّذِينَ آمَنُوَاالَّذِينَ هَادُوَاالنَّصَارَىَالصَّابِئِينَمَنْآمَنَ بِاللَّهِالْيَوْمِالْآخِرِوَعَمِلَصَالِحًافَلَهُمْأَجْرُهُمْعِنْدَرَبِّهِمْ][البقرة ٦٢]

ودعا المؤمنين إلى الالتزام بموجبات هذا الدين بمقتضى إيمانهم بهذا اليوم فقال تعالى:ذَلِكُميُوعَظُبِهِمَنكَانَمِنكُمْيُؤْمِنُبِاللَّهِوَالْيَوْمِالْآخِرِ][البقرة ٢٣٢] و كذلك قوله:وَاتَّقُوايَوْمًاتُرْجَعُونَ فِيهِإِلَىاللَّهِثُمَّتُوَفَّىكُلُّنَفْسٍمَاكَسَبَتْ][البقرة ٢٨١]

وتكرر تنبيه القرآن الكريم على أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم باستعمال العطف الرتبي من خلال الإشارة إلى أهمية المعطوف .

كقوله تعالى :(هُوَالَّذِيخَلَقَكُممِّنطِينٍثُمَّقَضَىأَجَلًاوَأَجَلٌمُّسَمًّىعِندَهُثُمَّأَنتُمْ تَمْتَرُونَ] [الأنعام٢]

في هذه الآية تذكيرٌ للناس بخلقهم وإثباتٌ ليوم القيامة وإنكارٌ على الكفار تكذيبهم به وشكُّهم في وقوعه . والمقصود بقوله : (ثم قضى أجلا) : الموت ، (وأجلٌ مسمى عنده) :أي يوم القيامة.[2]

---

[1] التحرير والتنوير ١٩٣/٣

[2] الكشاف ٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و(ثمّ) لاستبعاد امترائهم بالبعث بعد ما ثبُت أنه تعالى خالقهم ومحييهم إلى آجالهم.[1]

وفي أسلوب العطف الرتبي تنبيه على مكانة الإيمان باليوم الآخر وأثره .

وكقوله تعالى: ﴿ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام ١٠٨]

في هذه الآية نهيٌ للمؤمنين عن سبِّ آلهة المشركين لئلا يدفعهم ذلك للتطاول على اسم الله عزّ وجل وتذكيرٌ للناس بمآلهم الأخير ورجوعهم إلى الله عزّ وجل لمحاسبتهم على أعمالهم .

واعتمد القرآن الكريم الحرف (ثمّ) للعطف الرتبي تنبيهاً على عظمة اليوم الآخر وحثّاً للناس على الإعداد له وعدم الاغترار بهذه الدنيا الفانية.

يقول ابن عاشور :"عقّب الكلام(ثُمّ)المفيدةالتّرتيب الرتبي في قوله : (ثمّ إلى ربّهم مرجعهم فينبّئهم بما كانوا يعملون)،لأنّ ما تضمّنته الجملة المعطوفة بـ(ثُمّ)أعظم ممّا تضمّنتهالمعطوفُ عليها ،لأنّ الوعيدالّذي عُطفت جملته بـ(ثمّ) أشدّ وأنكىفإنّ عذاب الدّنيا زائل غير مؤبد . والمعنى أعظم من ذلك أنّهم إلى الله مرجعهم فيحاسبهم "[2] .

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ] [القصص ٦١]

في هذه الآية مقارنة بليغة لحال المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون يلقون ما وعدهم الله به من اللذة والنعيم يوم القيامة ، في حين أخذ الكافرون نصيبهم من المتاع في هذه الدنيا ، وبقي لهم جزاء أعمالهم يوم الدين .

والحرف (ثم) للتراخي في الرتبة أو الحال .[3]

وفائدة هذا العطف التنبيه على أن خسارتهم في الآخرة أكبر وأعظم .[1]

---

[1] الكشاف٤/٢ - أنوار اتنزيل ١٥٣/٢

[2] التحرير والتنوير٦/ ٢٦٦

[3] الكشاف ٣/ ٤٢٥ – أنوار التنزيل ١٨٢/٤ – إرشاد العقل السليم ٢١/٧- روح المعاني ٢٠/ ٤٠٣- التحرير والتنوير٢٠/ ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تعظيم الجزاء الأخروي تذكيرٌ للإنسان للاستعداد ليوم الجزاء، وعدم الاغترار بهذه الدنيا الفانية، فإن ما عند الله خيرٌ وأبقى .

وبهذا تكرر اعتماد القرآن الكريم أسلوب العطف الرتبي للتذكير بيوم القيامة والتنبيه على عظمته وشدة أحواله ليبقى الإنسان مستحضراً له في جميع تصرفاته وتقلباته .

المطلب الرابع : الاهتمام بالعمل الصالح وعدم الاتكال على الإيمان وحده :

في آياتٍ كثيرة ربط الله عز وجل بين الإيمان والعمل الصالح ، إشارة منه إلى عدم الاكتفاء بالإيمان المجرّد ، إذ لابد لفلاح الإنسان من تحقق شرطين اثنين : الإيمان والعمل الصالح ، فقال تعالى: [وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] [البقرة ٢٥] وقال :[مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً][النحل٩٧].

وقد يتغافل المرء عن القيام بواجباته الدينية مُتّكلاً على إيمانه بالله تعالى باعتباره أساس الدين ، فنبّه القرآن الكريم إلى قيمة العمل الصالح ومكانته في الإسلام بأسلوبٍ موجزٍ بليغٍ في قوله تعالى :[إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا] [فصلت ٣٠] فالعطف بالحرف (ثمّ) لإفادة التراخي الرتبي تنبيهاً على علو مرتبة الاستقامة ومنزلتها فالشأن كلّه لها .[٢]

والمعنى الذي انطوى عليه العطف بالحرف (ثمّ) من التنبيه على مكانة العمل الصالح أثرٌ بالغ في بيان مضمون الإيمان وإظهار حقيقته من خلال استعمال أسلوب العطف الرتبي.

وأخيراً نرى أن اختيار أسلوب العطف الرتبي في بعض مواضع آيات العقائد يكشف اعتناء الإسلام بالجانب الإعتقادي وحرصه على رسوخه واستقراره ، فكان لهذا الأسلوب عميق الأثر في الكشف عن أساسيات الاعتقاد ، والتنبيه على جوهر الإيمان.

---

[١] التحرير والتنوير ٢٠/ ٨٧.

[٢] الكشاف١٩٨/٤ – أنوار التنزيل ٧١/٥–حاشية الشهاب ٧ / ٣٩٩ .ومعنى استقاموا . أي في العمل كما بين ذلك البيضاوي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث : أثر العطف الرتبي في دلالات آيات الأحكام :

تمهيد :

يُعد اختلاف الأحكام وتعددها مزية من مزايا الشريعة الإسلامية وعنوان يسرها وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، وقدضمّ القرآن الكريمكثيرًا من الأحكام الشرعية عُرضت بأحكم أسلوب وسُبكت بأبدع نظم وبُسطت بأروع تعبير يشهد بإعجاز هذا القرآن من جميع وجوه الإعجاز ، فغدت آياتهمجالاً واسعًا للبحث والاجتهاد لاستنباط الأحكام والتفصيل فيها فكللفظٍ فيه يوحيبمعانٍ عديدة تبنى عليها أحكامٌ عظيمة حتى كان لاختلاف دلالة الحروف ومعانيها أثر كبير في معنى الآية وما يترتب عليها من أحكام .

وقد تفاوت المفسرون في بيان ذلك واختلفوا فيه ، ويعد موضوع العطف الرتبي مثالاً واضحًا على ذلك لما له من أثر في اختلاف الأحكام وتنوعها وهذا ما سأوضحه في هذا المبحث إن شاء الله.

المطلب الأول : حمل العطف على المعنى الرتبي في آيات الأحكام :

تتفاوت الأحكام الشرعيةرتبةً ، وتختلفأهميةًومنزلةً ،ولابد للمسلم من التعرف على مكانة هذه الأحكام ومراعاة أولوياتها ، فلا ينشغل بعمل في حين يتوجب عليه غيره ولا يضيّع واجبًا للإتيان بغيره ، وهذا أصلٌ عظيم في الشريعة الإسلامية اعتمده العلماء والفقهاء في استنباط الأحكام ومعرفة درجتها ، وقد نبه القرآن الكريم على هذا الأمر وأشار إلى أهمية الأعمال ورتبتها بأساليب متنوعة قد تكون صريحة ، كقوله تعالى في وجوب الصلاة : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا)[النساء١٠٣]

وقد يستعمل القرآنأحيانًا إشارات مجملة كالإكثار من الأمر وتكراره كما في وجوب الزكاة ، أو التغليظ في العقوبة كالوعيد عند الفرار من الزحف والأمر بوجوب الثبات: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ مَنْ لَّهِ يَوْ مَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[الأنفال ١٥- ١٦] ويمكن أن يشير القرآن الكريم إلى تعظيم الحكم بعبارات خفية تُفهم عند التدبر وتظهر بعد التأمل، وقد يكون أسلوب العطف الرتبي وجهًا من وجوه التنبيه على أهمية الحكم وعلو رتبته ضمن جملة من الأحكام الشرعية الواجبة ، فالعدول عن المعنى الأصلي واختيار المعنى الرتبي أو حتى الجمع بين المعنيين أسلوب مقصود في القرآن عند إرادة إعلاء رتبة الحكم ورفع شأنه .يقول تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ] [الحج ٢٧ - ٢٩]

تذكر الآيات جملة من الواجبات المفروضة في الحج ، ومعنى (التفث) : ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعث ونحوه ، وهذا المعنى المعتمد عند أغلب المفسرين .[١]

ورجح ابن عاشور في معنى : التفث: مناسك الحج وأعماله كلها من الوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والقضاء بمعنى الأداء كأنه قيل : ليؤدوا نسكهم .[٢]

وحرف العطف (ثم) يمكن أن يحمل على التراخي الرتبي أريد به الإشارة إلى أهمية مناسك الحج وأعماله بالنسبة إلى ما سبقها من الأمر بنحر الهدي فإن هذه المناسك هي المقصودة عند الإتيان إلى مكة .[٣]

وبهذا نرى أن وقوع العطف في آيات الأحكام قد يحمل على المعنى الرتبي ويقصد به التنبه على رتبة الأحكام المذكورة في الآية ، و لكن لابد أن يتناسب المعنى المقصود من العطف مع الحكم المستفاد من الآية وهذا ما سأوضحه في المبحث التالي.

---

[١] الكشاف - المحرر الوجيز ٢٧٠/١٠ - أنوار التنزيل ٧٠/٤.

[٢] التحرير والتنوير ١٧٩/١٧

[٣] رجح ابن عاشور المعنى الثاني من (التفث) وفسر الآية بناء عليه . التحرير والتنوير ١٨٠/١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني :أثر العطف الرتبي في استنباط الأحكام:

لا يقتصر وقوع العطف الرتبي في القصص ، ولا يقف أثره عند حدود الإعجاز القرآني، بل قد يقع هذا النوع من العطف في آيات الأحكام وينعكس أثره على دلالتها وتختلف الأحكام بناء على المراد من حرف العطف ومعناه ، فإن حمل العطف في الآية على المعنى الأصلي يفيد حكمًا قد يختلف عند حمله على معناه الرتبي ، فالترتيب الحقيقي هو الدلالة الأصلية لحرفي العطف (الفاء - ثم) وحين يقصد هذا المعنى من استعمال هذين الحرفين يجب اعتماده ومراعاته في ما يظهر من دلالة الآية ، وأما عند تخلف هذه الدلالة الأصلية وإرادة الترتيب الرتبي لابد من البحث في معنى العطف وتوجيه مدلول الآية بما يتناسب مع دلالة حرف العطف .

وكان لاختلاف المفسرين في معنى العطف أثر في استنباط الأحكام من الآية واختلافها ومن الأمثلة على اختلاف الأحكام بناء على الاختلاف في مراد العطف :

١- حكم تبييت نية الصيام:

قال تعالى :﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[البقرة ١٨٧]

جملة (ثم أتموا الصيام إلى الليل) معطوفة على جملة (وكلوا واشربوا ...) و الأصل في حرف العطف (ثم) إفادة الترتيب الحقيقي مع المهلة ، ومعنى التراخي يفيد جواز تأخير النية إلى ما بعد الفجر ، وإتمام الصوم يستلزم ابتداءه والمقصود من إتمامه إلى الليل إما تصيير الصوم تامًا إلى الليل وإما إتيانه تامًا ، وعلى إرادة أي منهما فإن قصد الفعل _أي الصوم – لا يكون إلا حين توجه الخطاب ، وتوجه الخطاب في إتمام الصوم إنما يكون بعد انتهاء الليل ، وانتهاء الليل لا يكون إلا بعد مضي جزءٍ من الفجر وبناءً على ذلك تصح نية الصوم بعد طلوع الفجر ، وهذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكم إنما استفيد من معنى التراخي في الحرف (ثم) ،[٤] وجواز تأخير نية صيام رمضان إلى الفجر مذهب الحنفية .[٥]

ويمكن حمل العطف في الآية على المعنى الرتبي دون إرادة التراخي ، والمقصود بقوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) تعيين وقت انتهاء الصوم ، وليس الأمر بالصوم ولو كان الغرض من الآية الأمر بإنشاء الصوم لكان الأمر يتوجه بقوله (صوموا) ، فالمراد من إتمامه إلى الليل استصحاب الصيام إلى الليل الذي هو وقت انتهاء الصوم وجواز الإفطار ، وبهذا لا يكون فيه دليل على جواز النية بعد طلوع الفجر، ويبقى الأصل باشتراط تبييت نية الصوم من الليل وهذا قول الشافعية ، ويكون القصد من استعمال (ثم) في الآية إفادة الترتيب الرتبي للاهتمام بتعيين وقت الإفطار وذلك من باب البشارة به .[٦]

٢- حكم تأخير البيان عن وقت الإنزال :

قال تعالى :ﭐﱡﱠ [القيامة ١٩]

في هذه الآيةوعدٌ للنبي عليه الصلاة والسلام ببيان ألفاظ القرآن الكريم ، والآية معطوفة بالحرف (ثمّ) واستدل بعض الأصوليين به على جواز تأخير البيان عن وقت الإنزال لما تفيده (ثمّ)من التراخي الزمني. [٧]

---

[٤] روح المعاني ٦٣٩/١

[٥]القول بصحة النية بعد الفجر وعدم وجوبها بعد الفجر إنما كان عملاً لأدلة أخرى لا مجال لذكرها هنا . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٢٣٠/٢وما بعدها ، للإمام علاء الدين أبي بكر الكاساني ، تقديم عبد الرزاق الحلبي ، تحقيق :محمد عدنان درويش ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

[٦] التحرير والتنوير ١٨١/٢ – راجع مذهب الشافعية مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ٤٢٣/١، شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج لأبي زكريا النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

[٧] الإحكام ٤٠/٣ – التفسير الكبير ٧٢٩/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هذا الاستدلال محل اعتراض عند حمل (ثمّ) على العطف الرتبي لا على التراخي الزمني كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على هذه المسألة.[٨]

وفائدة التراخي الرتبي بيان رتبة الجملة المعطوفة وهي(إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ). والمعنى: إنّ علينا جمع الوحي وأن تقرأه، وفوق ذلك أن تبينه للناس. [٩]

٣- ضمان الغصب :

قال تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون : ١٢ - ١٤]

(ثم أنشأناه) للعطف الرتبي إشارة إلى التفاوت بين الخلقين ومزية الخلق الثاني على الأول .[١٠]

وبناءً على ذلك فإن من غصب بيضة فأفرخت عنده فعليه ضمان البيضة المغصوبة وليس الفرخ عند الحنفية .[١١]

والعلة فيما ذهب إليه علماء الحنفية ذكرها البيضاوي بأن هذا الخلق هو خلق آخر غير الأول .[١٢]

وبناء على ذلك يظهر أثر العطف في بيان دلالة الآية و ما يترتب عليها من أحكام، وهذا يشهد بإعجاز القرآن الكريم وسمو بلاغته وتشريعاته .

---

[٨] التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٢٥- هذه المسألة محل نقاش عند العلماء وليس البحثمجالاً لعرضها وإنما أشرت إليها لما يظهر فيها من أثر العطف الرتبي في الحكم ، وقد أشار الرازي إليها وبحث في أدلتها فيمكن الرجوع إلى كتابه التفسير الكبير ٧٢٩/١٠ .

[٩] التحرير والتنوير ٣٢٥/٢٩

[١٠] أنوار التنزيل ٨٤/٤– إرشاد العقل السليم ٦/ ١٢٦- روح المعاني ١٤/ ٢٩١ .

[١١] المبسوط ١٧/ ٧٧ ، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي ، طبعة اعتنى بها : الأستاذ سمير مصطفى رباب ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م - البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢٤٥/٧، للعلامة ابن نجيم الحنفي ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

[١٢] أنوار التنزيل ٨٤/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة :

اعتمد القرآن الكريم أسلوب العطف الرتبي في مواضع مختلفة شملت آيات العقائد والأحكام والقصص ،واختلف أثره بحسب موضع وقوعه ، فأمّا في آيات العقيدة فقد تجلّى أثره بالتركيز على أساس الدين وجوهر العقيدة من الإيمان بالله تعالى وصفاته واستحضار يوم الدين للاجتهاد في العمل الصالح وعدم الاتكال على الإيمان وحده .

ويبرز أثره في آيات الأحكام باختلافها وتنوعها بحسب دلالة العطف فيها ومضمونه.

ولوقوع العطف الرتبي في القصص غايات جليلة تظهر في تصوير مواطن العبرة فيها والتنبيه على أحداثها تحقيقاً للغرض الأسمى من نزول هذا الكتاب الكريم ألا وهو هداية البشر إلى طريق سعادتهم وفلاحهم ، فتتهاوى أمامهم جميع الشبهات التي تعترض صفاء إيمانهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة:

وختاماً لهذا البحث ، يمكنني أن أستلخص النتائج التالية :

١-العطف الرتبيأسلوبٌ عربيٌ له شواهده وتطبيقاته اللغوية ، وقد أبدع القرآن الكريم في صياغته وعرضه ، وهذا يؤكد جريان القرآن على معهود العرب في الخطاب، واعتماده أسلوبهم في الكلام .

٢يُعدُّ مصطلح (ترتيب الأخبار) الأصل للدلالة على أسلوب العطف الرتبي ، فقد استعمله أغلب النحويين كالعكبري والمرادي وابن هشام ، وذكره طائفة من المفسرين كابن عطية والقرطبي وابن جزي والسمين الحلبي وغيرهم ، لكنّ هذا المصطلح نفسه لم يحظَ بالقبول عند بعض المفسرين فبحثوا عن اصطلاحات جديدة تكون أكثر دقةً وانضباطاً للتعبير عن هذا الأسلوب .

٣-آثر بعض العلماء كالنحاس والطبري والماوردي وابن الجوزي الاكتفاء بالإشارة إلى مضمون العطف الرتبي والتنبيه عليه ، دون استعمال مصطلحاتٍ مستعارة تقصر دلالتها عن أداء المعنى المقصود من هذا النوع من العطف ، في حين استعمل بعضهم كالنيسابوري (ترتيب الأخبار)مع عدم الوقوف عند دلالته السطحية، بل نبهوا على أثر هذا الأسلوب ودلالته التي قَصُر مصطلح (تريب الأخبار أو االترتيب الذكري) عن أدائها .

٤- التراخي في المرتبة ، والتفاوت الرتبي، والترتيب الرتبي ، مصطلحات جديدة ابتدعها المفسرون للدلالة على العطف الرتبي ، والتراخي في المرتبة هو أول الاصطلاحات نشوءاً ، واستعمله الزمخشري والرازي والنسفي وتبعهم البيضاوي ، ثم أعاد أبو السعود والآلوسي صياغته فأطلقوا عليه التراخي الرتبي .

٥- الاعتناء بكتاب الله عز وجل والحرص على معرفة أسراره ، جعل للمفسرين مزية السبق في التأصيل لموضوع العطف الرتبي ، ودراسة تطبيقاته ، ولم يقتصر اهتمامهم به عند حدود التأصيل النظري ، بل تعدى ذلك إلى إظهار أثره ، وإبراز أهميته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦-تتبُّعُ مواضع العطف الرتبي عند المفسرين أثبت أن جمهور المفسرين اتفقوا على القول بالعطف الرتبي واعتماده في مواضع مختلفة ، ولم يثبت عن أي منهم تصريحٌ برفضه أو إنكاره، باستثناء الأخفش والسمرقندي الذّين أغفلا ذكره واستغنوا عنه بنفي الترتيب عن الحرف (ثمّ) – وينحصر الخلاف بين المفسرين في هذا الأسلوب في حدود تطبيقاته .

٧- يرجع اختلاف المفسرين في مواضع العطف الرتبي إلى ما يجده المفسر من مسوغات ترجح القول بالعطف الرتبي ، وهذا يختلف تبعاً لاجتهاد المفسر ورأيه .

٨- في بعض مواضع العطف المشكِلة كان القول بالعطف الرتبي خير سبيلٍ لإزالة ما فيها من إشكال عند أغلب المفسرين .

٩-للمعطوف عند المفسرين في العطف الرتبي مكانةٌ مميزة أكدوا عليها واجتهدوا في كشفها ، وهذا ما ينبئ عنه لفظ (الرتبي) المعتَمَد في اصطلاحاتهم ، في حين لم تكن محلّ عناية عند النحويين –باستثناء الاستراباذي- وناسب مصطلح (ترتيب الأخبار أو الترتيب في الذكر) اجتهادهم ، فاعتمدوه عند تخلّف الترتيب الزمني الحقيقي في بعض مواضع هذا الأسلوب .

١٠-وجد الصبّان أنّ للتقديم والتأخير في العطف الرتبي معنىً بلاغياً معتبراً ،لكنّه خالف جمهور المفسرين في اجتهاده لمّا اعتبر أن المقدّم أرفع رتبة من المؤخر فيه .

١١- للعطف الرتبي شروط عند العلماء ، وهي:

١- أن يكون الغرض من العطف التنبيه على مكانة المعطوف بالنسبة للمعطوف عليه أو عدم مناسبته له .

٢-أن يجيء العطف بأحد حرفي الترتيب (الفاء-ثمّ) ، وخالف ابن عاشور في ذلك فحصر العطف الرتبي في (ثمّ) .

٣- أن يقع العطف في الجمل عند الاستراباذي وابن عاشور مخالفين بذلك جمهور المفسرين الذّين اعتمدوا العطف الرتبي في بعض مواضع العطف بالمفردات عند العطف بـ (الفاء).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- يجب التنبه إلى عدم الخلط بين الحقيقة والمجاز عند العطف بحرفي (الفاء – ثمّ) فالعطف الرتبي أسلوب مجازي في استعمال هذين الحرفين، وعلى هذا الأساس ينبغي النظر إليه والتعامل معه في فهم الخطاب القرآني ، كما لا يجوز التوسع في المعنى المجازي الرتبي على حساب المعنى الأصلي الحقيقي.

١٣- يتعدد المعنى المستفاد من العطف بحرفي (الفاءثمّ) وهذا يفتح الباب للبحث والاجتهاد لتعدد الأقوال وإثراء المعنى ، ويجوز الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي إن أمكن ذلك كما ظهر ذلك عند أبي السعود وابن عاشور.

١٤-تعدُّد المعنى الرتبي والاختلاف في تقديره يفتح آفاقاً جديدة لفهم أسرار الخطاب القرآني وأغراضه ، ولابن عاشور اجتهادات متميزة في هذا المجال ، ولا يعني ذلك قبولها دائماً .

١٥-لا يقتصر العطف الرتبي على كونه أسلوباً بلاغياً تفنن القرآن الكريم في عرضه وطريقة سبكه ، بل إنّ له دلالاتٍ عميقة وإشاراتٍ خفية ، تختلف بحسب مواضع استعمال هذا الأسلوب في آيات القصص أو العقائد أو الأحكام .

١٦- اعتماد أسلوب العطف الرتبي في بعض قصص القرآن الكريم كانسبيلاً لحلّ ما يرد عليها من إشكال في ترتيب أحداثها وطريقة سبكها ، بالإضافة إلى أثره في كشف مغزاها والتركيز على العبرة منها ، ليتحقق الغرض من القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية ودستور حياة .

١٧-لا يقتصر وقوع العطف الرتبي في الأخبار ، بل قد يستعمل هذا الأسلوب في آيات الأحكام ،ويُؤثر في اختلاف الحكمبناءً على المفهوم من أسلوب العطف .

١٨- دخول أسلوب العطف الرتبي على بعض آيات العقائد يتناسب مع أهمية المواضيع المرتبطة بها ، لما له من أثر بالغ يتلخص في التنبيه على وحدانية الله تعالى وقدرته ، والتزود من العمل الصالح للنجاة يوم القيامة .

١٩- ينعكس أثر العطف الرتبي على الإعجاز البلاغي في الأسلوب القرآني، ويتجلى ذلك في تعدد المعنى وإيقاظ الحس وتنبيه الذهن، وبهذا تظهر لنا روعة هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأسلوب وبلاغة وقعه ، بحيث لا يجد القارئ معه أحسنَ منه ، فسبحان القائل العليم: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود ١] .

التوصيات والمقترحات :

وهذه أهم التوصيات التي خرجت بها في هذه الرسالة :

١- متابعة الرسائل العلمية المتخصصة التي تجمع بين الناحية التأصيلية والناحية التطبيقية في تفسير القرآن الكريم .

٢-التشجيع على الاجتهاد في استنباط معانٍ جديدة لفهم النص القرآني بما يثري معناه ويحقق إعجازه ، وأن تشرف على ذلك هيئاتٌ علمية لتقييم هذه الاجتهادات لقبولها أو ردّها.

والله الكريم أسأل أن يهيئ لي سبيلاً لخدمة كتابه، ويجعله حجة لي يوم القيامة ، ويتقبل مني هذا الجهد وينفعني به ، فإن أحسنت فله الفضل والمنة ، وإن أخطأت فليكن قوله تعالى: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) [النساء ٢٨] شفيعي ومعذرتي بين يديه.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

B الخميس ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ
الموافق ١٠ أيار ٢٠١٢م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات :

الآية :	التخريج	الصفحة
اهْدِنَاالصِّرَاطَالْمُسْتَقِيمَ]	[الفاتحة٦]	٣١-١٠٤-
يَجْعَلُوأَنَصَابِعَهُمْ فِآذَانِهِمْ..)	[البقرة ١٩]	٨١
وَبَشِّرِالَّذِينَآمَنُوا ...]	[البقرة ٢٥]	١٥٥
كَيْفتَكْفُرُونَبِاللهِ ...)	[البقرة ٢٨]	٨٣
هُوَالَّذِيخَلَقَلَكُمْ ...]	[البقرة٢٩]	٥٣-٧٠- ١٢٣
وَعَلَّمَآدَمَالأَسْمَاءَكُلَّهَا ..]	[البقرة٣١]	٩٦
فَأَزَلَّهُمَاالشَّيْطَانُعَنْهَا ...]	[البقرة٣٦]	٨-٢٧
فَتَلَقَّىآدَمُمِنْ رَبِّهِ..]	[البقرة٣٧]	٧
وَإِذْ وَاعَدْنَامُوسَى...)	[البقرة٥١]	١٤٣
ثُمَّعَفَوْنَاعَنْكُممِنْبَعْدِذَلِكَ]	[البقرة٥٢]	١٤٣
وَقَالَمُوسَىلِقَوْمِهِ ...]	[البقرة ٥٤]	٤٠-٧٤
وَادْخُلُواالْبَابَسُجَّدًا.)	[البقرة ٥٨]	١٠٠
إِنَّالَّذِينَآمَنُوَاالَّذِينَهَادُوا..]	[البقرة ٦٢]	١٥٣
وَإِذْ قَالَمُوسَىلِقَوْمِهِ ...]	[البقرة ٦٧]	٤١
فَوَيْلٌلِّلَّذِينَيَكْتُبُونَالْكِتَابَ ..)	[البقرة ٧٩]	١٠٢
وَإِذْقَتَلْتُمْنَفْسًافَادَّارَأْتُمْ فِيهَا..]	[البقرة٧٢]	٤١-١٠٤-
فَقُلْنَاضْرِبُوهُبِبَعْضِهَا...)	[البقرة ٧٣]	٤١-١٠٤
ثُمَّقَسَتْقُلُوبُكُمْ ...)	[البقرة ٧٤]	١٠٤-٧٤
وَإِذْ قَالَإِبْرَاهِيمُرَبِّاجْعَلْ ..)	[البقرة ١٢٦]	٨٤
الْحُرُّبِالْحُرِّوَالْعَبْدُبِالْعَبْدِ ...]	[البقرة١٧٨]	٩٨
وَكُلُوَاوَاشْرَبُوَاحَتَّىيَتَبَيَّنَ ...]	[البقرة١٨٧]	١٥٨
وَاقْتُلُوهُمْحَيْثُثَقِفْتُمُوهُمْ..]	[البقرة١٩١]	٩٥
فَمَنِاعْتَدَىعَلَيْكُمْفَاعْتَدُوَاعَلَيْهِ...]	[البقرة١٩٤]	٨١
لَيْسَعَلَيْكُمْجُنَاحٌأَنْتَبْتَغُوا ..]	[البقرة١٩٨]	٨٩
ثُمَّأَفِيضُوامِنْحَيْثُأَفَاضَالنَّاسُ)	[البقرة ١٩٩]	٣٩-٦٦-٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ..]	[البقرة ٢٣٢]	١٥٣
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ]	[البقرة ٢٥٥]	١٠٠
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ..]	[البقرة ٢٨١]	١٥٣
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ]	[آل عمران١٨]	٩٨
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ...]	[آل عمران٢١]	١٢٧
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ...]	[آل عمران ٢٣]	٤٦-١٠٤-١٢٧
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ...]	[آل عمران٥٩] ٢١ -٢٩-٥٥- ١٠٨-١٥٢	
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ..)	[آل عمران١٠٦]	١٠٠
وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ..)	[آل عمران١٠٧]	١٠٠
لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى..]	[آل عمران ١١١]	٤٢-١٠٢
وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ]	[النساء ٢]	٨١
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ]	[النساء ٣]	٩٩
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ]	[النساء١٢]	٩٩
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا]	[النساء ٢٨]	١٦٥
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ]	[النساء ٦٩]	٩٨
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ...)	[النساء٨٢]	٥٣
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ ....]	[النساء١٠٣]	١٥٦
فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ...]	[النساء١٥٣]	٢٨-٤٠-
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ..]	[النساء١٥٣]	٣٧
لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ..]	[النساء ١٦٢]	١١٤
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ]	[المائدة ٤٤]	١٠٠
(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض]	[الأنعام١]	٤٥-١٥١-١٥٣
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ..)	[الأنعام ٢]	٤٩-١٢٦-١٦٣
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا...]	[الأنعام٢٢]	٢٣-٤٧
ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا)	[الأنعام٢٣]	٥٧-٧٨
وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا...]	[الأنعام٣٤]	١٣١
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ...)	[الأنعام٦٠]	٦٢- ٨٤-١٢١-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...]	[الأنعام ٦٣]	١٥٢
قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ..]	[الأنعام٦٤]	١٥٢
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ..]	[الأنعام٧٤]	١٤٣
(قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى]	[الأنعام ٩١]	١٠٠
وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...]	[الأنعام ١٠٨]	١٥٤-٤٧
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...]	[الأنعام١٥١]	٦٧-٥٦
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ..]	[الأنعام١٥٣]	١٥٢-١٤٢
ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ][الأنعام١٥٤] ١٠-٣٨- ٤٣-٥٦-٦٦- ١٠٢- ١٢٣-١٤٢		
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ]	[الأنعام ١٥٥]	١٣٣-١٥٣- ١٢٣-١٤٢
وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ...]	[الأعراف٤]	٦-٢٩-٣٦-٨٥-٨٧-
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ...]	[الأعراف١١]	١٤-١٩-٢٦- ٢٧-٦٧- ٦٨- ١٤١-
قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ...)	[الأعراف١٦]	١٣٧
ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ..)	[الأعراف١٧]	١٣٧
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]	[الأعراف٢٤]	١٢٠
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا...]	[الأعراف١٠٣]	٩٣
وَقُولُوا حِطَّةٌ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا]	[الأعراف١٦١]	١٠٠
أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا]	[الأعراف ١٩٥]	١٠٠
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ..]	[الأعراف٢٠١]	١٣٨
وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ]	[الأعراف٢٠٢]	١٣٨
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا..]	[الأنفال١٥]	١٥٦
وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ..)	[الأنفال ١٦]	١٥٦
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ..]	[الأنفال٣٦]	١٤
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا]	[التوبة٤]	٩٦
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ..]	[التوبة ٦]	٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ...]	[التوبة ٢٥]	١٢٢
(ثم أنزل الله سكينته...)	[التوبة ٢٦]	١٢٢
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]	[التوبة ١١٧]	٩٧
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا]	[التوبة١١٨]	٩-٧١
وَلَيَمَّا تِهِمْ وَيلُهُ]	[يونس٣٩]	٨٦
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ..]	[يونس٤٦]	٢١
(فإلينا مرجعهم ثم الله شهيدٌ على ما يفعلون]	[يونس٤٦]	٣١-٥٨
وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ..]	[يونس٧١]	١٣٥
كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ][هود ١]		٦٩-١٦٥
(ونادى نوح ربه فقال رب]	[هود٤٥]	٢٣-٨٥-١٦٥
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ]	[هود٤٩]	١٣١
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)	[هود ٨٨]	ي
وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ..]	[هود١٢٠]	١٣١
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)	[يوسف٢]	أ
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ]	[يوسف ٣]	١٣٠
ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي...]	[يوسف٣٧]	١٣٣
(واتبعت ملة اباءي..)	[يوسف ٣٨]	١٣٣
(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ...)	[يوسف ٣٩]	١٣٣
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ]	[يوسف١١١]	١٣١
وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]	[إبراهيم١١]	١٣٥
سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ]	[إبراهيم٢١]	١٧
وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِقُرْآنٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]	[النحل ٦]	٩٩
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ]	[الحجر٢٤]	٩٩
قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..]	[النحل٢٦]	٩٢
ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ...)	[النحل٢٧]	٩٢
وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ..]	[النحل٥٣]	٥٠
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ ..]	[النحل٥٤]	٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ...)	[النحل٨٤]	١٢٦
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى]	[النحل٩٧]	١٥٥
فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ...)	[النحل٩٨]	٨٢-٨٥
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ..)	[النحل١٠٦]	١١٠
ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ..)	[النحل١٠٧]	١١٠
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ...)	[النحل١٠٨]	١١٠
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)	[النحل١٠٩]	١١٠
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...]	[النحل ١١٠]	١١٠
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا حَنِيفًا...)	[النحل١٢٠]	١١٥
شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ ...)	[النحل١٢١]	١١٥
وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ...)	[النحل١٢٢]	١١٥
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا..)	[النحل١٢٣]	١١٥
وَاللَّوْا بِثُوا نَيَلَوْ مَأَوْبِعْضِهِمْ]	[الكهف١٩]	١٨
سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ]	[الكهف٢٢]	١٣٣
وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا]	[الكهف٢٥]	١٤٩
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً]	[الكهف٤٩]	١٠٠
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ..]	[مريم٦٨]	١١٧
ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ...)	[مريم٦٩]	١١٧
ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا)	[مريم٧٠]	١١٧
وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...)	[مريم٧١]	١١٧
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا...)	[مريم٧٢]	١١٧
قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى]	[طه٤٩]	٦٤
(قال ربنا الذي أعطى كل شيءخلقه ثم هدى)	[طه٥٠]	٦٤
فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)	[طه٦٠]	٩٦
وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا..]	[طه٨٢]	٣١ -١٠٤
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ ...]	[طه ١٢٠]	٣
أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ]	[الأنبياء٢٤]	١٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(يأَيُّهَاالنَّاسإِنكُنْتُمْ فِيرَيْبٍمِنالْبَعْثِ...]	[الحج٥]	٩
وَأَذِّنْ فِيالنَّاسبِالْحَجِّيَأْتُوكَرِجَالاً ...]	[الحج٢٧]	١٥٧
لِيَشْهَدُوامَنَافِعَلَهُمْ...)	[الحج٢٨]	١٥٧
ثُمَّلْيَقْضُوتَفَثَهُمْ...)	[الحج٢٩]	١٥٧
أَلَمْتَرَأَنَّاللَّهَأَنْزَلَمِنَالسَّمَاءِمَاءً...]	[الحج٦٣]	٨
ارْكَعُوااسْجُدُوا]	[الحج ٧٧]	٩٩
وَلَقَدْخَلَقْنَاالإِنْسَانَمِنسُلَالَةٍمِنْطِينٍ]	[المؤمنون١٢-١٤]	١١-٥٤-٥٥-٥٧-١١٣-١١٤-١٦٠
ثُمَّأَنْشَأْنَاهُخَلْقًآخَرَ)	[المؤمنون١٤]	٤٤-٤٧-١٠٣-١٠٥-١٦٠
فَتَبَارَكَاللَّهُأَحْسَنُالْخَالِقِينَ)	[المؤمنون ١٤]	١٢-٣١
(ثم إنكم بعد ذلك لميتون)	[المؤمنون١٥]	١٢
(ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)	[المؤمنون١٦]	١٢
(قَالُوالَئِنْلَمْتَنْتَهِيَالُوطُلَتَكُونَنَّمِنَالْمَرْجُومِينَ]	[الشعراء١١٦]	١٣٩
قَالَرَبِّإِنَّقَوْمِكَذَّبُونِ)	[الشعراء١١٧]	١٣٩
فَافْتَحْبَيْنِيوَبَيْنَهُفَتْحًا وَنَجِّنِيوَمَنْمَعِيمِنَالْمُؤْمِنِينَ)[الشعراء١١٨]		١٣٩
فَأَنْجَيْنَاهُوَمَنْمَعَهُفِيالْفُلْكِالْمَشْحُونِ)	[الشعراء١١٩]	١٣٩
ثُمَّأَغْرَقْنَابَعْدُالْبَاقِينَ]	[الشعراء١٢٠]	١٣٩
قَالُوالَئِنْلَمْتَنْتَهِيَالُوطُلَتَكُونَنَّمِنَالْمُخْرَجِينَ]	[الشعراء١٦٧]	١٣٩
قَالَإِنِّيلِعَمَلِكُمْمِنَالْقَالِينَ)	[الشعراء١٦٨]	١٣٩
رَبِّنَجِّنِيوَأَهْلِيمِمَّايَعْمَلُونَ)	[الشعراء١٦٩]	١٣٩
فَنَجَّيْنَاهُوَأَهْلَهُأَجْمَعِينَ)	[الشعراء١٧٠]	١٣٩
إِلاَّعَجُوزًافِيالْغَابِرِينَ)	[الشعراء١٧١]	١٣٩
ثُمَّدَمَّرْنَاالآخَرِينَ)	[الشعراء١٧٢]	١٣٩
لاَيُؤْمِنُونَبِهِحَتَّييَرَوُاالْعَذَابَالأَلِيمَ]	[الشعراء ٢٠١]	٧٣-٧٥
فَيَأْتِيَهُمْبَغْتَةًوَهُمْلاَيَشْعُرُونَ)	[الشعراء٢٠٢]	٨-٨٥
فَيَقُولُواهَلْنَحْنُمُنظَرُونَ)	[الشعراء٢٠٣]	٨٣-٨٥
إِلاَّمَنظَلَمَثُمَّبَدَّلَحُسْنًابَعْدَسُوءٍفَإِنِّيغَفُورٌرَحِيمٌ]	[النمل ١١]	٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ...]	[النمل ٢٣]	١٣٣
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ...)	[النمل٢٤]	١٣٣
أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ ...)	[النمل٢٥]	١٣٣
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)	[النمل٢٦]	١٣٣
اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ..)	[النمل٢٨]	٢٨-٦٦
أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ...]	[القصص ٦١]	١٥٤
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ...)	[العنكبوت١٤]	١٤٨
أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ...]	[العنكبوت ١٩]	٤٢ - ٦٣
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...]	[العنكبوت٢٠]	٧٣
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ]	[السجدة٧]	٩-١٠
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ)	[السجدة ٨]	٩-١٠
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ)	[السجدة٩]	٩-١٠
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا...]	[السجدة ٢٢]	٥٦
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ]	[الأحزاب٣٥]	١٠٨
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ]	[الأحزاب٥٩]	٩٩
لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...)	[الأحزاب٦٠]	٩٥
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ....)	[فاطر٢٤]	١٢٣
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..)	[فاطر٢٥]	١٢٣
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)	[فاطر٢٦]	١٢٤
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ...]	[فاطر٣١]	٩٨-١٢٣
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...)	[فاطر٣٢]	أ – ٨٨ -٩٩-١٢٣-
وَالصَّافَّاتِ صَفًّا)	[الصافات١]	٥٩-٧٣-٧٥
فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا)	[الصافات٢]	٥٩-٧٣-٧٥
فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا)	[الصافات٣]	٥٩-٧٣-٧٥
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ]	[الصافات٦٧]	١١٧
وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ...]	[الصافات٧٥]	١٠٣
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ]	[الصافات٧٦]	١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ .]	[الصافات ٧٩]	١٣٩
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)	[الصافات٨٠]	١٣٩-١٠٣
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)	[الصافات٨١]	١٣٩-١٠٣
﴿أَنتُمْ عَلَيْهِ وَارِدُونَ]	[الصافات٨٢]	١٣٩-١٠٣
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)	[الزمر٦]٦- ٩- ١٠- ١٥-١٩ -٢٢ -٢٩- ٣٨ -٦٦-٦٨-٨١-١٠١-١٤٤-	
إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ...)	[الزمر٧]	٩٣
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ...)	[الزمر ٧٢]	٣٠
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ)	[غافر ٦٩]	٥٧
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ..)	[غافر٧٠]	٥٧
الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ)	[غافر٧١]	٥٧
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ)	[غافر٧٢]	٥٧
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ]	[غافر٧٣]	٥٧
ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ][غافر٧٦]		٥٧
قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..]	[فصلت٩]	١٢٥- ٥٣
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا..)	[فصلت١٠]	١٢٥-٥٣
ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ...)	[فصلت١١]	١٢٥-٥٣
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا..]	[فصلت٣٠]	١٥٥-١٠١
قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ....]	[فصلت ٤٤]	١٤٥
وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم]	[محمد٣٨]	١١٦
وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا]	[الذاريات١]	٣٩
فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا)	[الذاريات٢]	٣٩
فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا)	[الذاريات٣]	٣٩
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا]	[الذاريات٤]	٣٩
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)	[الذاريات٢٧]	٧
أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ)	[الواقعة٣٥]	١٦
فَجَعَلْنَاهُ أَبْكَارًا]	[الواقعة٣٦]	١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ)	[الواقعة٥١]	٧
لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ]	[الواقعة٥٢]	٧
فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]	[الواقعة٥٣]	٧
فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ]	[الواقعة٥٤]	٧
هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ]	[الحديد ٣]	٩٩
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ]	[التغابن٢]	٩٩
هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ]	[القلم١١]	٢٢
مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ]	[القلم١٢]	٢٢
عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ]	[القلم١٣]	٢٢
وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ]	[المعارج ١٤]	٥٤
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا)	[نوح٨]	١٣٦
ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ..)	[نوح٩]	١٣٦
قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا]	[المزمل ٢]	٨١
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]	[المدثر١٩]	١١٢
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ]	[المدثر٢٠]	١١٢
ثُمَّ نَظَرَ]	[المدثر٢١]	٨٣
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ]	[المدثر٢٢]	٨٣
لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَيَتَأَخَّرَ]	[المدثر ٣٧]	٩٩
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ]	[القيامة١٩]	١٥٩
أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى]	[القيامة٣٤]	١١٢
ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى]	[القيامة٣٥]	١١٢
وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا]	[المرسلات٣]	١٠٢-٧٥
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا]	[المرسلات٤]	١٠٢-٧٥
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا]	[المرسلات٥]	١٠٢-٧٥
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ]	[النبأ٤]	١١١-١١٩
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ]	[النبأ٥]	١١١-١١٩
فَكَذَّبَ وَعَصَى]	[النازعات٢١]	١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثُمَّ دَبَرَ يَسْعَى]	[النازعات٢٢]	١٠٣
أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا...]	[النازعات ٢٧]	٥٤-١٢٥
رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا]	[النازعات ٢٨]	٥٤-١٢٥
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا]	[النازعات ٢٩]	٥٤-١٢٥
وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا]	[النازعات ٣٠]	٥٤-١٢٥
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا)	[النازعات ٣١]	٥٤-١٢٥
كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)	[المطففين١٥]	٩١
(ثم إنهم لصالوا الجحيم)	[المطففيين١٦]	٩١
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى]	[الأعلى ٤]	١٤
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى]	[الأعلى ٥]	١٤
الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى]	[الأعلى١٢]	١١٨
ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى]	[الأعلى١٣]	١١٨
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى]	[الأعلى١٩]	٩٩
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم]	[الغاشية٢٦]	٥١
فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ]	[البلد١١]	١٦-٢١
فَكُّ رَقَبَةٍ]	[البلد١٣]	٣٩
أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ]	[البلد١٤]	٣٩
يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ]	[البلد١٥]	٣٩
أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ)	[البلد١٦]	٣٩
ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]	[البلد١٧]	١٦-٢١-٢٩- ٣٩-
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ]	[التين٥]	٩٤
ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]	[التكاثر٨]	٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأحاديث:

الحديث	الصفحة
((حبل الله المتين ، والذكر الحكيم....))	١٢٠
((فو اللهِ لكأَنَّ غَطَّ فَدَهُمحِينَ سَمِعُوطَدَوْ تِهَيَطْ فَالبَقَرِ علىَوْ لادِها))	١
((القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه))	٥٨ -١٢١
((مَنماتَ علىهَرْ ذَبةٍ من هذهالمَراتِبيُبعِثَ عليها))	٣

فهرس الأشعار:

يَلَكْ شِفُالغَمَّاءَإلاَّ ابنُحُرَّة	يَرَىغَمَرَاتِالمَوْ تِ ثم يزورها	٣٦-٧٧
كهزِّ الرِّديني، تحت العجاج	جرى في الأنابيب، ثم اضطرب	١٢
يالَهفَ زَيَّابة،للحارثِ ال ...	صبّابح، فالغانم، فالآيب	٨
جَذُوحٌفاقُعَنْ دَلْهٌأُمُّقَرٍ غَت	لَهَلَكَتِفَاهافيهِمُعَالِيًمُصَعَّرِ	٣٦-٧٧
لايَبعَدَنقَومِيالّذينهُمُ	سُمُالعُدَاةِ وآفةُالجُزرِ	
النّازلينَ بكلِّمُعتَرَكٍ	والطَّيبينمَعَاقِدِالأُزُرِ	١١٤
قفا نبك من ذِكرى حبيبٍومنزلِ	بسِقطِ اللِّوىبينَ الدَّخولِفَوْ ملِ	٦
إنَّ مَنسَادَثُمَّ سادَأبوهُ	ثُمَّ قد سادَقبلَ ذلكجَدُّهُ	١١-١٦- ١٩-٣٦-٥٧-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصطلحات:[1]

الأثر ١٢٩

الاستبعاد ٤٤

الاستعارة ٨١

التابع ٢

التأويل ٨٦

التراخي ١٤

التراخي الرتبي ٢٤

الترتيب ١٣

ترتيب الأخبار ٢٠

الترتيب الإخباري ٣

الترتيب الحقيقي ١٣

الترتيب الذكري ١٥

الترتيب الرتبي ٣

الترتيب في الذكر ٢٢

التراخي في المرتبة ٥١

الترتيب المجازي ١٤

التعقيب ١٣

التفاوت في الرتبة ٤٣

التصوير ١١٦.

الحقيقة ٨٠

العطف ١

عطف بيان ٢

العطف الرتبي ٣

عطف النسق ٢

القصة ١٣٠

المجاز ٨٠

المجاز المرسل٨١

المصطلح١٨

المصلح النحوي ١٨

[1] اكتفيت بالمصطلحات المعرفّة في أماكن تعريفها تجنباً للإطالة وذكرتها حسب الترتيب الأبجدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأعلام :

الأخفش ١٤-٢٦-١٦٣.

الإستراباذي٢٣-٢٩-٣٠-٣١-٣٢- ٤٤ -٤٥-٧٥-١٠٤-١٠٥-١٦٣.

الأصمعي ٢٦.

الآلوسي ٣٥- ٣٧- ٣٨- ٤٢-٤٣-٤٤-٤٥- ٤٦- ٤٧- ٥٠-٥١-٥٩-٦٠-٦٨-٦٩-٧٥- ٨٤-٨٨-٩١-١٠٢-١٠٣-١٢٣-١٣٦-١٦٢.

الباقلاني ١٠٧.

البغوي ٣٨.

البيضاوي ٣٦- ٤٢- ٤٣- ٤٤-٤٨- ٥١-٥٧-٦٨- ١٣٧-١٦٠ -١٦٢.

الثعالبي٣٧.

الجرمي ٦.

ابن جزي٣٧- ١٦٢.

ابن الجوزي ٦٧- ٦٨-٧٩- ١٦٢.

أبو حيان ٢- ٩- ١٤- ٣٧-٣٩-٤٥-٥١-٦٩-٧٦-٨٣

الخازن ٣٨.

الخطابي ١٠٦- ١٠٩.

الخليل ٣

الرازي ٣٥-٤٢-٤٤-٤٨-٥٤-٧٩-١٠٢-١٦٢.

الرافعي١١١-١١٢.

الزجاج ٢٨

زكريا الأنصاري ١٥

الزمخشري ٨- ٣٦-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٨-٥١-٥٩-٦٠-٦٣-٧٣-٧٦-٨٣-٨٨-٩١-١٠١-١١٦-١٤٣-١٤٥-١٦٢.

السعدي ٣٨.

أبو السعود٣٥- ٣٧-٤٢-٤٣-٤٤-٤٨-٥٠-٥١-٥٩-٦٠-٦٩-٨٣-٨٨-٩١-١٠٢-١٣٦-١٦٢-١٦٤.

السمرقندي ٦٦-١٦٣.

السمين الحلبي ٣٧- ١٦٢.

سيبويه ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيوطي ٩- ٦٢-٧٦.
الشربيني٣٧.
الشنقيطي ٣٩.
الشهاب الخفاجي ٤٣-٤٧-٤٨- ١٠٢-
الشوكاني ٣٥.
الشيخ زاده٤٦-٦٨.
الصبان ٢٤- ٢٩-٣٢-١٦٣.
الطبري ٣٥-٥٠-٥١-٥٧-٦٧-٧٩-١٦٢.
ابن عادل ٣٧-٣٨-
ابن عاشور ٤- ٣٦-٣٧-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٦-٤٧-٤٨-٥٠-٥١-٦٣-٦٩-٧٣-٧٤-٧٩-٨٤-
٨٨-٩١-٩٣-١٠٢-١٠٣-١١٤-١٢٠-١٢٣-١٣٠-١٣٦-١٣٨-١٤٤-١٥٧-١٥٩-١٦٤.
ابن عطية ٣٥-٣٧-٣٨-٤٥-٥٠-٥١-١٦٢
العكبري ٢١- ١٦٢
الفراء ٦- ١١- ١٤- ١٦-١٩- ٢١- ٢٨- ٣٥- ٧٦.
القاسمي ٣٩-٤١.
ابن قتيبة ٦٦.
ابن كثير ٥٧
القرطبي ٣٧-٥٢-١٦٢
الكفوي٢٥- ٨٥.
ابن مالك ١-١٠
الماوردي٦٧- ١٦٢.
المرادي ٢١- ٢٣-١٦٢ .
ابن منظور ٣.
النحاس٦٧-٧٦-١٦٢.
النسفي ٤٢-٤٨-١٦٢.
نولدكه ١٤٦.
النيسابوري ٣٥- ٣٧-٣٨-٤١-٤٨-١٠١-١٦٢.
ابن هشام ٢٢- ١٦٢.
الواحدي ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع:

١-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي ، رواه وصححه علي محمد الصباغ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان .

٢-الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ،تحقيق أحاديثه :شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ،١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣-الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام علي بن محمد الآمدي ،علّق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي السعودية ،١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م .

٤- الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم ، د.محمد علي سلطاني ، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى ،١٤٢٠-٢٠٠٠.

٥-ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ،تحقيق: د. رجب عثمان محمد – مراجعة : د.رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٦-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان .

٧-الاستشراق الألماني ، الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنغن ، ترجمة : د. كمال رضوان ، دار صادر .

٨-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد .

٩-إعجاز القرآن للباقلاني ، للقاضي أبي بكر الباقلاني ، تحقيق : الأستاذ أبو بكر عبد الرزاق ، مكتبة مصر . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

١٠-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ضبط وتقديم :أ.د محمد علي سلامة، راجعه :محمد سعيد العريان، دارالصحوة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩- ٢٠٠٨ م.

١١-إعراب القرآن ، الزجاج ،تحقيق :إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦-١٩٨٦م .

١٢-الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي، دار العلو للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

١٣-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لأبي الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي - تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ،دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، راجعه الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر،بيروت ،١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م .
١٥-الإيضاح في علوم البلاغة ، الشيخ الخطيب القزويني ، تحقيق :رحاب عكاوي ، دار الفكر العربي ،لبنان –بيروت ،الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .
١٦-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للإمام علاء الدين أبي بكر الكاساني ، تقديم عبد الرزاق الحلبي ، تحقيق :محمد عدنان درويش ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٧-البحر الرائق شرح كنز الدقائق للعلامة ابن نجيم الحنفي ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٨ البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، تحقيق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، 1421هـ 2000م
١٩-البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي - طبعة بعناية الشيخ زهير جعيد دار الفكر،١٤١٢- ١٩٩٢.
٢٠-البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، الشيخ جمال حمدي الذهبي ، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ_ - ١٩٩٤م.
٢١-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق د. علي محمد عمر ، النشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٢-البيان في إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي ، نشره القسم العربي ، الجامعة الإسلامية علي كره، الهند ، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م .
٢٣-تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ، دار الهداية .
٢٤-تاريخ القرآن ، تيودور نولدكه ، دار نشر جورج ألمز هيلد سهايم زورغ ، نيويورك ، ٢٠٠٠م، نقله إلى العربية ، د. جورج تامر .
٢٥-التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله العكبري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ،بيروت –لبنان ، الطبعة الثانية ،١٤٠٧-١٩٨٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦-التحرير والتنوير، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي ،مؤسسة التاريخ بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٠ه -٢٠٠٠م
٢٧-التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السادسة عشر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٨-تطور الأساليب النثرية في الأدب الغربي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ،بيروت، الطبعة السابعة ، ١٩٨٢م.
٢٩-تفسير ابن جزي، المسمى التسهيل لعلوم التنزيل ، أشرف عليه لجنة تحقيق التراث العربي في دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٣٠-تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ،١٤١٦هـ - ١٩٩٦.
٣١-تفسير القرآن العظيم ، المسمى تأويلات أهل السنة ، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي الحنفي، تحقيق : فاطمة يوسف الخيمي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٣٢-التفسير الكبير ، للإمام محمد الرازي ، طبعة إعداد مكتب دار إحياء التراث العربي،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
٣٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،قدّم له : الشيخ عبد الله بن عقيل – الشيخ محمد الصالح العثيمين ، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
٣٤-جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٨م .
٣٥-الجامع الصحيح لأبي عيسى محمد بن سورة ، تحقيق : د. مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .
٣٦-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، تحقيق :د.عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧-٢٠٠٦.
٣٧-جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تحقيق :د. محمد علي الهاشمي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٨-الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي ، تحقيق :د.فخر الدين قباوة –أ. محمد نديم فاضل ، المكتبة العربية ، حلب ، الطبعة الأولى ،١٣٩٣-١٩٧٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٩-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الثعالبي، تحقيق :علي محمد معوض – عادل عبد الجواد وشارك في التحقيق : عبد الفتاح أبو سنة، دارإحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ ، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤٠-حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار صادر، بيروت .
٤١-حاشية الشيخ زادة على تفسير لبيضاوي ، المطبعة العثمانية ، تركيا ،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م
٤٢-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعيني ، محمد بن علي الصبان، دار الفكر ،بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١٩ - ١٩٩٩م .
٤٣-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، النشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٤٤-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق: أحمد محمد الخراط ، دارالقلم ، دمشق .
٤٥- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، علّق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني القاهرة- دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
٤٦- ديوان أبي نواس ، شرحه :د. عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٨- ١٩٩٨.
٤٧- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دارالمعارف ، مصر .
٤٨- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي ٧٠٢،تحقيق :د . أحمد محمد الخراط ، دار القلم ،دمشق ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٥-١٩٨٥م
٤٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود الآلوسي تحقيق السيد محمد السيد ،سيد إبراهيم عمران ،دار الحديث ،القاهرة ،١٤٢٦-٢٠٠٥م .
٥٠- زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد الجوزي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله -خرّج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٥١-لسراج المنير ، الإمام الخطيب الشربيني، خرّج أحاديثه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٢- سنن الدارقطني للإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي وبذيله التعليق المغني على الدارقطني للإمام أبي الطيب آبادي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – حسن شلبي- سعيد اللحام ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.
٥٣- سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ،تحقيق :مجد الدين أبي سعيد عمر العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٥٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٥٥- شرح التسهيل ، ابن مالك ،جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ،تحقيق د:عبد الرحمن السيد –د:محمد بدوي المختون ،هجر للطباعة الطبعة الأولى،١٤١٠ه-١٩٩٠م.
٥٦- شرح جمل الزجاجي الشرح الكبير ،ابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق:د- صاحب أبو الجناح، عالم الكتب،بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١٩-١٩٩٩
٥٧- شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي ،نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ -١٩٩١ م .
٥٨- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب - دار الكتب العلمية، بيروت
٥٩- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ،لأبي بكر محمد الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية .
٦٠- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
٦١- صحيح مسلم ، منشورات :محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٢٤-٢٠٠٣.
٦٢- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمدالأدنَروي ، تحقيق :سليمان بن صالح الخزي ،الناشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السابعة ،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٦٣- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار ، للإمام أبي الحسن الهمذاني العطار، تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد طلعت ،إشراف جامعة الإمام محمد بن سعودا الإسلامية .
٦٤- غاية الوصول في شرح لب الأصول ، لأبي يحيى زكريا الأنصاري ٩٢٦ ه ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٠-١٩٤١م .
٦٥- غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، ضبطه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦- ١٩٩٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٦- غريب القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
٦٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٤١٩-١٩٩٨م.
٦٨- الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله ،سينا للنشر ، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٩م.
٦٩- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثالثة ،١٤١٣-١٩٩٣م .
٧٠- الكافية في النحو ، ابن الحاجب ، ،شرح رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، دار الكتب العلمية، بيروت
٧١- الكتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م.
٧٢- كتاب الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ،وضع فهارسه، د. عدنان درويش- محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٧٣- كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لأبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري ،دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٤م.
٧٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف محمود بن عمر الزمخشري ،رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد ،دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٥- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ، ضبطه عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٧٦- اللباب في علل البناء والإعراب ،أبو البقاء العكبري ، تحقيق غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ،دار الفكر دمشق ،الطبعة الأولى ،١٤١٦- ١٩٩٥م.
٧٧- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص ابن عادل الدمشقي ، تحقيق : عادل عبد الموجود – علي محمد معوض، شارك فيه : محمد سعد رمضان حسن – محمد المتولي الدسوقي حرب ، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٨- لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي ، دار إحياء التراث العربي –مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٧٩- المبسوط ، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي ، طبعة اعتنى بها : الأستاذ سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .
٨٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري– عبد العال السيد إبراهيم ، الدوحة ، الطبعة الأولى١٤٠٣-١٨٩٣م.
٨١- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى،١٣٧٦هـ -١٩٥٧م.
٨٢- المحصول في علم الأصول ، الإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، اعتنى به عز الدين صلي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٨٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله النسفي ، تحقيق : سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٨٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، إشراف د. يوسف عبد الله المرعشلي ، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي دارا لمعرفة ، بيروت.
٨٥- المستشرقون والدراسات القرآنية ، محمد حسين علي الصغير ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
٨٦- المستشرقون والقرآن ، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، عمر لطفي العالم ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .
٨٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أشرف على التحقيق :شعيب الأرناؤوط ،مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٨٨- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، عوض حمد القوزي،الناشر عمادة شؤون المكتبات ،جامعة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠١- ١٩٨١م.
٨٩- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، الأمير مصطفى الشهابي ، معهد الدراسات العربية العالية ،القاهرة ، الطبعة الثانية ،١٣٨٤-١٩٦٥م.
٩٠- معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
٩١- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط - ،تحقيق:هدى محمود فراعة ،مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١١-١٩٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٢- معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩٣- معاني القرآن الكريم ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٩٤- معجم الأدباء المسمّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ -١٩٩١م .

٩٥- معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ، د. محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.

٩٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق: د- مازن المبارك – محمد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ،دار الفكر ،الطبعة الأولى، ١٤١٩-١٩٩٨ .

٩٧- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج لأبي زكريا النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

٩٨- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي ،شرحه :عبد الله دراز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان .

٩٩- النبأ العظيم ، د. عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

١٠٠- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة .

١٠١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٢م .

١٠٢- النكت والعيون ، أبو الحسن الماوردي ، راجعه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

١٠٣- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك ابن الأثير ، تحقيق :الشيخ خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة ، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية ،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

١٠٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي، تحقيق د-عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ،١٣٩٩ه-١٩٧٩م .

١٠٥- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحفيق عدنان داوودي، دار القلم ، دشق ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٦-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس أحمد بن أخلكان ، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الفصل التمهيدي : العطف الرتبي عند اللغويين	١
المبحث الأول : العطف وأنواعه	١
المطلب الأول : تعريف العطف	١
المطلب الثاني: دلالة حرفي العطف (الفاء-ثم)	٦
المطلب الثالث : الترتيب وعلاقته بالعطف الرتبي	١٣
- أنواع الترتيب:أولاً : الترتيب الحقيقي	١٣
-ثانيًا : الترتيب المجازي	١٤
المبحث الثاني: العطف الرتبي في كتب النحو	١٨
تمهيد تعريف الاصطلاحات النحوية وتطورها	١٨
المطلب الأول:اصطلاحات النحويين في العطف الرتبي	١٩
أولاً :العطف الرتبيتطبيقاً	١٩
ثانياً : العطف الرتبياصطلاحًا	٢٠
المطلب الثاني : اتجاهات النحويين في العطف الرتبي	٢٦
أولاً : اختلاف النحويين في تأويل العطف الرتبي	٢٦
ثانيًا : مفهوم العطف الرتبي عند الإستراباذي	٣٠
الخلاصة	٣٢
الفصل الأول : العطف الرتبي في كتب التفسير	**٣٣**
المبحث الأول : اصطلاحات المفسرين في العطف الرتبي	٣٤
المطلب الأول : تأصيل العطف الرتبيلغوياً عند المفسرين	٣٤
المطلب الثاني : العطف الرتبياصطلاحًا	٣٧
المبحث الثاني : أسباب تباين المفسرين في التنبيه على العطف الرتبي	٤٩
المطلب الأول :أسباب عامة	٤٩
١- توالد المصطلحات وتعدد دلالاتها	٤٩
٢- اتجاه المفسر في التفسير	٥١
المطلب الثاني: أسباب خاصة	٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوان	الصفحة
١-إزالة ما يظهر في الآيات من إشكال	٥٢
٢- الاختلاف في المعنى المقصود من الآية	٥٨
٣-الاختلاف في رجوع العطف	٦١
٤- الإيجاز في اللفظ	٦٤
المبحث الثالث :اتجاهات المفسرين في العطف الرتبي	٦٥
المطلب الأول :مدى حضور العطف الرتبي في كتب التفسير	٦٥
المطلب الثاني : مكان العطف الرتبي	٧٣
أولاً الحروف المرتبطة بالعطف الرتبي عند المفسرين	٧٣
ثانياً : وقوع العطف الرتبي في الجمل عند المفسرين	٧٥
المطلب الثالث :العطف الرتبي بين النحويين والمفسرين	٧٦
الخلاصة	٧٩
الفصل الثاني : تأويل العطف الرتبي	**٨٠**
تمهيد	٨٠
المبحث الأول : الحقيقة و المجاز في العطف	٨١
المطلب الأول : الحقيقة والمجاز وأنواعهما	٨١
المطلب الثاني : دخول العطف الرتبي في المجاز	٨٣
المبحث الثاني : مناهج المفسرين في تأويل العطف الرتبي	٨٦
المطلب الأول : تعريف التأويل	٨٦
المطلب الثاني :اختلاف المفسرين في المؤول في العطف الرتبي	٨٧
المبحث الثالث : المعنى الرتبي في العطف	٩٨
المطلب الأول : أسباب التقديم والتأخير	٩٨
المطلب الثاني : رتبة المعطوف في العطف الرتبي	١٠١
الوجه الأول : أن يكون المعطوف أهم من المعطوف عليه وأرفع منزلة منه	١٠١
الوجه الثاني : استبعاد المعطوف بالنسبة للمعطوف عليه	١٠٤
الخلاصة	١٠٥
الفصل الثالث : أثر العطف الرتبي في الإعجاز القرآني	**١٠٦**
تمهيد	١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوان	الصفحة
المبحث الأول:مظاهر الإعجاز في الأسلوب القرآني وتجليها في العطف الرتبي	١٠٧
المطلب الأول : شمول أسلوب الخطاب القرآني	١٠٧
المطلب الثاني: تداخل الموضوعات القرآنية	١٠٩
المطلب الثالث: التكرار في القرآن الكريم	١١١
المبحث الثاني: الفوائد البلاغية لاستعمال الحرف (ثمّ)	١١٣
المطلب الأول : لفت الانتباه إلى أهمية الجملة المعطوفة	١١٣
المطلب الثاني : التصوير	١١٦
المطلب الثالث :إفادةمعنىً جديد	١١٨
المبحث الثالث :العطف الرتبي وتعدد المعاني	١١٩
تمهيد :الإعراب ومعاني النص القرآني	١١٩
المطلب الأول : تعدد الدلالات في ألفاظ القرآن	١٢٠
المطلب الثاني : تعدد المعنى باختلاف دلالة العطف	١٢١
المطلب الثالث : اعتماد العطف الرتبي سببًا في ترجيح المعنى	١٢٤
المطلب الرابع: أثر العطف الرتبي في تعيين المقصد	١٢٦
الفصل الرابع :أثر العطف الرتبي في موضوعات القرآن الكريم	**١٢٩**
تمهيد	١٢٩
المبحث الأول : أثر العطف الرتبي قي القصة القرآنية	١٣٠
المطلب الأول :تعريف عام بالقصة في القرآن الكريم	١٣٠
المطلب الثاني : وقوع العطف الرتبي في القصة القرآنية ودلالته فيها	١٣٤
المطلب الثالث : شبهة وردها	١٤٥
المبحث الثاني : أثر العطف الرتبي في تقرير مبادئ العقيدة	١٥١
المطلب الأول : التنفير من الشرك	١٥١
المطلب الثاني : التأكيد على قدرة الله تعالى ووحدانيته	١٥٢
المطلب الثالث : التذكير بيوم القيامة وأحواله	١٥٣
المطلب الرابع : الاهتمام بالعمل الصالح وعدم الاتكال على الإيمان وحده	١٥٥
المبحث الثالث : أثر العطف الرتبي في دلالات آيات الأحكام	١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوان	الصفحة
المطلب الأول : حمل العطف على المعنى الرتبي في آيات الأحكام	١٥٦
المطلب الثاني : أثر العطف الرتبي في استنباط الأحكام:	١٥٨
الخلاصة	١٦١
الخاتمة	١٦٢
فهرس الآيات	١٦٦
فهرس الأحاديث	١٧٦
فهرس الأشعار	١٧٦
فهرس المصطلحات	١٧٧
فهرس الأعلام	١٧٨
المصادروالمراجع	١٨٠
فهرس الموضوعات	١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit